
١٧
الأديب المعاصر
مجلة فصلية يصدرها اتحاد الأدباء في العراق

الاديب المعاصر

مجلة اتحاد الادباء في العراق

العدد السابع عشر (مايس) — ١٩٧٦ — السنة الرابعة

شريف الراس

في الشعر .. نثـــراً

كل ما في المشهد خيالي تماماً . والألوان والأضواء شفافة بهيجة كأنها من قوس قزح . لكن ثمة مـا يوحي بأننا نرى درباً جبلية ، وبستاناً ، وشجرة صفصاف عند السياج . . تحت الشجرة تجلس طفلة جميلة وهي تعزف تقاسيم حـرة على قيثارة خيالية أيضاً . . ونحن لا ندري من أي كوكب بعيد جاءت هـذه الطفلة الجميلة . لكننا نسمع عزفها اللطيف ، كأنها تغني لنفسها ، وكل ما حولها من أشجار وظلال خضراء وفراشات وازهار حقلية وعصافير وهمهمة مياه الجداول ، يجعلها تشارك ، في انسجام رائع ، بنشيد الحياة في أعياد الربيع .

يمر رجل أنيق في الدرب الجبلية ، وهو يحتضن باقة من أزهـار الجبل . أحياناً يتوقف امام زهرة عند حـافة حقل ، يتأملها ، يقطفها ، يضمها إلى باقته وأحياناً يركض وراء فراشة وعندما يصبح قريباً من شجرة الصفصاف التي عند السيـاج ، نلاحظ انه يرتدي قبعة من فرو خروف أسود ، كما أن بقية ثيابه توحي بأنه « شركسي » . . . ولو عرفنا ان اسـمه « رسـول بن حمزة من قرية تسـاوا » إذن لقلنا إنه من بلاد داغستان التي تجمعنا بأهلها رابطة الانتماء إلى تراث واحـد هـو التراث الاسلامي . لـكن هذا الشاعر صار يسمى الآن « رسول حمزاتوف » ، وهو من حاملي جائزة سـتالين في الأدب ، ورئيس اتحاد الادباء في داغستان . . . وما إن هذا الرجل الانيق حين يسمع ألحان القيثارة الناعمة اللطيفة ، ويرى الطفلة الجميلة ، يتوقف ليسألها :

— من أنت ؟ . من أين جئت ؟

فتجيبه الطفلة :

— أنـا نوآره . . عازفة القيثارة .

يقول لها :

— لكنني لا أرى حولي قرية قريبة . أين تسكنين ؟

فتجيبه الطفلة : . .

— بيتي في النجوم وأنت ؟ . . أين بيتك ؟

فيقول لها :

— بيتي هو قصائدي . . ومدينتي هي الشعر .

الطفلة : إذن فأنت شاعر .

يجيبها : هكذا يصفونني بين الناس . هل تعرفين مـــاذا يعني « شاعر » ؟

الطفلة : نعم أعرف . . أمس مرّ من هنا رجل آخر فهمت منه القصة .

* * *

الرجل الأنيق « رسول حمزاتوف » يفرح باكتشاف هذه الطفلة .. يجلس قريباً منها ...

... هنيهة صمت ثم يفاجأ بسؤال :

الطفلة : اريد ان اصبح شاعرة . . فماذا افعل ؟ . . من أين أبدأ ؟

حمزاتوف : عندما تستيقظين من نومك فلا تقفزي من سريرك كأن أحداً عضك .. بل فكري قبل كل شيء بما حلمت به في نومك .

الطفلة : لم افهم كيف اكون شاعرة ؟

حمزاتوف : غنِّ إذا حلّ الربيع ، واحكِ حكايا إذا جاء الشتاء .

الطفلة : والكلمات ؟ . . هل اقول كل شيء ؟

حمزاتوف : بل عليك ان تقتصدي كثيراً في الكلمات . . . اسمعي هذه القصة : عندمـــا كنت طالباً في موسكو ، ارسل لي والدي نقوداً لأشتري معطفاً شتوياً . وانفقتُ النقود ولكني لم اشترِ المعطف . وعندما عدت إلى داغستان في عطلة الشتاء كنت ألبس ما لبسته حين غادرت داغستان إلى موسكو في اخريات الصيف ... وعندما وصلت الدار حاولت أن أعتذر عما فعلته مخترعاً اساطير بعضها اكثر غباءً وسخفاً من بعض . وعندما اضاعتني قصصي ضياعاً تاماً قاطعني والدي قائلاً :

— قف يارسول . اريد ان اسألك سؤالين .

— اسألني .

— هل اشتريت معطفاً ؟

□ لا

— هل انفقت النقود ؟

□ نعم .

— إذن فقد اتضح كل شيء . فلماذا تتقوّل كل هذه الاقاويل ؟.. ولماذا تخترع مقدمة طويلة كل هذا الطول وانت يكفيك كلمتان اثنتان لأيضاح ما هو مهم ؟

صمت الرجل الانيق هنيهة ثم قال : هكذا رباني ابي .

فسألته الطفلة : وهل كان ابوك شاعراً ايضاً ؟

حمزاتوف : كان شاعراً شعبياً . كان فلاحاً جبلياً يقول شعراً شعبياً مما يحبه بسطاء الناس ويتغنوّن به ... وكان لا يحب ان يتحدث احد عن قصائده . كنت احسّ بأنه يعتبر الشعر أمراً ليس فيه جد كثير . فالمسائل الجدية عنده هي فلاحة الأرض ، إصلاح الزريبة ، العناية بالبقرة والحصان ، جرف الثلج عن السطوح ، الاسهام في اعمال القرية ... وخلال كل ذلك كان يغني .

الطفلة : وأغانيه عن الحب ؟ . . هل كتب اشعاراً في الحب ؟

حمزاتوف : الحق انه كتب ذات يوم قصيدة غزل . ولكيلا يقرأها احد فانه لم يكتبها بلغتنا نحن اهل داغستان ، بل كتبها باللغة العربية ... كان يقول لي : ان الاغنية ضرورة حق للعصفور . ولكن مهمة العصفور الأولى هي ان يبني عشه وان يجد رزقه وان يغذي صغاره . كان ابي يعتبر قصائده مثل اغاني العصافير ، من كل الجوانب . وقد عرض قصائده

الأولى على احسن شاعر في ديرتنا . وهو « شاعر رسمي » ان صح التعبير ، فدهش الشـاعر الرسمي وقال انه لا يفهم ان يكون موضوع الشعر بقرة او جراراً او كلاباً او الطرق المؤدية إلى قريتنـا . فسأله ابي : « وعم يجب ان نتحدث ؟ » . فأجاب : « عن الحب ، والحب وحده . يجب ان نشيّد قصر الحب » . لكن ابي لم يبن قصراً للحب ، ولم يهتم به قط . وقصر الحب الذي بناه في قصائده كان : البيت ، الاسرة . الأولاد ، القـرية ، الحصان ، البلد ، السلام ، الأرض ، السماء ، المطر ، الشمس ، والزرع ..

* * *

يسكت الشاعر وتسكت الطفلة التي شردت مع افكارها إلى البعيد البعيد . . يسألها :

ــ بم تفكرين ؟

ــ افكر بنظرية ابيك عن الشعر والحب .

حمزاتوف : اسمعي هــذه الحكاية .. عندما بدأت انظم قصائدي الأولى ، وانا حدث يافع ، قال صديق قديم لأبي ، وهو شخص مشهور ومحترم جداً في داغستان :

ــ ما يلزم الآن لابنك رسول هو ان يصبح عاشقاً ولهان . لا يهم ان كان سعيداً او شقياً في حبه . لا يهم ان يلقى استجابة لغرامه او صداً . بل انه إن احب ولم يحب، من احب كان ذلك خيراً له ، حتى إذا لم يلق من حبه الا المحن والعذاب . عندئذ يصبح ابنك رسول شـاعراً كبيراً مثل محمود .

بل إن صديق والدي وجد فتاة جميلة جداً كان عليها ان تجعلني شقياً لأصبح شاعراً .

وأجاب أبي :

□ أتعرف كم في العالم من عشاق ؟ فهل هم كلهم شعراء ؟ . . يجب ان تكون هنالك عبقرية لكي يحب الانسان حباً جيلاً . وربما كانت العبقرية ضرورة للحب اكثر مما يكون الحب ضرورياً للعبقرية .

— لكن الشاعر محمود ، لولا ما اصابه من عذاب من محبوبته ، لما كان ذلك الشاعر الكبير .

□ صحيح تماماً . محمود شاعر كبير . وذلك إلى حد بعيد بفضل محبوبته . ولكنني اعتقد رغم ذلك ان هذه المحبوبة لو لم تكن موجودة فان محموداً على كل حال سيصبح شاعراً كبيراً . إن قوى القلق والثورة التي تتمخض في روحه لابد ان تشق طريقها كما تشق النبتة الغضة الخضراء طريقها نحو الشمس من خلال اكوام التراب الرطب الثقيل المظلم ... الا ترى العشب ينجم احياناً من تحت الحجر ؟ . .

* * *

قالت الطفلة : شوقتني لسماع قصة هذا الشاعر محمود .

حمزاتوف : يكفيني ان اقص عليك نهايتها . . فعندما مات الشاعر الكبير محمود ، وهو بعد في ريعان الشباب ، اخذ والده الحقيبة التي تضم قصائده وألقى بها في النار وهو يقول ، وقد سحقته المصيبة :

— احترقي ايتها الأوراق اللعينة التي كانت السبب في موت ولدي قبل اوان موته .

واحترقت الأوراق ، ولكن قصائد محمود بقيت على قيد الحياة . لم تنس من أغانيه كلمة واحدة لا تزال اغانيه تعيش في قلوب الناس . لا سلطان للنار ولا للماء عليها .

الطفلة : وهل كل الشعراء العاشقين يموتون وهم شباب ؟

حزاتوف : [يضحك] ليس الأمر بهذه البساطة . . فأبو طالب من أشهر شعراء الغزل عندنا . وقد عمرء طويلاً .

الطفلة : هل إن كل صنعة هذا الأبي طالب أن يقول أشعار الحب والغرام ؟ ماهي صنعته التي يعيش منها ؟

حزاتوف : كان ابو طالب في اول حياته راعي غنم . ثم مارس مهنة نحاس (صفار) . ولكنه ظل دائماً يحمل شبّابة الراعي ويعزف عليها كلما وجد دقيقة من فراغ وكانت مهنته تقوده من قرية إلى قرية . وها هو ذات يوم من الأيام ، في قرية بعيدة ، تأتيه فتاة تدعى « خانمة » وتحمل إليه دلواً نحاسياً مثقوباً . وحثت خانمة أبا طالب على إصلاح دلوها وهي تصرخ :

— لتكن سكايرك التي تلفها ، على أقل تقدير ، أكثر قصراً .

— فكري ياعزيزتي خانمة أن الانسان ، وأمامه فتاة جميلة ، يتمنى ان تكون سيكارته بطول ستة أقدام .

وأخيراً غضبت الفتاة . وكان على أبي طالب أن يرد إليها الدلو النحاسي بعد أن أنجز إصلاحه . . . كان الدلو يلمع كأنه دلو جديد . فقد عني به أبو طالب عناية فائقة . ولكن الفتاة لم تكد تستقي به الماء حتى نفذ منه . وبكت الفتاة غيظ وعادت إلى أبي طالب ، وقالت :

— رغم كل الوقت الذي أضعته في إصلاح دلوي فهو ما يزال يرشح أكثر مما كان يرشح .

— لعل الشباب يرمون دلوك بالحصا فيثقبونه . فلماذا تغضبين يا خانمة ؟.. لقد تعمدتُ أن أترك فيه ثقباً صغيراً لتعودي إليَّ وأراك مرة أخرى .

— ولكن ليت الشباب يرمون الحصا على رأسك لا على دلوي .

ومضت الفتاة . وتألم ابو طالب كثيراً . وتأججت نار حبه لخانمة يوماً بعد يوم . وكلمـا عظم اللهيب عظم الألم ونظم ابو طالب في ألمه قصيدة يغنيّ بها خـانمة وحبه لها . ثم كتب أغنية ثانية ، ثم عشراً ثم عشرين . وهكذا أصبح شاعراً شهيراً .

وخلال ذلك تزوجت خانمة شخصاً يسمى حاجي . ثم طلقت وتزوجت شخصاً ثانياً يدعى موسى . . وذات يوم كان الشاعر الشهير أبو طالب في الطريق ، فاذا امرأة تقول له : « أتستطيـع إصلاح دلو ؟ . . » والتفت الشاعر ليرى خانمة وقد أصبحت عجوزاً ناضبة مريضة .

— أنت تنفخ ريشك ياأبا طـالب . انظروا إليه . إنه ذو منصب كبير ، وله وسام . أحقاً نسيت مهنتك عندما كنت نحاساً ؟ . ولـكن فـكر قليلاً إنني أنـا التي جعلت منك شـاعراً يا أبا طالب . ولو لم آتك بدلوي لاصلاحه في ذلك العهد لبقيت نحاساً مغموراً .

فقال لها ابو طالب : إذا كانت قدرتك تصل إلى هذا الحد ياخانمة ، وإذا كنت تستطيعين حقاً ان تحوّلي الناس إلى شعراء ، فلماذا لم تجعلي من زوجك الحاج شاعراً ؟ . . أين هي أغاني موسى ، زوجك الثاني ؟

ومضى ابو طالب في طريقه وبقيت خانمة مسمرة في مكانها ، فاغرة فاها ، لا تدري بماذا تجيب ولم تتمالك مشاعرها الا عندما هطلت عليها القطرات الاولى من المطر فأيقظتها . . كلا ، ما من احد يستطيـع أن يخلق شاعراً من شخص ليس هو نفسه شاعراً . . . وفي الوقت ذاته فانه ليس ثمة قوة في الوجود تمنـع الشاعر الحقيقي من ان يقول الشعر الحقيقي . هل تعرفين الشيـخ شامل ؟

الطفلة : ومن هو الشيـخ شامل ؟

حمزاتوف : الشيخ شامل رجل دين ، إمام مسجد من ابناء شعبنا ،

قاد ثورة تحررية رائعة ضد الظلم والاستبداد في العهد القيصري الاسود ... الشيخ شامل بطل عظيم ومقاتل شجاع .

الطفلة : وما علاقة هذا بالشعر ؟

حمزاتوف : ذات يوم سئل الشيخ شامل من انصاره المقربين :

— يا إمام ، قل لنا لماذا منعت نظم الأشعار وتأليف الاغاني ؟

أجاب الشيخ شامل :

□ اريد ان يبقى الشعراء الحقيقيون وحدهم هم الشعراء . لأن الشعراء الحقيقيين يستمرون في نظم الشعر مهما حدث . اما الكاذبون ، اما المنافقون الذين يدّعون انهم شعراء فسيخافون ويسكتون لانهم جبناء . وهكذا يكفون عن خداع الشعب وعن خداع انفسهم .

— يا إمام ، قل لنا لماذا ألقيت في النهر بقصائد سعد الراكان ؟

□ يستحيل ان تلقى في النهر قصائدُ حقيقية إنها تعيش في قلوب الناس ولكن عندما تكون القصائد لا تساوي الورق الذي كتبت عليه ، عندئذ يحدث لها ما يجب ان يحدث . وعوضا عن ان يكتب سعد الراكان شعراً حقيقياً يحمله النهر معه يجب ان يشرع في كتابة شيء مفيد .

* * *

مرّ سرب من الطيور المهاجرة . وكان ثمة بلبل يغرد على غصن شجرة مجاورة . لكن الطفلة كانت مشغولة عن ذلك كله بقصة ذلك الشيخ الثائر الذي منع نظم الشعر .. فسألت :

— هل يمكن للشاعر ان يهجر الشعر ؟ . انت شخصياً هل حاولت ان تهجر الشعر ؟

حمزاتوف : كثيراً . . ولكنني عندمـا كنت اقرر ان اهجر الشعر إلى النثر كان الشعر هو الذي لا يريد ان يهجرني . إنه مثل قط أليف يأتي ليندس في فراشي وتحت لحافي عندما انام . وعندما افتح نافذتي صباحاً يتسلل اليّ كما يتسلل شعاع الشمس من وراء الجبال . انه ينتظرني في قعر الكأس مع قطرات الخمر الباقية ، والتي هي اطيب ما في الكأس . . . انني أتساءل احياناً : ما الذي يمكن ان يحل محل الشعر ؟ . . يقول أهل قريتنا الجبلية : « لقد خلق الشعر قبل خلق العالم بمائة سنة » وكأنهم بذلك يريدون ان يقولوا : لو لم يشترك الشاعر في خلق العالم لما كان العالم بهذا الجمال . . نعم هنالك بلدان بعيدة ، واغنية عصافير وشمس وقلب يخفق . ولكن لا يمكن ان يبقى ذلك كله كما كان لولا الشعر . تبقى المفاهيم الجغرافية بدلاً من نداء البلاد البعيدة يبقى خزان مياه كبير بدلاً من البحر . تبقى صرخة ذكر يدعو انثى بدلاً من اغنية عصفور . تبقى مجموعة من الغازات بدلاً من الشمس الزرقاء . وتبقى الدورة الدموية بدلاً من خفقة القلب . . نعم هنالك الحنـان والطيبة والشفقة والحب والجمال والشجاعة والحقد والكبرياء . ولكن كل هـــذه المفاهيم ولدت من الشعر وولدت الشعر . هـذه المفاهيم لا يمكن ان تعيش دون الشعر ، والشعر لا يمكن ان يعيش دونها . . . انا شخصياً خلقني شعري وخلقت شعري ، ويموت احدنا إن مات الآخر .

الطفلة : هل للشعراء اعداء ؟

حمزاتوف : اسمعي هذه القصة : عندما كنت طفلاً في السنة الثانية من المدرسة سرتُ في الدروب الوعرة في الجبل المؤدي إلى قرية « بصرى » وهي تبعد عشرين كيلو متراً عن قريتي « تسادا » . كان فيها شيخ عجوز هو صديق والدي الحميم . كان يعرف كثيراً من الاغـاني القديمة ومن الشعر ومن الاساطير . . وظل العجوز اربعة ايام من صباحها إلى مسائها

وهو يغنيني القصائد وانا احاول على قدر المستطاع ان اسجل الحانها .
فاذا عدتُ إلى المنزل عدت جـد مسرور وجعبتي ملأى بالقصائد والأغاني . . . فلما اجتزت الجبل العالي المشرف على « بصرى » طلعت عليّ من حيث لا ادري كلاب الرعاة الضخمة المتوحشة . كانت تنطلق في العشب الأخضر كما تنطلق الصواريخ في الأمواج لتصل إلى جناح السفينة الأسود . كنت ارى اشداقها المفتوحة ذات الأنياب الصفر الحادة التي كادت تمزقني إرباً إرباً . وكنت اسمع صرخة الراعي :

— نم . . لا تتحرك .

واستلقيت على الأرض والتصقت بها لا اتحرك ، اخاف ان اتململ حتى كدت اظن اني لا اتنفس . قلبي وحده كان يخفق فوق الأرض في قوة . وخـُيـِّل اليّ ان خفقاته تسمع بعيداً جداً . . . ووقفت الكلاب حولي تشمني وتشم جعبتي وما فيها من اشعار . ونظرت الكلاب انها اخطأت ، وينظر بعضها إلى بعض نظرات حائرة ، ثم تهرع إلى شخص تتصوره في خيالها وتختفي وراء الجبال . وأبقى مستلقياً في مكاني حتى يقترب مني الراعي ووراءه قطيعه :

— من أنت ؟

* انا رسول بن حمزة من تسادا .

— وماذا تصنع هنا في الجبل ؟

* ذهبت إلى بصرى لأبحث عن قصائد . . انها هنا في كيسي .

سحب الراعي القصائد من كيسي وجعل يتفحصها ثم قال :

— أتريد ان تكون شاعراً ايضاً ؟ . . اذن فلماذا تخاف من الكلاب ؟ ستلقى في طريقك في المستقبل كلاباً اشد سعاراً . وهؤلاء لن يتركوك اذا شموا رائحة القصائد كما تركتك كلابي هذه . . ولكن

إياك ان تخاف . لا تخف شيئاً على الاطلاق . اتعرف هذا الجبل ؟ . . من هذا الجبل قفز الحاج مراد لكي يتخلص من حراسه ، في تلك الثورة الشعبية الرائعة ضد الظالمين . وبقي الحراس وايديهم فارغة . واستطاع الحاج مراد النجاة . . إن الجبال في بلدك تهب لنجدتك فلا تخف .

* * *

الطفلة : كلامك هذا يخيفني . ما عدت اريد ان اصير شاعرة . . فأنا لا طاقة لي على القتال وخوض المعارك . كما انني اخشى ان اخسر .

حمزاتوف : يا عزيزتي . . لقد نقش إمامنا الشيخ شامل على سيفه هذه الحكمة : « من فكر ، قبل المعركة ، في نتائجها فليس شجاعاً » . . . ثم انني اطمئنك منـــذ الآن : في الشعر . . الشاعر الحقيقي لا يخسر معركة قط . . والمعارك التي تدور بينه وبين « النقاد » هي لخير الشعر ايضاً .

الطفلة : نقاد ؟ . . وماذا يعني « نقاد » ؟

حمزاتوف : يقولون : الناقد شاعر لم يستطع ان يكون شاعراً .

الطفلة : الا تشرح لي ذلك بقصة ؟

حمزاتوف : حسناً . . عندما كنت طالباً في معهد الآداب بالجامعة جرت الامور على النحو التالي :

كنا في السنة الاولى عشرين شاعراً واربعـــة قصاصين ومؤلفاً مسرحياً واحداً .

في السنة الثانية اصبحنا خمسة عشر شاعراً وثمانية قصاصين ومؤلفاً مسرحياً واحداً وناقداً واحداً .

في السنة الثالثة صرنا ثمانية شعراء وعشرة قصاصين ومؤلفاً مسرحياً وستة نقاد .

وفي نهاية السنة الخامسة لم يبق منا إلا شاعر واحد ومؤلف مسرحي واحد وتحول سائرنا إلى نقاد . . .

* * *

ملأ الجو ، حول الشجرة ، صخب سرب من العصافير التي كانت تلعب ، تلحق بعضها ، تهرب من بعضها ، تتصادم ، تهرب ، تدور حول الشجرة ، تتغلغل بين اغصانها . وهي خلال كل ذلك تصقصق بصخب رائع كأنها لم تصدق بعد انها تحتفل بمباهج الربيع فقال حمزاتوف :

— ما اشد حرارة الدم الذي يجري في عروق العصافير . انها تغني دائماً ، وطول حياتها ، الأغنية التي تعلمتها من اهلها . . . وللجداول دم حار ايضاً . فهي تغني دائماً انشودتها منذ آلاف السنين .

الطفلة : وأنت ؟

حمزاتوف : أما انا فيجب عليّ ، خلال حياتي القصيرة ، ان ابدع أغاني ترضاها السنون بين السنين والأجيال بعد الأجيال .

الطفلة : وأنا مثلك . .

حمزاتوف : يعني تريدين أن تكوني شاعرة ؟

الطفلة : نعم . . لكنني عندما أهمّ بأن اكتب اغنية تحاصرني الكلمات . . اشعر كأنني وقعت في مصيدة .

حمزاتوف : (يضحك) لكن لكل حيوان طريقته في الخلاص من المصيدة . لكل حيوان حيلة . . ولكل صياد طريقته في مطاردة الحيوان والامساك به . وكذلك فلكل كاتب طريقته ، اسلوبه في العمل ، طبعه ، كتابته . . وأنتِ إذا وجدتِ اسلوبك الخاص تحررت من ذلك الشعور .

الطفلة : وماذا يعني « اسلوب » ؟

حمزاتوف : اسمعي هذه الحكاية .. عندما كنا اطفالاً في مثل سنك ، لم يكن مباحاً لنا ان نذهب إلى مجلس القرية الذي كان يضم من هو اكبر سناً . . كنا نجلس على صخرة كبيرة ونراقبهم من بعيد .

ولاحظنا ذات مرة ان ضيفاً اسمه عبد الرحمن جاء من قرية بعيدة وظل يتكلم ساعة في المجلس . ولاحظنا ان الجماعة كلها كانت تصغي اليه ولا تقاطعه . . . وناقشنا الموضوع واقتنعنا ان عبد الرحمن لابد ان يكون حاملاً لأنباء هامة لولاها لما اصغوا اليه هذا الاصغاء الطويل . . . وحين عدت إلى البيت سألت أبي :

— ماذا حمل اليكم الضيف عبد الرحمن من اخبار ؟

* آه . . نحن ابناء تسادا سمعنا ما قاله عبد الرحمن اليوم عشرين مرة او تزيد . ولكنه يقص فى اسلوب جيد يدعونا إلى ان نسمعه حتى المساء . يا له من رجل . مدّ الله فى عمره .

ذلك هو الأسلوب ... وكان أبي يقول : « اذا وجد الشاعر اسلوبه فقد وجد شخصيته انه عندئذ يصبح شاعراً » . وكان يقول لي : « لا تكن فى عجلة من امرك . فالنبع الصغير الصاخب السريع لا يصل إلى البحر » . وكان يقول لي « العصفور الذي يبدل اعشاشه دائماً ولا يعرف انتقاء واحد منها يبقى اخيراً دون عش . . أليس خيراً لو بنى له عشاً ؟ » . . وذات مرة لاحظ ابي انني كنت احاول ان اقلد قصائد غيري فقال لي : « بعض اللصوص اذا سرقوا بقرة كسروا قرنيها او قطعوا ذيلها . بعض اللصوص بعد الاستيلاء على سيارة يصبغونها بلون جديد . ومع ذلك ، ورغم كل هذه الحيل ، تبقى السرقة سرقة . وكيف يكون الشاعر شاعراً اذا سرق وصبغ ؟ » . . يومها قلت لأبي : « انا لا اريد ان اشبه احداً ، لا عمر الخيام ولا بوشكين ولا بيرون » . وصارت اكبر لذة اشعر بها هو ان اسمع القراء يقولون : « إن رسولاً كتب كتاباً لرسول » .

الطفلة : وهل كتبت كتباً كثيرة ؟

حزاتوف : نعم . . يمكنك ان تقولي ذلك .

الطفلة : وما هو احسن كتاب كتبته ؟

حزاتوف : إن الانسان فى حاجة الى عامين ليتعلم الكلام ، والى ستين عاماً ليتعلم الصمت ولست ابن عامين ولا ابن ستين عاماً . انا فى نصف الطريق . ومع ذلك فيخيل اليّ اني اقرب إلى الستين . لأن الكلمات التي لم اقلها اغلى على قلبي من كل الكلمات التي قلتها . . الكتاب الذي لم اكتبه اغلى على قلبي من كل الكتب . وهو اكثرها قيمة وقدسية وصعوبة .

* * *

وكانت شمس الجبل قد بدأت تميل نحو المغيب . فنهض الشاعر ومشى بعيداً نحو قريته ، وقد نسي عند الطفلة ما كان قد جمعه من ازهار وفراشات . اما لأنه شاعر ، واما لأنه كان فيما يشبه الحلم . على ان حديثه كان مثل تلك الطفلة ، رائعاً .

قسطنطين موتشولسكي
الاستاذ السابق بدرجة اجرجاسيون في جامعة بتروغراد

دســــــــتويفسكي *

الانسان وآثـــاره

ترجمه عن الفرنسية : نهاد التكرلي

تمهيـــد

عاش دستويفسكي حياة فاجعة بصورة عميقة وكانت وحدته لا حدود لها . كانت المشاكل الكبرى التي لقيها مؤلف « الجريمة والعقـاب » تفوق ادراك عقول معاصريه الذين لم يروا فيه سوى مبشر بنزعة انسانية وشاعر يشدو بامجاد « المساكين » و « المذلين والمهانين » . كان عالم دستويفسكي يبدو لرجال القرن التاسع عشر وهمياً غير واقعي . فقد دأب تورجنيف وجونتشاروف وليون تولستوي على ان يصوروا بشكل ملحمي نظاماً راسخاً « للكون » الروسي ، بينما صرخ دستويفسكي ان هـذا « الكون » هش سريع الزوال وان الخواء يعصف تحته في غمرة السعادة العامة كان وحده الذي تحدث عن ازمة للحضـارة وعن كوارث لم يسمـع بها احد تهدد العالم . كان هياج مؤلف « مذكرات من العالم السفلي » ويأسه يبدوان في نظر معاصريه مرضيين بصورة غريبة . لذلك اعتبر دستويفسكي « نابغة معتلاً قاسياً » ثم غمره النسيان بعد حين وانقطعت الصلة الروحية بين الكاتب واجيال اعوام (٨٠ و ٩٠) .

---

* الفصل الاول من كتاب : " Dostoievski : L'homme et l'emre" من تأليف C. MOTCHOULSKI , عن دار نشر « بايو » Payot

الا ان الرمزيين « اكتشفوا » دستويفسكي في مستهل القرن العشرين قبيل الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ كانت الاسس التاريخية للحياة الروسية قد تزعزعت وقد ولدت نفوس جديدة كان تصورها للعالم جديداً مأساوياً . واصبح مؤلف « الشياطين » استاذهم الروحي : إذ استحوذ عليهم قلقه المفعم بالتنبؤات . وبعد ظهور كتب ميرجوفسكي وبولجاكوف وفولينسكي وايفانوف وروزانوف ومقالاتهم ازيل النقاب لأول مرة عن الديالكتيك الفلسفي الذي يتميز به دستويفسكي وتَقدّرت حق قدرها الثورة الروحية التي احدثها الكاتب . فاكتسب أثره بُعداً ثالثاً : هو العمق الميتافيزيقي . كانت مزية الرمزيين انهم تجاوزوا هذه النظرة النفسية البحتة التي كانت تُلقى على مؤلف الروايات ـ التراجيدية . وقد رأى القرن العشرون في دستويفسكي لا عالماً موهوباً في الامراض النفسية فحسب بل مفكراً دينياً كبيراً ايضاً .

« اكتشف » دستويفسكي من جديد بعد ثورة ١٩١٧ . في عام ١٩٠٥ حدس الناس الكارثة واحسوا بها بصورة غامضة إذ اعلنت عن نفسها بزمجرات خفية مكبوتة وفي عام ١٩١٧ انفجرت وزلزلت كل شيء . لقد انتهت إلى الأبد « السعادة الثقافية » المزعومة للقرن التاسع عشر ودخلت روسيا ومعها العالم بأسره عهداً مهدداً مليئاً بالثورات الاجتماعية والاخلاقية التي كانت مجهولة حتى ذلك الحين . لقد تأكدت هواجس مؤلف « الشياطين » واصبحت فلسفة « الكوارث » التي نادى بها هذا « الموهوب المعتل » الجو الروحي للعصر .

كانت سنة ١٩٢١ ــ الذكرى المئوية لميلاد دستويفسكي ــ حدثاً هاماً بالنسبة لدراسة آثار دستويفسكي . ففي الاتحاد السوفياتي وفي بلدان اخرى وضع جماعة من الباحثين الشباب (دولينين ، كوماروفتش ،

جروسمان ، تشولكوف ، فينو جرادوف ، تينيشـانوف ، بيم) الاسس والمبادىء لدراسة علمية وتاريخية وادبية لمؤلفات هـذا الروائي الكبير . لقد نشرت وثائق وطبعت مؤلفـات غير منشورة ومنسية للكاتب ، كما نشرت مجموعة كاملة لمراسلاته وطبعت مذكرات جديدة ودراسات عديدة ومجموعة من المقالات . ومن بين المنشورات الجـديدة تتميز كراسات دستويفسكي باهمية كبيرة بالاضافة إلى ان المسودات والملاحظات التي تمهد السبيل إلى رواياته الكبرى تحظى باهمية مؤثرة . فهي أشبه بمختبر تحضر فيه آثاره الخالقة : ونحن نشاهد باعيننا ميلاد خططه الفكرية والفنية ونموها وتطورها . اصبح بمقدورنا اليوم ان ندرس فـكرة الروايات — التراجيدية وقوانين بنائها وتركيبها .

كان جيل الرمزيين قد اكتشف دستويفسكي — الفيلسوف ، امـا جيل الباحثين المعـاصرين فقد اكتشف دستويفسكي — الفنان . وبذلك انهارت من اساسها وبصورة نهائية الخرافة القـائلة بانعدام الشكل وتفكك الاسلوب لدى مؤلف [الاخوة كارامازوف] . ان دراسة الاسس الفنية لآثار دستويفسكي وتركيبها ، وتقنيتها الادبية ، واسلوبها ، تمهد السبيل لولوج العالم الجمالي لهذا الروائي العظيم .

حياة دستويفسكي وآثاره متلازمة لا يمكن الفصل بينهما . فهو قد [عاش في الادب] وكان الادب علة وجوده ومصيره الفاجع . في جميع مؤلفاته اراد ان يحلّ مشكلة شخصيته الخاصة وهو لم يتحدث الا عما عاشه هو ذاته كان دستويفسكي يميل دائماً إلى فنّ الاعترافات : وآثاره تمتد امام اعيننا باعتبارها مسارة هائلة لا حدود لها وكشفاً كاملاً لفكره الشمولي . هذه الوحدة الروحية بين حياة المؤلف وآثاره هي التي حاولنا المحافظة عليها خلال هذا الكتاب .

الفصل الأول

الطفولة و لشباب

في القرن السابع عشر وفد فرع من فروع عائلة ليتوانية قديمة تدعى آل دستويفسكي ، للاقامة في اوكرانيا . كان جـد الكاتب اسقفاً ارثوذكسياً ، اما ابوه ميشيل اندريفتش فقد رحل الى موسكو عندما كان عمره خمس عشرة سنة وقد اكمل هناك دراسته في اكاديمية الطب وساهم في الحرب ضد نابليون وفى عام ١٨٢١ اصبح رئيساً للاطباء في مستشفى (ماري) في موسكو . كان رجلاً صعب الاحتمال عنيفاً مرتاباً كئيباً . وكانت تنتابه ازمات حزن مرضي ، كما كان يجمع في ذاته بين القسوة والحساسية والبخل والتقوى . كانت له زوجـة تدعى (ماري فيودوروفنا) من عائلة تجار تحمل اسم (نيتشاييف (وكانت وديعة الطبع ضعيفة الصحة تحترم زوجها وتجله احتفظ فيودور بمنمنمة من والدته نقشت عليها صورة ملاك مبسوط الاجنحة كتب عليها بالفرنسية هذان البيتان من الشعر :

قلبي مفعم بالحب

فمتى تحس به انت بدورك ؟

كانت المراسلة بين الزوجين تتسم بطابع من العواطف الحادة . فهو يكتب لها : « لا تنسي اني شقي لا ملاذ لي » وهي تجيبه : « لا تحزن يا عصفوري الصغير . خبرني يا عزيزي ما سبب هـذا الغم الذي يستولي عليك وما هي هذه الافكار الحزينة التي تراودك وما الذي يقض

مضجعك ؟ اشعر بالالم يهـ ر قلبي عندما اراك في هـذه الحالة النفسية التعيسة اتوسل اليك يا ملاكي ان تحافظ على نفسك من اجل حبي . . »

ثم من هـــذا الفيض العاطفي ينتقل والد فيودور فجأة وبسرعة الى المشاغل المادية : كان بعد رحيل زوجته واطفاله الى الريف يحسب من جديد الملاعق والقناني وثياب ماري ويبدي ارتيابه في الخدم . وهو يطلب من زوجته قائلاً : « اكتبي لي عما اذا كنت قد تركت عدداً من ثيابك ومن مقدمات القميص والقلنسوات او شيئاً من هـذا القبيل . تذكري واكتبي لي بصورة مفصلة لأني اخشى ان تكون (فاسيليسا) تسرقنا . » وهو يشكو الفاقة بلا انقطاع . « آه ، كم يحز في نفسي اني في ضيقي الحالي لا استطيع ان ارسل لك هدية بمناسبة عيدك . ان قلبي يذوب ألماً لذلك . »

ومع ذلك فهو لم يكن فقيراً : كان يتقاضى مرتباً قدره مائة روبل وكان له زبائن يزورونه بصورة منفردة وهو يسكن مجاناً وله تحت تصرفه سبعة خـــدم واربعة حصن وفي عام ١٨٣١ اشترى في اقليم (تولا) ملكاً يضم قريتي داروفوابيه وتشيرماجنيا .

ولد فيودور ميخايلوفتش دستويفسكي في ٣٠ تشرين الاول عام ١٨٢١ كان اخوه ميشيل يكبره بعام واحد واخته (باربه) اصغر منه بعـام . ويبدو من اقوال أناجريجوريفنا زوجة الكاتب : « ان فيودور كان يتذكر بمرح طفولته السعيدة الهادئة وكان يتحدث بحماس عن امه . كان يحب بصورة خاصة اخاه ميشيل واخته باربه . اما بقية اخوته واخواته الذين يصغرونه سناً فلم يتركوا أثراً في ذاكرته . »

تتسم مذكرات السيدة دستويفسكي بطابع التعظيم والتجميل لسيرة حيـاته : اذ لم تكن طفولة الكاتب زاهية الى هـذه الدرجة . كانت امه تقول انه يشبه النار وكان نزاعه مـع ابيه والخوف الذي يوحي به اليه

هذا الاب والذي ولد في نفسه خصومة صماء ، كل هذا قد جعل الطفل ينطوي على نفسه ويبدو كتوم الطبع للغاية . كتبت ماري مرة الى زوجها تقول : « لست مستغربة يا صديقي من نداءات فيديا . لا يمكن ان نتوقع منه شيئاً آخر . » وكان الاب يقول لابنه : « تعقل يا فيديا والا فان الامر سينتهي بصورة سيئة وتوضع الكبية الحمراء على رأسك . » لاشك ان الأب كان يمزح بتهديد ابنه بالجندية على هذا الشكل الا ان المزاح لم يكن يظهر حناناً خاصاً من جانبه .

كان الاطفال يرتعدون خوفاً امام ابيهم وكانوا يخشون نوبات غضبه ، وقد علم فيودور وميشيل اللاتينية . كتب مرة اخوهما الاصغر (اندريه) في مذكراته : « لم يكن اخواي اثنـــاء الدرس الذي يستمر في اغلب الاحيان ساعة او اكثر يستطيعان الجلوس او حتى الاستناد الى المنضدة . كانا يقفان هكذا مسمرين في الارض وهما يرددان بالتناوب : منسا ، منساي او يصرفان الفعل : أمو ، أماسي ، آمات . » في الصيف عندما كان الدكتور ينعم بقيلولته بعد الغداء ، كان من واجب احد الاطفال أياً كان ، ان يبعد الذباب عن النائم بواسطة غصن من الزيزفون .

كان نظام الابوة هذا يأتلف بصورة غريبة مع الاسلوب العاطفي الذي يتميز به العصر . ويشق علينا ان نعيد قراءة رسائل الحنان المصطنع التي كان يوجهها كاتب المستقبل الى ابيه فقـــد جاء في احدهـا مثلاً عام ١٨٣٨ : « ابي الحبيب . يا الهي كم مضى زمن طويل منذ ان انقطعت عن الكتابة اليك ! منذ ان حرمت لذة تذوق هذه السويعات من الغبطة الحقة الصافية السامية الغبطة التي لا يشعر بها الا اولئك الذين يعرفون الشخص الذي يتقاسمون معه ساعات الفرح والشقاء ، الشخص الذي يصارحونه بكل ما يعتلج في نفوسهم . آه ، باية لهفة اتمتع بهـذه الغبطة . » وتنتهي الرسالة بطلب مبلغ من النقود .

كانت الرسائل التي يكتبها دستويفسكي الى ابيه من مدرسة المهندسين مليئة بهذا النوع من الهتافات والتأملات الاخلاقية والشكاوى المادية . كان الشاب يعزف على الوتر الحساس لأستمالة هـذا « العجوز المتصلب كالجلد » وإثارة حنانه . كتب عام ١٨٣٩ يقول : « تتطلب حياة المخيم من كل تلميذ في المدارس العسكرية ٤٠ روبلاً على الاقل (وانا اتطرق الى هذا الموضوع لاني اتحدث الى ابي) . اني لا احسب ضمن هـذا المبلغ المواد الثانوية كالشاي والسكر . . الخ رغم ان هذه الاشياء ضرورية . ضرورية لاحسب العرف الجاري بل بمحض الضرورة القصوى . فعندما يبللني المطر تحت خيمة من القماش او عندما اعود من التدريب وانا ارتعد من البرد في مثل هذا الجو القاسي فمن الممكن ان امرض اذا لم اتناول شيئاً من الشاي . وهذا ما حـدث لي في السنة الماضية اثناء المناورات . إلا اني رغم هذا لن اتناول الشاي بعد الآن ما دمت تعاني هذا العسر المالي . اني لا اطلب منك الا ما يلزمني بصورة قصوى لشراء زوجين من الجزم الاعتيادية اي ستة عشر روبلاً . »

وفي رسالة اخرى تأتي حكم اخلاقية لتأييد التهديد بعـدم شرب الشاي : « يجب على الابناء الشاعرين بوضع آبائهم ان يشاركوهم كل شيء ، الفرح والحزن ومن واجبهم تحمل هموم آبائهم . لن اطالبك بالشيء الكثير . ثم ماذا ؟ حتى اذا لم اتناول الشاي فاني لن اموت جوعاً سأجد مخرجاً لذلك بصورة او باخرى . . . »

الا ان دهاء الابن يصبح اقل براءة عندما يلجأ الى اسباب اكثر جدية من الحرمان من الشاي « لخديعة » ابيه : « قبل ايام تناولت القربان واقترضت نقوداً لمكافأة الاسقف . منذ زمن طويل لم اعد املك ولو كوبيكا واحداً . . . »

بعد وفاة زوجته التي كان حبها المتواضع قـد لطف من طبعه الجائر طلب ميشيل اندرييفتش احالته على المعاش واقام في املاكه . هنالك

استسلم الى السكر والمجون والى لذة تعذيب عبيده . وقد كتب احـد الفلاحين في داروفواي » يدعى (مكاروف) متذكراً سيده على هذا النحو : « كان هذا الرجل حيواناً بكل معنى الكلمة وكانت نفسه معتمة وفي هـذا الكفاية . . كان سيداً قاسياً قليل التهذيب ، لكن السيدة كانت لطيفة للغاية . لم يكونا على وئام تام وكان يضربها احياناً كما كان يجلد فلاحيه بالسوط لاتفه الاسباب . » في ١٨٣٩ اقدم هؤلاء الفلاحون على قتله في ظروف وصفها اندريه دستويفسكي : « كان ابي قد اهان فلاحيه في سورة من الغضب فرد عليه احدهم بخشونة وكان اجرأ من الآخرين . ثم اخذه الخوف من النتائج التي يمكن ان يؤدي اليها تهوره فصرخ قائلاً : (هيا ايها الرجال ، لنقتله) عندئذ ارتمى على ابي خمسة عشر فلاحاً وهم يطلقون صرخات عدائية ، وبالطبع اجهزوا عليه باسرع من لمح البصر . » وتضيف ابنة الكاتب ليوبوفا : « عثرنا عليه بعد حين على قارعة الطريق مخنوقاً تحت وسائد العجلة . كان الحوذي قد اختفى مع الجواد . »

لا تحتوي رسائل دستويفسكي على اية اشارة الى هذه الميتة الفاجعة وهو لم يتفوه بكلمة عن ذلك طيلة حياته بحيث اكتسب صمته طابعاً مخيفاً . ويخبرنا احد اصدقائه وهو البارون (رانجل) انه لم يكن يميل إلى التحدث عن ابيه وكان يرجو ان لا يسأله احد عن هـذا الموضوع ويشير أ . سوفورين إلى حادث فاجع في الحياة العائلية ويضيف : « لقد زاد الصرع الذي كان يعانيه دستويفسكي منذ الطفولة في الانتقال عليه وفي جعل حياته سلسلة من الآلام . كان قد كابد اثناء طفولته وصدم بحادث فظيع معذب لا ينسى وكان مرضه نتيجة له . » ويؤكد الدكتور إيانوفسكي ذلك عندما يكتب : « اصيب فيودور في طفولته بحادث من هـذه الحوادث الموجعة التي لا تمر من دون ان تترك اثراً في الشخص البالغ والتي تولد ميلاً للأمراض العصبية وبالتالي إلى الصرع والى هـذه الكآبة وهـذا الطبع الكتوم المرتاب الذي يعزى بصورة عامة لدى

دستويفسكي إلى نضاله ضد الفاقة ، رغم ان هـذه الفاقة لم تكن ابداً ملحة إلى هذه الدرجة . »

هذا الحادث الفظيع الذي يتحدث عنه سوفورين وإيانوفسكي لم يكن سوى الموت العنيف الذي اصاب الأب دستويفسكي . لكنهما يخطئان في رده إلى طفولة الكاتب لأن دستويفسكي كان قد بلغ الثامنة عشرة اثناء وقوعه . ابتداء من هـــذه اللحظة تغيرت في الواقع طباعه فجأة . فاصبح هذا الصبي الفاره الذي يشبه النار كما تقول امه شاباً صموتاً متأملاً صعب المعاشرة . وعلى هذه الصورة وصفه رفاقه في مدرسة المهندسين اما السمات البارزة التي ذكرها إيانوفسكي : الطبع الكئيب ، الكتوم ، المرتاب فانها صفات ورثها عن والده . لم تكن الظروف المأساوية لموت ابيه وحدها التي بلبلت خيال الابن وزعزعته بل كذلك شعوره الخاص بالاثم . لم يكن قد احب اباه وكان دائم الشكوى من بخله كما انه وجه اليه قبيل الحادث رسالة سخط وتبرم . لذلك اصبح الآن يشعر بنفسه مسؤولاً عن موته ومهدت هذه الهزة النفسية الطريق امام ظهور المرض . لقد اصطدم دستويفسكي في منطلق حياته الشعورية وفي مرحلة الرجولة بمشكلة الآباء والابناء ، والجريمة والعقاب ، والخطأ والمسؤولية . كان ذلك في نفس الوقت اصابة فزيولوجية وجرحاً معنوياً وهو لم يتحرر من هذا الجرح إلا في نهاية حياته عندما كتب « الاخوة كارامازوف » وبعد ان جعله ينتقل ويتجسد في فنه ان صح هذا التعبير .

لاشك ان هذا القول لا يعني بان فيودور كارامازوف كان صورة طبق الاصل لميشيل اندرييفتش . كان الكاتب يعرف فنه جيداً ويعرف كيف يتصرف بحرية بالمادة التي تزوده بها الحياة . الا ان « فكرة » كارامازوف العجوز نفسها استوحاها دستويفسكي بدون شك من ذكرى ابيه . كتبت ابنته ليوبوفا في مذكراتها : « بدا لي دائماً ان دستويفسكي فكر في ابيه

عندما خلق نموذج كارامازوف العجوز . » كان الطفل قد كشف الرياء بسرعة في هذا الاطار العائلي وتحت هذه الاشكال التي توحي بالاحترام لحياة منظمة بقسوة وصرامة . ويمكن القول ان جميع روايات دستويفسكي مستوحاة من سيرته الذاتية بالمعنى العميق لهذه الكلمة وهو في مخطوطة « المراهق » يتحدث عن نفسه بدون شك عندما يقول : « هنالك أبناء فكروا منذ طفولتهم فيما كانوا يرونه في عائلتهم وشعروا بالاهانة منذ نعومة اظفارهم بسبب بشاعة آبائهم الاخلاقية ، آبائهم ومحيطهم ، والذين على الاخص بدأوا يفهمون منذ طفولتهم الصفة المشوشة العرضية لاسس حياتهم نفسها وانعدام الاشكال الثابتة والتقاليد العائلية » . وعائلة الطبيب العسكري دستويفسكي المتنبل وملاك الارض الصغير ، ينطبق عليها هذا التعريف بصورة تامة .

عندما تقدمت السن بدستويفسكي كان يروق له الرجوع إلى ذكريات الطفولة : ولأجل انعاشها ذهب لزيارة ضيعة ابيه القديمة التي بيعت قبل زمن طويل . وقد تذكر « اجرافينا » الساذجة التي كانت تسير بالقميص خلال فصول السنة كلها والتي كانت تنام في المقبرة وتروي لجميع الناس موت طفلها . و « فكرة » الأب كارامازوف وهي محرك الرواية كلها ولدت بصورة طبيعية صورة اجرافينا اخرى ، هي (ليزابيث سميردياجايا) ساذجة قرية داروفوايبه كما ولدت اسم قرية تشيرماشنيا ، مما يؤكد بصورة غير مباشرة الصلة التي تربط بين فيودور كارامازوف وأب دستويفسكي .

يمكننا ان نلخص طفولة دستويفسكي فيما يأتي : عالم صغير خفي لعائلة ذات سلوك رتيب ، وخلف حباك الحديقة منتزه المستشفى الذي يتجول فيه المرضى وقد ارتدى كل منهم مبذله وقلنسوته ، حكايات طير النار وايفان تساريفتش التي ترويها المرضعة (لوكيريا) ، قداس طويل

يوم الاحـــد ، وفي كل امسية قراءة في البيت على افراد العائلة . لقد احتفظ دستويفسكي بذكرى خادمة ضخمة تدعى (اليونافرولوفنا) علمته عندما كان عمره ثلاث سنوات تلاوة هذه الصلاة : « كل املي اضعه فيك يا ام الاله . ابقني تحت حمايتك » . كانت اهم الحـــوادث الضخمة التي يعيشها الطفل في تلك الفترة هي هذه النزهات المرسومة بدقة التي يقوم بها في غابة (ماري) [1] تسودهـا احاديث ابيه بخصوص التقوى ، او الحج السنوي الى دير (ثالوث سانت سيرج) وكان يصاب بالذهول عندما يشاهد هناك اسلوب بنـــاء الكنائس والتصاوير الجدارية واغاني الخورس المتناغمة وحشد الحجاج وكان كما يروي يصاب بالدهشة لمرأى الاساقفة وهم يطردون الارواح الشريرة من الممسوسين . كانت امه تعلمه القراءة في انجيل مصور ثم جاء شماس ليلقي عليه دروساً وكان يروي له بصورة اخاذة حكايات مستقاة من الكتاب المقدس . لم تكن عائلة دستويفسكي تخرج ابداً لزيارة احد ولم تكن تستقبل اي شخص وكان الاطفال يعيشون بدون رفقاء لا يكادون يتصلون بالعالم الخارجي . اخذوهم إلى المسرح مرتين او ثلاثاً ، والكاتب يتذكر انه رأى « جاكو او القرد البرازيلي » ثم بعد حين اعجب بالممثل الشهير (موتشالوف) عندما رآه في مسرحية « قطاع الطرق » لشيلر . ابتداء من ذلك الوقت — كان عمره عندئذ عشر سنوات — تولد في نفسه الاعجاب والحماس للشاعر الالماني .

كان فيودور وميشيل يغرقان في احلام اليقظة العاطفية بعد ان انقطعت كل صلة بينهما وبين الحياة : فكانت اشعار ديرجافين وجوكوفسكي وبوشكين واقاصيص كارامزين وروايات وولتر سكوت تفتح امام اعينهمـا عالم التخيلات المسحور . كان يراود احلامهما ابطال سريعو التأثر وفرسان شجعان وكان ميشيل ينظم اشعاراً في الخفاء بينمـا كان فيودور

---

(۱) منتزه في ضواحي موسكو .

يعتقد بنفسه انه ويفرلي (١) اوكنتن ديروورد ، فكان يرى بخياله فينيسيا والقسطنطينية والشرق الاسطوري . كان الشقيقان يحفظان بوشكين عن ظهر قلب . وقد كتب دستويفسكي بعد حين بصدد موت الشاعر (١٨٣٧) . « لو لم نكن نرتدي ثياب الحداد عندئذ (كانت امه قد توفيت في ذلك الوقت) لطلبت إلى ابي الاذن بارتدائها لموت بوشكين . »

كان فيودور الصغير يلتهم الكتب : روايات عاطفية وروايات تاريخية ، [تاريخ روسيا] بقلم كارامزين واقاصيصه . كان يقرأ كل شيء ويحفظ كل شيء ولم يكن ذلك بمجرد حب استطلاع بل كان شغفاً حقيقياً بالأدب . دوّن في مسودة رواية لم يكتبها بعنوان [حياة آثم كبير] ما يلي : [تحليل نفسي مفصل لتأثير الكتّاب في الطفل ، [بطل عصرنا] بقلم لرمنتوف . يقرأ بصورة هائلة (وولتر سكوت ... الخ) . وهو واسع الفكر للغاية يعرف اشياء كثيرة . يعرف جوجول وبوشكين . يعرف الانجيل بكامله . الاشارة إلى التأثير الذي احدثه فيه الانجيل ، وهو متفق مع ما جاء فيه . يقرأ تاريخ ـــوفوروف . حكايات عربية . احلام اليقظة] . ومن الواضح للعيان ان كل هذه الملاحظات تتعلق بسيرة الكاتب الذاتية بصورة لا تقبل الشك .

كان دستويفسكي الشاب يعتقد ان الانطباعات التي يتركها الادب في النفس اشد وقعاً من تلك التي تتركها الحياة . لذلك يمكن القول ان طبيعته الاخلاقية كانت تحددها قراءة وولتر سكوت وشيلر اكثر بكثير من تأثير الطبيعة او تأثير الوسط العائلي . كان دستويفسكي بحكم طبيعته مخلوقاً باطنياً تجريدياً . وما هو باطني تزيد قيمته لديه دائماً على ما هو خارجي . وقد أخلّ توتر حياته الاخلاقية بتوازن كيانه ومهدّ السبيل إلى مأساة شخص حالم يتوق عبثاً إلى [الحياة الحية] . والمشكلة التي يطرحها

(١) بطل رواية « ويفرلي » لولتر سكوت .

[رجل العالم السفلي] تعود إلى مرحلة شباب الكاتب المليئة بقراءة الكتب وبالتأملات [المجردة] .

في عام ١٨٣٣ أقام الاخوان دستويفسكي في بانسيون لدى شخص يدعى [سوشار] وهو فرنسي ذو ثقافة اعتيادية يعلم مع زوجته بصورة لا بأس بها المبادىء الاولية للغة الروسية . وقد وُضعت عادات هـذه المؤسسة الغريبة في رواية [المراهق] . بعـد سنة انتقل الصبيان إلى بانسيون [شيرماك] وهو مؤسسة بطريركية يعلم فيها احسن اساتذة موسكو ، ومن جملتهم العالم دافيدوف الذي كان يدرس فيها الادب الروسي . لم يتخذ فيودور اصدقاء له في هذه المدرسة وقد بقي بعيداً عن رفاقه . كانت عربة الاب تأتي كل يوم سبت لاخذهما واعادتهما إلى البيت حيث تنتظرهما كتبهما المفضلة . وكانت امهما تعاني من مرض صدرها ثم ماتت في ١٨٣٧ ولم يؤثر موتها في فيودور بقدر ما اثر فيه موت بوشكين .

عندئذ قرر والد دستويفسكي ان يذهب للاقامة في الريف مع صغار ابنائه وان يُدخل ميشيل وفيودور في مدرسة المهندسين في بطرسبورغ . اخذهما إلى العاصمة في مايس ١٨٣٧ ووضعهما في بانسيون [كوستوماروف] لاعدادهما لدخول امتحان القبول وفي [يوميات كاتب] يذكر دستويفسكي هذه الرحلة . [كنا اخي وانا نتشوق إلى حياة جديدة وكنا نحلم باصرار بشيء « سام وجميل لأن هذه الكلمات كانت ما تزال تحتفظ بطراوة خالية من كل تهكم . كنا نشعر بايمان مشبوب وبالرغم من اننا كنا نعرف بان الاسئلة التي ستطرح علينا سيكون موضوعها الرياضيات لم نكن نحلم الا بالشعر والشعراء . كان اخي ينظم اشعاراً ، ثلاث قصائد في اليوم ، وكان يكتب حتى اثناء الرحلة . اما انا فكنت اؤلف في فكري رواية عن حياة فينيسيا . لم يكن قد مرّ على موت بوشكين اكثر من شهرين وفي الطريق اتفقت مع اخي بان نذهب حال وصولنا إلى بطرسبورغ إلى المكان

الذي حدثت فيه المبارزة وان نحاول الدخول إلى شقة بوشكين لنرى الغرفة التي اسلم فيها الروح .]

الا ان رواية فينيسيا قطعت فجأة حالما اصطدم دستويفسكي بالواقع الروسي : في محطة بريد كائنة قرب ضواحي (تفير) شاهد الكاتب ناقل بريد بملابس رسمية [وهو رجل ضخم الجثة محتقن الوجه] يؤدب حوذياً ويكيل له اللكمات تباعاً بقبضته القوية . كتب يقول : [بقيت هـذه اللوحة دائماً عالقة بذهني ولم استطع نسيان ناقل البريد هذا أبداً . بقيت زمناً طويلاً وانـا اميل رغماً عني إلى الحكم بصورة تعسفية على الجـانب المخجل والقاسي لدى الشعب الروسي] كان هذا الشاب الحاكم يستيقظ لأول مرة على الواقع وقد بعثت ذكرى ناقل البريد في حلم راسكولينكوف الذي يرى حصاناً هزيلاً يموت تحت ضربات (ميكولكا) .

في بانسيون (كوستوماروف) غرق الاخوان دستويفسكي في الهندسة وفي فن التحصين . وقد اجتاز فيودور الامتحان وقُبل في مدرسة المهندسين في كانون الثاني ١٨٣٨ . امـا ميخيل فلم يُقبل لأسباب صحية واعيد إلى (رفال) ليشتغل في معارف الهندسة المدنية .

عندئذ بدأت مراسلة نشيطة بين الاخوين . كانت سنوات الدراسة في قصر المهندسين فقيرة بالحوادث وكان فيودور الشاب يتابع بسأم مجرى الدروس والامتحانات والاشغال في الهواء الطلق . بقي يكابد بمشقة وألم هذا النظام الصارم بالاضـافة إلى مقته الرياضيات . كانت اكثر التقـاليد العسكرية صرامة وقد حوفظ عليها في هذه البناية القاتمة التي اغتيل فيها الامبراطور بول الاول ، ولكن كانت تسودها كذلك « روح سـرية » : فهنالك تلميذان هما الموسيقار تشيخاجوف وأنيياس رياجانيوف مـا كادا يتقبلان ضابطين مهندسين حتى دخلا مترهبنين في دير سان سيرج وليس من المستحيل ان يكون هذا التيار الصوفي قد مس دستويفسكي الشـاب

أيضاً ولو مساً خفيفاً . تتميز هـذه الفترة الرومانتيكية من حياة الكاتب بحماسه للادب واجلاله المحتدم للصداقة . وقـــد اتخذ صديقاً له جيدلوفسكي وهو موظف شاب في وزارة المال وشـاعر . كان جيدلوفسكي يكتب اشعاراً ذات مسحة صوفية غامضة وكان يضطرم حباً مثالياً ويتكلم بانتشاء عن مملكة الله ويحلم بلذة في الانتحار . كان قد فقد كل وهم : فليس بوسع المرأة المحبوبة أن تلهمه حتى آثاراً عظيمة وهي لا تستطيـع ان [تستخرج الحاناً من قيثـارته المسحورة بعطر زهـرة غير متوقعة] . ترنّ في نفسه ابيات شيلر ونوفاليس وتطوف فيها ظلال غير ملموسة من شعر جوكوفسكي وتنعكس فيها افـكار [فلسـفة الطبيعة] لشلنج . وهـو يعتقد ان الانسان وسيلة لانتـاج كل ما هو سام في الانسانية وان الجسد اناء من الصلصال سيحطم إن آجلاً او عاجلاً . ودستويفسكي يتحدث عن جيدلوفسكي إلى اخيه بعبارات تفيض بالحماس المنتشي ورسائله تجـــر الاسلوب الرومانتيكي إلى حدود المحاكاة الساخرة . لا يرى كل شيء بعيني صديقه فقط بل يشعر ازاء كل شيء بنفس المشاعر . ولأول مرة تتجلى على هذه الصورة موهبة الكاتب في [التحول إلى مسخ] .

في ١٨٤٠ كتب إلى ميشيل : [لو كنتَ قد رأيته في العام الماضي يكفي ان تنظر اليه لتعرف بانه شهيد ! كان نحيفاً غائر الخدين وعينـاه يابستان متأججتان . كان الجمال المعنوي لوجهه قد زاد في ذبوله الجسدي . كان يتألم ويتألم بصورة هائلة ! يا الهي ، كم يحب هذه الفتاة ... لولا هذا الحب لما اصبح راهباً للشعر بهذه الصورة النقية السامية المنزهة عن الغرض . . كنت ارى امامي مخلوقاً جيلاً سامياً ، الوجه الحقيقي للانسان الذي يصفه شيكسبير وشيلر ، لـكنه كان منذ ذلك الحين يوشك ان يقع في الهوس الكئيب الذي يسيطر على ابطـــال (بيرون) . كنا في اغلب الاحيان نقضي سويةً أماسي كاملة ونحن نتحدث عن كل شيء . آه ،

يا للنفس النقية الصريحة ! حتى هذا اليوم ما اكاد اتذكر الماضي حتى اشعر بالدموع تسيل من عيني . حلّ الربيع وبعث فيه الحياة من جديد . بدأ خياله يخلق مسرحيات ، واية مسرحيات يا أخي ! وقصائده الغنائية ؟ آخر مرة كنا نتنزه في [يكاتير بخوف] . آه . كم تمتعنا بهذه الامسية الاخيرة ! تذكرنا شتاءنا واحاديثنا عن هومير وشيكسبير وشيلر وهوفمان . خلال الشتاء الماضي كنت اعيش في حماس مستمر . لقد منحتني صداقة جيدلوفسكي ساعات لا حصر لها من حياة افضل] .

بعد فترة قصيرة افترق الصديقان إلى الابد . اما مصير جيدلوفسكي ، هذا الرومانتيكي الروسي المتصوف ، فاننا نعرفه من رسالة كتبتها زوجة ابنه إلى السيدة دستويفسكي في ١٩٠١ . كان قد انقطع بعد حين عن نظم الاشعار وكرس جهوده لكتابة تاريخ للكنيسة الروسية . [لكن لم يكن بامكان الدراسة العلمية ان تستنفذ بصورة كاملة فعاليته المعنوية . كان يشعر بتناقض باطني وباحساس بعدم الرضى من كل شيء وهذان السببان دفعاه حوالي ١٨٥٠ إلى دخول دير (فالوي) . ثم لم يجد في هذا الدير الطمأنينة التي كان يتوق اليها فشرع في الحج إلى (كييف) ، وهناك نصحه تقي عجوز ان يعود إلى بيته في الريف ، ففعل ذلك وعاش هناك حتى وفاته من دون ان يترك ثوب الرهبنة . ان حياته الغريبة المليئة بكل هذه التقلبات أحسن دليل على طبيعته المتحمسة القلقة . كانت لديه عاطفة اخلاقية عميقة تجد نفسها في اغلب الاحيان متعارضةً اشد التعارض مع تصرفاته الغريبة . لكن الايمان الصادق حلّ في نفسه فجأة بدل الشك والانكار] . بقي جيدلوفسكي في ملكه يعيش حيناً حياة ماجنة مع فرسان الشكنة القريبة من أرضه ، او يقوم احياناً بالوعظ . [وبقي الناس زمناً طويلاً يرون في اطراف اقليم خاركوف رجلاً طويل القامة يرتدي ملابس الحجاج وهو يلقي وعظاً من الانجيل في باب الحانات ، على جماعة من الفلاحين] .

لا شك ان الرومانتيكية الروسية مع كل التعقيد الموجود في مظاهرها المتنوعة فكرة من الافكار الاساسية في آثار دستويفسكي . فهو بعد ان بدأ بالاعجاب المتحمس بها انتقل إلى نقدهـا ومهاجمتها ثم انتهى به الامر في نهاية حياته إلى الاعتراف بكل قيمتها . كان دستويفسكي من الكتّاب الذين لا يبدعون مخططات مجردة بل يخلقون كائنات حية تحمل [رسالة فكرية] . وهو قد عاش الرومانتيكية في صداقته المتأججة مع جيدلوفسكي أي عاشها في كـائن انساني واقعي . و (اورينوف) في اقصوصة [سيدة البيت] هو اول بطل رومـانتيكي في هذه السلالة من الابطال الرومانتيكيين التي تنتهي بديمتري كارامازوف وهو ينشد اشعار شيلر . بقي دستويفسكي طيلة حيـاته يتذكر صديق شبابه ، وتروي زوجته انه احب (فلاديمير سولوفيف) لمجرد ان هذا الفيلسوف الشاب كان يذكره بجيدلوفسكي .

هناك صداقة رومانتيكية ثانية توثقت عراها حوالي ١٨٤٠ بطلها رفيق اكبر سناً من دستويفسكي يدعى (ايڤان بيرجتسكي) . وقد تحدث عن ذلك (سافلييف) معيد مدرسة المهندسين ووصفه بانه شـاب انيق . [حدث لي مراراً عديدة ان اري في ساعات الدرس او اثناء النزهة دستويفسكي يتجول وحده او بصحبة بيرجتسكي رفيقه في الدروس العليا . كانا في اغلب الاحيان يتظاهران بالتوعك فيبقيان قرب سريرهمـا يقرآن او يتجولان سـوية خلال المراقد . لسوء الحظ لا يزال من العسير جـداً اليوم كما كان في ذلك العهد تحديد الصفة الحقيقية لصـداقة هذين الشابين . . . كنا نعتبر بيرجتسكي شاباً غنياً وكان يحب التباهي بموارد الثروة التي تحت تصرفه فكان يحمل ساعة وخواتم مرصعة بالماس وكانت لديه نقود باستمرار . كان يتميز بسلوكه الاجتماعي وباناقة زينته وبنعومة خـاصة في تصرفاته .] . كتب (خليبنيكوف) في (مذكراته) : [اتذكر إلى اية درجة كـان دستويفسكي وبيرجتسكي يتحمسان لقراءة شيلر سوية ، ان لم تخني ذاكرتي . كانـا يقرآن ثم يتناقشان بعد ذلك

كانـا يطوفان بالقاعات والمراقد بكل سرعة ، احدهما يسير امـام الآخر وكأنه يريد النجاة بنفسه لكي لا يسمع اعتراضات الآخر . بصورة عـامة كان بيرجتسكي هو الذي يسير في المقدمة ودستويفسكي يطـارده ليعرض عليه افكاره] .

كان دستويفسكي خلال صداقته مع جيدلوفسكي مريداً مغلوباً على امره تسحقه عبقرية صديقه الشاعر اما في علاقته مع بيرجتسكي الانبق فكان هو الذي يلعب الدور الفعال . كان يفرض على صديقه الاجتماعي عظمة « دون كارلوس » [1] والمركيزدي بوزا . وبينما كان قبلاً يحاول تقمص شخصية جيدلوفسكي فانه الآن يحيل بيرجتسكي الى بطل من ابطال شيلر . كتب الى اخيه : « كان يعيش معي رفيق هو المخلوق الوحيد الذي كنت احبه للغاية . كتبت لي تقول باني لم اقرأ شيلر . انك تخطىء يا اخي . فانا حفظت شيلر عن ظهر قلب : كنت اتكلم مثله واحلم مثله وانا اعتبر ان احسن صنيع حباني به القدر في الوقت المناسب هو اتاحته الفرصة لي بان اتعرف على هذا الشاعر العظيم في هذه الفترة بالذات من حياتي ، والا لما كان بامكاني ابداً ان افهمه كما فهمته في ذلك الحين . كنت اثناء قراءتي شيلر معه ارى فيه النبيل المحتدم دون كارلوس والمركيزدي بوزا ومور تيمير . لقد سببت لي هذه الصداقة حزناً كبيراً ومتعة كبيرة . اما الآن فلن اعود الى التحدث عن ذلك ابداً . اصبح اسم شيلر مألوفاً لديّ كأنه صـــوت ساحر يستدعي الهواجس والاحلام ، وهذه الهواجس اليمة مريرة يا اخي وهذا هو السبب في اني لم احدثك عن شيلر وعن الانطباعات التي تركها في نفسي . اني اتألم حتى عندما اسمع احداً يتلفظ اسم شيلر . »

---

(١) بطلا دراما « دون كارلوس » لشيلر .

هذه الرسائل التي يكتبها دستويفسكي الى اخيه لا تحدثنا عن المدرسة ولا عن الدروس والاساتذة . لم يكن الشاب الحالم يرى الواقع الكئيب وكان يعيش في الأدب والشعر . كان يعيش فيهما بصدق وحرارة . اما صداقته مع بيرجتسكي فلم تكن متينة وسرعان ما اصبحت الهواجس والاحلام على طريقة شيلر « مريرة » ويبدو ان دون كارلوس — بيرجتسكي خيب امل صديقه المتشدد . كان دستويفسكي حسب وصف رفاقه الذين حدثونا عنه متأملاً صموتاً : فقد كتب تروتوفسكي يقول : « كان مكين البنية مربوعاً وكان سيره يبدو متقطعاً وله بشرة باهتة بينما يبدو نظره متأملاً دائماً وتعبيره منكمشاً على ذاته بصورة عامة . لم تكن البزة النظامية تلائمه ابداً ، وكان يبقى دائماً منعزلاً وانا اراه من جديد يسير ذهاباً واياباً بصورة مستمرة تقريباً بعيداً عن الآخرين . . . كان مظهره يبدو جدياً دائما ولا استطيع تصوره وهو يضحك بابتهاج مع رفاقه . لا ادري لماذا ، ولكننا في المدرسة اطلقنا عليه لقب فوتيوس[1] » اما المعيد سافيلييف فيصفه في ١٨٤١ هكذا : « كان رزيناً او بالاحرى كئيباً ، كتوماً تقريباً وكان من النادر ان يبادر الى معاشرة احد رفاقه . كان مكانه المفضل للعمل فتحة نافذة المرقد التي تطل على فونتانكا . هنالك كان يجلس للعمل الى منضدة منعزلة عن المناضد الاخرى وهو في اغلب الاحيان لا ينتبه الى ما يجري حوله . كان رفاقه يصطفون في الساعة المعينة للذهاب الى العشاء وكانوا يجتازون القاعة المدورة التي تؤدي الى قاعة المطعم ثم يمرون بعد ذلك بضجيج بقاعة الاستراحة للذهاب الى الصلاة واخيراً ينفصلون عن بعضهم للالتحاق بمراقدهم . لم يكن دستويفسكي يغلق كتبه ودفاتره الا عندما يصل ضارب الطبل الذي يطوف بالمراقد معلناً ساعة الانصراف ، فيضطره الى الانقطاع عن عمله كان

---

(١) لاهوتي بيزنطي .

بوسعنا ان نراه حتى في ساعة متأخرة من الليل ، جالساً الى منضدته الصغيرة يقرأ او يكتب وقد القى على كتفيه غطاء سريره . لم يكن يبدو عليه انه يشعر بالبرد القارس الذي يتسلل من النافذة المجاورة . »

كاتب شاب القى به القدر في مدرسة عسكرية وتدفقت بواكير الهامه على اصوات الطبل وموسيقى السير الموزونة : تلك هي صورة الوحدة المعنوية التي وجد دستويفسكي نفسه فيها في قصر المهندسين . كان هذا الشاب يستوحي كل الهامه من الرومانتيكية الصوفية ومن عبارة القلب والحلم بعصر ذهبي . وكانت حدود الفن المسيحي بالنسبة له موغلة في البعد : فهي تحتضن هوميروس وهيجو وشيكسبير وسيكر وجوته . كتب الى اخيه : « ان هوميروس (وهو انسان اسطوري لعل الله تجسده كالمسيح وبعثه فينا) لا يمكن مقارنته الا بالمسيح وليس بجوته . . . وهوميروس في الحقيقة يبين في الياذته لجميع العالم القديم تنظيم الحياة الروحية والمادية . (بنفس قوة المسيح تماماً بالنسبة للعالم الجديد) . هنالك ايضاً فيكتور هيجو باعتباره شاعراً غنائياً فهو يملك صفة ملائكية بحتة مع نزعة شعرية مسيحية وطفولية وفي هذا المجال لا يمكن مقارنة احد به ، لا شيلر (رغم ان شيلر شاعر مسيحي) ولا شيكسبير الغنائي ولا بيرون ولا بوشكين . (هوميروس وحده يشابه هيجو » . كم تتضمن هذه الرسالة من اجلال صبياني « للعباقرة » ومن حماس ساذج ومسيحية غامضة ! فدستويفسكي مطلع على العبارة الرومانتيكية لهوميروس شبه الآله وهو يكرر الافكار المطابقة لذوق العصر حول « تنظيم » الانسانية وهو قد سمع بمسيحية فيكتور هيجو . الا انه يمجد بنفس الشغف الشاعرين الكلاسيكيين راسين وكورني . فهو يصيح : « من يقول بان راسين ليس شاعراً ؟ راسين المحتدم المشبوب العاطفة المغرم بمثله العليا ، هل هو الذي تعوزه الشاعرية ؟ هل يحق لنا حتى بمجرد التساؤل عن ذلك ؟

ولنأت الآن الى كورني . هل تعرف انه بشخصياته العظيمة وبروحه الرومانتيكية يكاد يصبح شيكسبير آخر ؟ هل قرأت « السيد » ؟ اقرأها ايها المسكين وخر ساجداً امام كورني . لقد اسأت اليه . » بعد كورني يأتي بلزاك الذي هو شميلة التطـور المعنوي للانسانية كلها . « بلزاك كاتب عظيم وشخصياته نتاج العقل الكوني . لا يعود الفضل الى روح الزمن بل الى عشرات من القرون الكاملة لانها هي التي أعدت بنضالها مثل هذا الحل للعقدة في نفس الانسان » .

وليس من العسير ان نكتشف تحت عبارة « العقل الكوني » « الروح الكلية » للمثالية الالمانية . استمر اعجاب دستويفسكي ببلزاك طيلة حياته وكان مؤلف « يوجيني جرانديه » واحداً من رفاق الطريق الذين لازموا دستويفسكي بدون انقطاع . كذلك كان تاثير « هوفمان » عميقاً ايضاً . فقد كان العالم الخيالي لهذا الرومانتيكي الالماني يسيطر على الشاب ويمارس عليه قوة خفية : كان يحلم اثناء يقظته بابطال هوفمان الغريبين المخيفين . جاء في احدى رسائله الى اخيه : « عندي مشروع اريد القيام به : هو ان اصبح مجنوناً . ليسخط الناس عليّ وليعالجوني وليردوا لي العقل . اذا كنت قد قرأت كل هوفمان فلا شك انك تتذكر شخصية (ألبان) . من المخيف ان نرى انساناً يحوز على اللا معقول ، انساناً لا يعرف ماذا يجب ان يصنع وهو يتسلى بلعبة هي (الله) . »

وهكذا فقد كانت حياة دستويفسكي في تلك الفترة مشبعة بالادب : كانت القراءة بالنسبة له شيئاً معاشاً وكان لقاء كاتب جديد حدثاً هاماً في سيرة حياته . كان بالرغم من عدم دراسته المنهجية يتمثل الحضارة العالمية بانفعـال وبطفرات سريعة ، فتتعاقب اسماء العظماء وتتناوب أزمات الحماس ويموج الخيال . وبالرغم من ان هـذه السلسلة من الانطباعات والاندفاعات كانت مشوشة ، فقد كان هنالك موضوع جوهري

ترتسم خطوطه شيئاً فشيئاً ونداء باطني يستعلن تدريجياً . كان هنالك شيء يبحث عنه دستويفسكي في فلسفة الطبيعة الالمانية وفي الشعر الكوني لجوته وفي « ما هـــو جيل وسام » لشيلر وفي روايات بلزاك الاجتماعية وهذا الشيء هو : الانسان وسره . لقد اذهلته بصورة مبكرة هذه الثنائية الموجودة في النفس البشرية . وقد كتب الى اخيه في ١٨٣٨ يقول : « ان جو النفس البشرية مكون من التحام السماء والارض ، والانسان اشبه بطفل غير شرعي . لقد خرق قانون الطبيعة المعنوية الانسان ويبدو لي ان عالمنا مطهر للارواح السماوية التي تكدرها فكرة آثمة ، كما يبدو لي ان العالم اكتسى معنى سلبياً فانبثقت من هذه الروحانية الجميلة العلوية اعجوبة مقذعة . . . ما اعظم جبن الانسان ! آه ياهاملت ! ياهاملت ! » .

لقد طرحت امام دستويفسكي لاول مرة مشكلة الخطيئة الأصلية ومشكلة الشر على هذا الشكل اي تحت هذا الستار الغامض للرومانتيكية .

في السنة التالية بدأ يعرف ميله وعثر على هدف حياته . « لم تعد نفسي تستجيب للاندفاعات السابقة العاتية . كل شيء فيها هادىء وهو نفس الهدوء الذي يعرفه قلب انسان يخفي سراً عميقاً اريد ان اعرف ماذا يعني الانسان وماذا تعني الحياة وانا احرز بعض التقدم في هـــذا المضمار . اني متأكد من نفسي . الانسان سر يجب اكتشافه ولو كرست كل حياتك لهذه الغاية فلا تتصور بانك اضعت وقتك عبثاً . هـــذه المشكلة تشغلني لاني اريد ان اكون انساناً » . هذه الاقوال التنبؤية تصدر من شاب بلغ الثامنة عشرة من العمر .

بدأت حياة دستويفسكي في هـــذه المدرسة تزداد مشقة وعسراً فهو يحس بقوى خالقة في ذاته ويعاني من عدم استطاعته استخدامها يكتب لاخيه : « ما اشد كآبة الحياة ، عندما يرى الانسان الشاعر بامتلاكه قوى هائلة انها تتبدد عبثاً في فعاليات كاذبة تناقض طبيعته . . . في حياة

جديدة بقزم لا بعملاق وبطفل لا برجل » . هذه الشكاوى تتكرر بدون انقطاع : « آه يا اخي ، يا اخي العزيز ! ما احوجني الى الوصول بسرعة الى المرفأ . الى التمتع بسرعة بحريق ! الحرية والداء الباطني شيئان عظيمان وانا افكر في ذلك واحلم في ذلك بصورة لم يسبق لها مثيل . . . يبدو ان النفس تنبسط الى اقصى ما تستطيع لتفهم عظمة الحياة » .

جاء ميشيل دستويفسكي الى بطرسبورغ لاجتياز امتحانه كضابط وقبل ان يفترقا من جديد ، قرأ عليه اخوه نتفاً من مسرحية « ماري استوارت » و « بوريس جودونوف » . لم تصلنا الا عناوين هاتين المحاولتين . الا ان تأثير جيدلوفسكي الذي كان قد ألف مسرحية عنوانها « ماري سميونوفا » والحماس الذي اثارته قراءة شيلر وبوشكين والاعجاب الذي يكنه للممثل (سامويلوف) ، كل هذا يفسر لنا من دون صعوبة اصل هذه المخططات الاجمالية الادبية التي سرعان ما غمرها النسيان بعد حين . فيما بعد عاد الكاتب مراراً الى فكرة كتابة مسرحية او دراما لكن هذا الحلم لم يتحقق ابداً .

في ١٨٤٢ رفع دستويفسكي الى رتبة ملازم وقد غادر قصر المهندسين واستأجر شقة واسعة في شارع فلاديمير . كان الوصي عليه (كاريبين) وهو زوج اخته (باربه) يرسل له كل شهر ومنذ وفاة والده حصته من غلة الملك وهذه الحصة تكون مع راتبه العسكري مبلغاً لا بأس به حوالي ٥٠٠٠ روبل سنوياً الا ان دستويفسكي كان بحاجة مستمرة إلى النقود . فهو يعيش ببذخ : يتابع في الصباح الدروس المخصصة للضباط ويذهب في اغلب الأحيان في المساء إلى المسرح . لقد اغرم بساموبلوف وبالحفلات الموسيقية التي يعزف فيها (روبيني) و (ليست) وباوبرا جلنكا (روسلان ولودميلا) . كان رفاقه يجتمعون في داره احياناً ويلعبون الورق ويحتسون البنش وقد قام اخوه الصغير اندريه عنده

فترة من الزمن ، وبهذا الصدد كتب هذا الاخير في (مذكراته) متذمراً بهذه العبارات : « كان فيودور يبدي شيئاً من التعالي نحو علاقته بي خشية ان اؤمن بها اكثر مما يجب . ولاسباب مالية لم يوافق على ان ادخل بانسيون كوستوماروف » من العسير التأكد عما اذا كان هذا اللوم مبرراً ام لا ولكن الشيء الاكيد هو ان فيودور انفصل عن اندريه بدون اسف . كان هذا قد دخل مدرسة المهندسين المدنيين في ١٨٤٢ .

في ربيع ١٨٤٣ اجتاز دستويفسكي امتحاناته الاخيرة باعتباره مهندساً عسكرياً وذهب لقضاء فصل الصيف في [ريفل] بالقرب من اخيه ميشيل الذي اصبح اول اطفاله ابن دستويفسكي بالمعمودية كانت صحته سيئة : بشرته شاحبة وصوته مبحوح وهو يسعل سعالاً جافاً وقد اضطر ميشيل وزوجته إلى العناية بغسيله وملابسه . وعند عودته إلى بطرسبورغ اقام مع الدكتور (ريزنكامب) وصار يشتغل في قسم تصاميم ادارة الهندسة . خلف لنا (ريزنكامب) وصفاً شخصياً له إذ قال عنه : « كان شاباً ممتلئاً إلى حد ما وشعره اشقر فاتح اللون وكان له وجه مدور وانفه مرفوع قليلاً . كان شعره الكستنائي الفاتح قصيراً وتحت جبهته المحدبة وحاجبيه القليلي الشعر تختفي عينان رماديتان صغيرتان غائرتان نوعاً ما . كان خداه شاحبين يغطيهما نمش وكانت بشرته مرضية شاحبة وشفتاه غليظتين . كان يقظاً متحركاً نشيطاً اكثر بكثير من اخيه الهادىء للغاية .. وكان يحب الشعر بانشغاف لكنه لا يمارس الا كتابة النثر لانه لم يكن يصبر على العناية بالشكل ، كانت الافكار تنحبس في رأسه كأنها مياه السيل » .

حاول هذا الدكتور الطيب القلب حث رفيقه على الاقتصاد لكن جهوده ذهبت عبثاً . كان دستويفسكي يبذر نقوده بصورة مضطربة : فمرة يدعو صديقه إلى عشاء « باذخ » في مطعم [الريج] ومرة يبقى اشهراً

كاملة وهو صفر اليدين . في احدى المرات وصله من موسكو وصية مبلغ ألف روبل خسره فوراً في لعب البليارد وكان بعض الرفاق الذين يلتقي بهم بمحض المصادفة وبعض الاصدقاء المشبوهين يسلبونه كل شيء . كان يتحدث إلى مرضى (ريزنكامب) ويمنحهم نقوداً ، ويحدث له ان يتعرف على متشرد فيسأله عن احياء البؤساء في العاصمة وكان يقترض من بعض المرابين نقوداً ثم يخسر كل مااقترضه . وصفت سجاياه بصورة جيدة في ذكريات (ريزنكامب) فهو طيب كريم وثوق لا يصلح للحياة العملية وقد بقي هكذا دائماً . لكن هذه الحياة المضطربة لم تمنعه من الاهتمام بالادب بصورة جدية . وهو في رسائله إلى أخيه يشكو دائماً من العمل المزعج الذي يضطر إلى القيام به في الهندسة . أخيراً أحال نفسه على المعاش في تشرين الاول ١٨٤٤ وكتب إلى اخيه : « لا تقلق من اجلي . سأجد بعد قليل لقمة من الخبز . سأشتغل كالشيطان وما يهمني الآن هو اني حر » .

بعد ان كان دستويفسكي ملازماً مهندساً اصبح اديباً محترفاً .

كانت الخطوات الاولى في هذا الطريق الجديد شاقة عسيرة إذ لم يكن دستويفسكي يكسب قوته . كانت ديونه تتراكم وقد كتب إلى وصيّه [كاريبين] يعرض عليه التنازل عن جميع حقوقه في ميراث ابيه مقابل الف روبل . لكن [كاريبين] لم يوافقه على احالة نفسه على التقاعد وقد اعلن له استحالة قسمة الملك في الوقت الحاضر ورجاه بالحاح ان يعدل عن افكاره هذه .

ها هو دستويفسكي الآن ساخط ثائر وهو في رسائله المليئة بالتهكم يتحدث إلى قريبه الغني بفظاظة . ونحن نراه يهوّل في وضعه ويعتبر نفسه مريضاً لا نقود له يموت جوعاً . في هذه الفترة بالذات صار يكتب اولى رواياته [المساكين] وقد لجأ من دون ان يتبين ذلك بوضوح إلى تجسيد

نفسه في بطلها الموظف الصغير البائس ماكير ديوفتشكين . كان [كاريين] يؤنبه بلطف بينما يرد عليه دستويفسكي بخشونة وضغينة . كان اللوم المبرّر الذي يوجهه اليه وصيّه يجرح انانيته : وقد حول خيال الروائي هذا النبيل الطيب إلى بورجوازي مستغل . لقد امتزج الأدب بالواقع وكان مؤلف [المساكين] المقبل ، يلتهب حماسة للعدالة الأجتماعية فصار [كاريين] ضحية خطاباته الرنانة .

كان دستويفسكي يتحدث إلى وصيّه بهذه اللهجة : « اعلمك يا [بيير أندرييفتش] اني بحـاجة ماسة إلى ملابس فالشتاء قارس البرد في بطرسبورغ والخريف مشبع بالرطوبة ، يسيء إلى الصحة . يستخلص من ذلك بالبداهة ان الانسان لا يستطيع الخروج من داره دون ان يرتدي بزّة ، والا فانه يعرض حياته لخطر الموت . . . ولما كنتُ سأبقى بدون مسكن بالنظر لاضطراري إلى ترك مسكني القديم بسبب عدم دفع الايجار فسأضطر اذن الى الاقامة في الشارع او النوم تحت اعمدة كاندرائية [قازان] . ولما كان هذا الامر ضاراً بالصحة فيلزمني البحث عن مسكن . ثم اني يجب ان آكل لأن عدم الاكل مضر بالصحة ايضاً . لقد طالبتُ والحفتُ في السؤال والتمستُ خلال ثلاث سنوات ان تفرز من الميراث الحصة العائدة لي بعد وفاة والدي ، لكن لا أحد يجيب ولا أحد يريد الاجابة وانا أعذب واهان واصبح موضع للسخرية . لقد تحملت كل شيء بصبر وتجلد واستدنتُ وصرفت كل ما عندي وعانيتُ العار والحزن وكابدت المرض والجوع والبرد ، اما الآن فقد نفذ صبري ولم يبق لي الا استخدام الوسائل التي يزودني بها القانون والطبيعة لكي اخطر الآخرين إلى الاصغاء إليّ ، والاصغاء إليّ بكل سمعهم » .

لقـد نقلت لوحة حياة دستويفسكي البائسة هذه ــ العار والجوع والبرد ــ واضطهاد العائلة من قصة [المساكين] إلى سيرة حياته . ونحن

لسنا بصدد تلفيق واع بل ازاء مؤلف شاب تجرفه فكرته فيتصور انه حقيقة يموت جوعاً في شوارع بطرسبورغ . كذلك [كاريبين] لم يكن في الواقع ذلك البرجوازي الشرس الذي يصفه لنا دستويفسكي . لنقرأ ما كتبه عنه اندريه دستويفسكي : « كان [كاريبين] قد تجاوز الاربعين قليلاً وقد ادار ديوان قنصلية الحاكم العام في موسكو واشغل مركز سكرتير الهيئة النسائية للسجون وهيئة الاحسان كما كان متولياً لجميع اموال امراء (جاليتيسين) . كان من خيرة الرجال ولم يكن طيباً فحسب بل كانت نفسه تفيض بالطيبة التي يدعو اليها الانجيل . لقد نشأ في عامة الشعب وتوصل الى مناصبه بواسطة ذكائه وفعاليته » .

اننا نجد في قصة (المساكين) عجوزاً غنياً اعزب يدعى (بيكوف) يتزوج من فتاة فقيرة . وفي الحكاية التي عنوانها « شجرة عيد الميلاد والعرس » نرى رجلاً غنياً يناهز الخمسين يدعى جوليان ماستاكوفيتش يخطب فتاة في السابعة عشرة من عمرها وفي رواية « الجريمة والعقاب » يبدو لنا (لوجين) خطيب (دونيا) على هيئة رجل متقدم في السن ذي ايراد محترم ، ولعل الخصومة التي يبديها راسكولنيكوف نحو خطيب اخته تحتوي على بقايا من النفور الذي كان المؤلف يشعر به نحو (كاريبين) . ليس من شك في ان العوامل النفسية المشتركة تكاد تكون منعدمة بين الملاك البدين « بيكوف) الذي جُبل على الاستبداد وبين (كاريبين) بمثل انعدامها بين الموظف ديفوشكين وبين دستويفسكي نفسه . الا ان الكاتب جسد في نموذج بيكوف — لوجين سلطة النقود وسيطرة القوي على الضعيف . وقد كانت وصاية (كاريبين) التي ادعى انها اضرت بحقوق الورثة المساكين المركز الذي تبلورت فيه مشاعر الكاتب الشخصية والتأثيرات الادبية . ولعل هذا النوع من التمثل هو الذي جعل بطلة (المساكين) تدعى فارنكا وهو اسم التصغير الذي كان دستويفسكي يطلقه على اخته باربه (فارفاره) زوجة (كاريبين) .

كان النشاط الأدبي الذي يمارسه هذا الكاتب المبتدىء ما يزال مشوشاً . خطط عظيمة تتعاقب ودراسات وتراجم ومشاريع طبع كتب . فمرة يقترح على اخيه ترجمة (ماتيلدا) ليوجين سو ونشرها ، ومرة يخبره انه انهى مسرحية جيدة بعنوان « اليهودي يانكل » ثم تركها . ويضيف : « تقول لي بأن خلاصنا كامن في الدراسة هذا صحيح ولكن يلزم الكثير من الوقت ومن النقود لتمثيل المسرحيات التي نكتبها » . ترجم ميشيل بناء على الحاحه « قطاع الطرق » و « دون كارلوس » لشيلر وصار فيودور يصمم لنشر المؤلفات الكاملة للشاعر الالماني باللغة الروسية .

في عام ١٨٤٣ جاء بلزاك الى بطرسبورغ لقضاء ثلاثة اشهر فيها وقد اشادت به الصحف واجزلت له الثناء . كان ذلك في قمة مجده في روسيا . وقد قرر دستويفسكي ان يستفيد من نجاح القصصي الفرنسي فترجم له « يوجيني جرانديه » ، وفي كانون الثاني ١٨٤٤ كتب الى اخيه : « يجب ان اخبرك باني ترجمت يوجيني جرانديه خلال ايام الاعياد (يا للمعجزة ، يا للمعجزة !) وترجمتي لا نظير لها . » كان المترجم قد اكد على النبرة العاطفية في القصة ولم يدخر وسعاً في الاكثار من المقارنات التي تبهر القارىء ومن النعوت التي تثير الاعجاب ، فتحولت قصة آلام يوجيني تحت قلمه الى سرد ، لصنوف التعذيب الفظيع العميق » الذي عانته فتاة بائسة يقارن صورتها — لسبب لا نعرفه — بصورة تمثال اغريقي . وقد نشرت هذه المحاولة الأدبية الاولى ، بعد ان حذف ثلثها ، في مجلة (الموسوعة والبانتيون) .

هنالك شيء من الرمزية في دخول دستويفسكي ميدان الأدب تحت تأثير بلزاك . كان قد تعرف على مؤلف « الكوميديا البشرية » بواسطة كراسات « مكتبة القراءة » التي نشرت فيها ترجمة قصة « الأب غوريو » وكانت المجلات الروسية تقدم بلزاك للجمهور باعتباره مصوراً للمدينة

الحديثة بكل ما تنطوي عليه من تناقض بين تصورها واكواخها ، وباعتباره كاهناً يدعو الى الرأفة والاشفاق على الاشقياء والمحرومين . والأب غوريو ، هذا الذي كان موضع استهزاء المرتادين على بانسيون (فوكيه) وضحية لانشغافه بابنتيه العقوقتين ، اثار انفعال الكاتب الشاب اكثر من الشخصيات الاخرى . من هـــذا البطل البلزاكي تبدأ سلالة « المذلين المهانين » و « المساكين » المضحكين الذين يثيرون الشفقة . ونحن نجد في اول قصة كتبها دستويفسكي تنويعتين لهـذا النموذج : بوكروفسكي العجوز المستغرق بكليته في الاعجاب بابنه العالم ، وديوفشكين المسلوب العقل بسبب حبه لليتيمة (فارنكا) . كان بلزاك قد رسم في « الأب غوريو » الخطوط الاولى لمشكلة « الشخصية القوية » هـذه المشكلة التي احتلت مركز الصدارة في مؤلفات الروائي الروسي : وما (راسكولينكوف) من الناحية الاخلاقية الا شقيق (راستينياك) .

كانت قصص مؤلف (يوجيني جراندية) تبدو لفكر دستويفسكي الرومانتيكي ذروة الفن المسيحي . الم يقل بلزاك نفسه بان « غوريو » كان « مسيح الحب الابوي » ؟ الم يقارن آلامه بالآلام التي عاناها السيد المسيح من اجل خلاص الانسانية ؟ لقد درس دستويفسكي تقنية القصة لدى الكاتب الفرنسي ودرس اسلوبه ، والرسائل التي كتبها في هذا العهد مزينة بعبارات بلزاكية ذكرت في نصها الفرنسي .

يوسف القعيد

أقص عن زماننا

قصـــة قصيرة

المؤلف يجد حلاً

للمرة الأولى بعد الألف حاول ان يكتب ، جلس إلى مكتبه ، امسك بقلمه ، سوى اكوام الورق الابيض امامه . وبيد نسيت عادات الكتابة امسك بقلمه الذي علاه الصدأ . كلمة أو كلمتان وشطب ما كتبه ، طبق الورقة حتى استدارت في كفه واصبحت في حجم الكرة ثم رماها . هـذا ما كان يحدث على مـــدى سنوات ثلاث مرت عليه . بدأ يفسر الأمر وأستهوته التفسيرات . قال ازمة عاطفية وقـال اجهاد عقلي من كثرة القراءة . وقال ان الواقع اصبح مجدباً ولم يعد فيه ما نحكى عنه . حتى محاولات التفسيرات بدت عارية من المنطق ولم يقتنع بواحدة منها . هذا

المساء عاد لتوه من المقهى ، هناك تحدثوا كثيراً ، عاموا في بحار الكلمات وتناولوا كل ما تقع عليه العين في مصر بالشرح والتحليل . ولم يعجبهم العجب ، بدوا كما لو كانوا يستجدون الكلمات ان تقوم بما لم يقوموا هم به . أما هو فلم يتكلم . كان يستمع وكان لسقوط الكلمات على اذنه لذة جديدة عليه . بسعادة مفاجئة قام من جلسته . استأذن من رفاق كل ليلة . في الطريق ، انتشر بداخله غناء لم يجربه من قبل . في البيت ، قرر أن يكتب ، ان يحول ما بداخله الى الكلمات ، تخدش قلب من يقرأها ، تحرمه لذة النوم . بدأ يكتب . بعد السطر الثاني توقف . الكلمات التي خطها عن بطل قصته تقول انه استيقظ من نومه في الصباح متعباً وفتح عينيه المحمرتين على يوم مر المذاق . تاهت منه نشوة العثور على اول الخيط والبدء فى كتابة قصته . أحس بتعب السنوات الثلاث الماضية يستيقظ ، يشل يده . اعاد قراءة السطرين بصوت عال . تساءل ومن لا يستيقظ من نومه متعباً ان كان قد نام ، وأي الايام ليست مرة المذاق . بدت الكلمات باهتة من كثرة الاستعمال . لعبة كل يوم تتم بحذافيرها ، يكتب ثم يشطب ويكتب ويشطب . حتى يتعب فيرقد في سريره منتظراً النوم فى النهاية . قام ودار في حجرة مكتبه توقف امام النافذة ، اطل منها ، غمس وجهه في الليل الذي يطل عليه من الخارج . بدأ يحدث نفسه عن البطل الذي يحاول خلقه .

بعد منتصف الليل ، تاه الحل من البطل الذي يحاول خلقه . لا يعرف من اين خرج بدا مختلفاً عن كل تصوراته ، عندما شاهده يقف في ركن الغرفة ادرك ان كل محاولاته السابقة فى وصف ملامحه الخارجية كانت عبثاً . اللقاء صعب . ولم يمد احدهما يده لكي يصافح الآخر ولم يتبادلا أية تحية . قرر المؤلف ان يصف هذا الموقف جيداً في قصته .

بعد فترة صمت قال البطل بدون مقدمات ، انه أتى لانقاذ المؤلف من ورطته . ابتسم المؤلف . تحركت شفتاه ، خرجت بعض الكلمات محاولة وصف ورطة المؤلف وابعادها . لم يعطه البطل فرصه لكي يتكلم . قال البطل : انه يرفض ان يلعب دور البطولة في قصة لن يقرأها أحد . سيظل ميتاً بين الأحرف والكلمات ما لم تقع عين قارىء عليها لكي تمنحه الحياة . فميلاده لحظة قراءة القصة . الناس ملت القصص .

سأله المؤلف :

— والحل ؟

تباطأ البطل في الرد . وسبقت ابتسامة المنتصر كلماته . اما ان تكون القصة مثيرة تأخذ القارىء من السطر الاول ، أو ان تكون قصة تتحدث عما يراه الذين لا صوت لهم كل يوم الاحتمال الثاني غير وارد . لا يستطيع احد ان يتكلم عما يحدث في بر مصر وهذا يريح المؤلف من صعوبة الاختيار . ليس امامه سوى ان يكتب قصة تقطع انفاس القارىء وهو يحاول متابعة قراءتها .

مع كلمات البطل الاخيرة بدأ التعب على وجهه واضحاً . دهش المؤلف وجد ان كلمات البطل تحدد ما بداخله . وافقه . قال لنفسه . ليكن هذا البطل هو عذابي المتجول بين الناس وبدأ عملية تأليف القصة . قال المؤلف ، وكانت تلك اولى كلماته : المشكلة كلها في كتابة السطور الأولى فقط وبعدها يتكشف عالم القصة ويسلمك نفسه . كتب بعض المقدمات ، لم يوافق عليها البطل . لم تكن مختلفة عما كتب من قبل آلاف المرات . تدور في اطار الموضوعات الخالدة للقصة : الميلاد ، الحب ، الزواج ، الجنس ، الاولاد ، المرض ثم الموت . بدأ صوت البطل يعلو وبدت عروق رقبته منتفخة . صاح قائلاً ان الكتابة بهذا الشكل خيانة ، هروب او تضليل . لم يسمعه المؤلف ، كان مشغولاً بهمه الخاص .

مشكلته انه يريد ان يقول كل ما عنده دفعة واحدة ويمضى . كتب ونشر وقال وشغل الناس . ولكنه لم يكن يجد نفسه في اسطر ما كتبه . كان يغمز ويلمح ويرمز . الرموز والتلميحات كانت تموت في احرف الكلمات . ولم ينتبه اليها أحد .

— عندي فكرة .

قالها البطل . نظر له المؤلف بيأس ويدأ البطل في حديث طويل

البطل يخلق نفسه

الفكرة بسيطة ، يكفي سطر واحد لخلقه ، ماضيه الطويل وقصة حياته . اخفاقات واحباطات كل يوم ستشتت القارىء ، فهما يكتبان قصة قصيرة . على السطر الواحد ان يضع القارىء والمؤلف والبطل في مواجهة موقف انساني محدد . يرفض ميوعة ارضاء كل الاطراف وانتهازية الامساك بالعصا من منتصفها اتفقا بعد مناقشات طويلة على كلمات السطر الاول من القصة :

— صحا البطل من نومه ليجد ان بفمه ورماً ضخماً منعه من تناول افطاره .

كان السطر في البداية صفحة . ولكن البطل شدد على ضرورة الاستخدام الاقتصادي للكلمات تحدث عن كيمياء اللغة . أكد انه ان كانت بنفس المؤلف عواطف أو افكار تساوي عشر درجات فيجب ان تستخدم كلمات تساوي هذه الدرجات العشر .

فرح المؤلف والبطل باتفاقهما على السطر الاول من القصة . هنأ بعضهما وانتقلا الى باقي احداث القصة . بعد السطر الاول يذهب البطل الى مقر عمله . في العمل يحاول ان يحدث احداً عن ورمه . لا يفلح ، لا تصل كلماته الى احد . يدبر اموره كي يعرض نفسه على الطبيب في

المساء . اقترح المؤلف ان يسهب في وصف يوم بطله . الذهاب الى العمل والعودة منه . احباطه في الاتصال بانسان آخر . وجبات طعامه الثلاث . متاعبه ، إعترض البطل . مثل هذه الامور ملها القارىء من كثرة مضغه لها . تفصيلات كثيرة لا طائل من ورائها .

بعد الكشف والفحص يقول له الطبيب :

— الورم خبيث ،

يكمل بعد فترة صمت ثقيلة

— العلاج الوحيد استئصال اللسان . وفوراً .

يعترض البطل على تشخيص الطبيب . يرفض العلاج ، يخبط المكتب بيده محتجاً ، فاللسان وسيلته الوحيدة في الكلام والاتصال بالآخرين والتعبير عن نفسه وهو لم يقل رأيه بعد في الكثير من امور الحياة . كيف يعيش بدون لسان ؟ يرد عليه الطبيب . ان حياة البطل بدون لسان ليست قضيته . فهو كطبيب ليس امامه سوى اجراء عملية الاستئصال والآن .

وضح الطبيب الأمر :

— التأجيل مرفوض لو دقيقة واحدة ، الخطر يهدد الجسم كله .

هاج البطل . هجم على الطبيب الذي وجـــد نفسه في موقف دفاع مشروع عن نفسه . كاد الامر ان يصل إلى العراك بين الاثنين . ولأن الوقت ليل . تدخل المؤلف بين الطـرفين أقترح حلاً وســطاً فسخر منه البطل .

— دائماً الحلول الوسط .

استمر المؤلف في ايضاح كلامه . يجب اعطاء البطل فرصة اخيرة لكي يقول رأيه . وبعد مناقشات طويلة اتفقا على ذلك . واجهتهم صعوبة تحديد

المدة . طلب البطل سنة . وأصر الطبيب على ساعة . بالنقاش والمفاوضات تم تقريب وجهتي النظر وأتفق الثلاثة على ان تكون الفرصة اسبوعاً ، يتكلم البطل فيها بنفسه ونيابة عن كل الذين لم يتكلموا ولن يتكلموا مهما حدث . طلب المؤلف بعض الضمانات . من يضمن له ان البطل سيتكلم بشجاعة ولن يخاف امام كل الناس . وفي الاماكن التي يزدحمون فيها وانه سيعود إلى المؤلف لكي تكتمل القصة وتصل إلى خاتمتها .

طمأنه البطل وضمنه الطبيب . فهو ليس بطل القصة فحسب . بل أصبحت حياته ولابد وان تصل إلى نهاية ما . سيعود اليه مهما حدث .

هكذا خرج البطل متأبطاً ذراع الطبيب وهما يتسمان لبعضهما في سعادة وتركا المؤلف وحده الذي حسد البطل وكان عزاؤه الوحيد انه خالقه . وان القصة ستكون مثيرة وستنسب له . أطل عليه من صمت الليل تساؤل بسيط بدد سعادته الطارئة : سيذهب البطل لكي يتكلم ويعود ليقطع لسانه ثم ماذا ؟ ولأنه لم يشعر بسعادة منذ ثلاث سنوات مضت ، طرد الخاطر الخبيث بسرعة جلس الى مكتبه وأمسك بقلمه .. وقبل ان يكتب ، تعجب من البطل الذي يحب الصمت . وحاول ان يتصور حاله بدون لسانه ، كيف يصرخ ؟ يقول لا يحب ، يعبر عن رغبة حارقة في الليالي الصامتة . يرتبط بانسان ما في هذا العالم ، يحول وحشاته الداخلية ورؤاه المهوشة إلى كلمات يفهمها الآخرون .

بدأ المؤلف يكتب . سجل ما تم من أحداث القصة من البداية حتى لحظة نزول البطل مع الطبيب .

الاحداث تصل الى الذروة

في اليوم التالي أحس المؤلف بالفراغ ، وبدت له صفحات قصته كوليد تنقصه الجرأة لكي يخرج الى الدنيا . تسلل التعب اليه وسريعاً أتى بعده ملل قاتل وبدأ ذهنه يسبح في جو من الفراغ الذي لا طعم له .





فكر في قصته وبطلها الذي لم يمض على ذهابه سوى يوم واحد . أخرجه من افكاره دخول البطل عليه . للحظة تصور أنه اخطأ في الايام . وقف البطل أمامه ، لمح على وجهه علامات خيبة أمل ويأس من الصعب التعبير عنهما . جلس البطل ولم يتكلم . فضل المؤلف السكوت وأحس بكسل لذيذ . بعد قليل قام البطل فطلب من المؤلف ان يكمل القصة . دهش المؤلف . معنى هذا ان يقطع لسانه اليوم . ذكره بالايام الستة الباقية من المدة المتفق عليها . صحح البطل له كلامه :

ــ الأوان فات .

قال له : ان أي محاول تبذل الآن لن تجدي . قد يكون ضررها اكثر من نفعها . لم يفهم المؤلف . طلب من البطل ان يجلس ويتكلم بهدوء وبدون انفعال رفض الجلوس وبدأ حديثه بالحساب الزمني الدقيق باقي ستة ايام كفرصة اخيرة يقول فيها رأيه من كل شيء مرة واحدة . هـذا صحيح الواقع له منطق مختلف بالأمس نزل . لف ودار من كل مكان . تكلم . اللغة والمفردات هي هي . ومـا تحدث عنه يعاني منه الكل . استمع له الناس . هزوا رؤوسهم . مصمصوا بشفاههم ، خبطوا بأكفهم . رفعوا عيونهم نحو السماء . وافقوه على كل ما قاله بهزات من رؤوسهم . ثم مضى كل منهم لحال سبيله . عاد وزاد كرر وكرر وانتهى وبدأ . علا صوته حتى تحول إلى صراخ . الكل كان يقول ان الحال اسوأ مما يقول . أشار له البعض من بعيد وهمسوا في الآذان :

ــ مجنون .

ما يطلبه البطل من المؤلف بسيط :

ــ خلصني من لساني الآن وأنه قصتك .

رفض المؤلف وأصر البطل وهدد بهدم اللعبة من الاساس . رضخ المؤلف وجلس إلى مكتبه لكي يكمل القصة .



يذهب البطل إلى عيادة الطبيب . بعد أن أقترض نصف اتعابه وقسّط النصف الثاني بضمان مرتبه الشهري . في العيادة دونّ اسمه في كشف المرضى وجلس ينتظر الدور . دخل حجرة العمليات . أخبر الطبيب انه قال كل ما بنفسه ولم يعد في حاجة إلى لسانه هنأه الطبيب بحرارة . قال له ان ايامه القادمة ستخلو من المشاكل . فاللسان هو العضو الوحيد في الانسان الذي وجد لكي يجلب له المتاعب . طلب منه الانتظار إلى أن يفرغ من كل مرضاه . ثم يستأصل له لسانه . في آخر الليل كان الدكتور قد انتهى من مرضاه . تمدد البطل على مائدة بيضاء واعطاه الطبيب البنج . قال له :

— عد من واحد الى ألف . .

بدأ لسانه يقوم بآخر الاعمال المطلوبة منه . لم يكمل حتى المائة الأولى . وبدأ عقله يطير وسط حلقات لا نهائية . أفاق ليجد بجواره قطعة صغيرة من اللحم الأحمر الباهت في آخرها دم متجمد . اشار لها الطبيب ضاحكاً :

— هـا هو لسانك . .

تمنى له اياماً رائعة بلا متاعب . أشار البطل للطبيب انه يرغب في أخذ لسانه معه . أعتذر الطبيب ، سيحنطه ويحفظه في انبوبة توضع في حجرة انتظار المرضى بعيادته كدليل حي وعملي على مهارته العظيمة في اجراء الجراحات الدقيقة . ومن يدري قد تحتاج الدولة ذات يوم ان تضعه في ميدان عام لكي يشاهده الناس في الصباح والمساء . فيعتبر من لم يعتبر بعد . قام البطل ، ارتدى ملابسه . صافح الطبيب بحرارة صامتة . ووجد ان عليه ان يستخدم يديه وملامح وجهه في التفاهم مع الآخرين .

اثناء سيره في الشارع بدت له أصوات الآخرين خافتة . كأنها تصل اليه من عالم آخر بعيد عنه . شعر برغبة في الغناء فتح فمه . فاجأه ألم حاد ولم يخرج من الفم سوى هواء دافىء مشبع برائحة دم ومطهرات وأدوية .

جلس المؤلف في انتظار عودة البطل اليه . لم يحضر قضى اياماً لا يعرف عددها في انتظاره . لم يذهب الى عمله . ولم يخرج في الاماسى للجلوس في مقهاه المفضل ولم يناقش قضايا الساعة مع اصدقائه . تصور انه لو ترك منزله لحظة واحدة فسيصل البطل فيها ولا يجده . .

طال الانتظار بدون جدوى . بدأ المؤلف البحث عن البطل . ذهب الى عمله ومنزله ومسكن اهله . وجدهم يبحثون عنه . عاد المؤلف الى منزله . مزق ساعات الانتظار بالقراءة . ودون ان يدري اصبحت ساعات الانتظار اياماً والأيام شهوراً والشهور سنة والقصة لم تكتمل والبطل لم يظهر ابداً لم يره احـــد . في المرة الاخيرة التي قرأ فيها المؤلف قصته بصوت عال حتى وصل الى لحظة اختفاء البطل توقف عندها . فكر كثيراً ومد يده . مزق اوراق قصته الناقصة ببطء ووقار غير عاديين . مزقها ورقة ورقة طبقها وكورها ووضعهـا برفق في صندوق المهملات الموضوع بجوار مكتبه حمل الصندوق بنفس الهدوء . وبصمت فتح باب شقته . وعلى البسطة التي تفصله عن الجيران وضع الصند ق بعناية . همس لنفسه وهو يعـــود الى مكتبه ، انه في الغد . السادسة صباحاً . سيحضر الزبال ليفرغ محتويات الصندوق في عربته . حيث تختلط بكل نفايات المدينة . ويحملها الى فرن كبير لحرق الفضلات .

هل انتهت القصة ؟ المؤلف الا يدري والطبيب يعترض فأختفاء البطل بدد بطولته الجراحية . اللسان وحده لا يكفي ،

في الايام الاخيرة انتشرت في المدينة شائعة تقول ان البطل شوهد في اكثر من مكان وهو يستخدم يديه وملامح وجهه في حديث طويل مع نفسه لم يسمعه احد . حاول الطبيب والمؤلف ان يعثرا عليه . لم يتمكنا

من ذلك ابداً . كان المؤلف مستعداً للبدء في كتابة القصة الناقصة . اهل المدينة لم يبد عليهم اي جديد . كانوا يتكلمون ويأكلون ويشربون ويذهبون الى دورات المياه . مصير البطل ما زال غامضاً . في بيته نسوة . وفي العمل تزاحم اكثر من موظف للحصول على مكتبه وكرسيه ودولاب ادواته . وتقدم مليون عامل لشغل درجتـه المالية الحالية . اثنان فقط احتارا في الأمر . مدير شؤون العاملين في المصلحة التي كان يعمل بها . ومأمور القسم الذي كان يسكن فيه . لم يكن للحالة اي تكييف قانوني فهو لم يمت . ولا يعد من الأحياء . هارب او مختف أين ؟ لا احـد يعلم .

وهكذا تركت بعض الخانات في اوراقه ناقصة ، حائرة . اكثرهم حيرة كان المؤلف فكر وعصر ذهنه وخطط وحادث الكثيرين . وفي النهاية قال ان الحياة لا تساوي كل هذا . وان الانسان في زمننا ما هو إلا حزمة تسعة من الأسرار . ضحك على نفسه ، وصفق بيديه . ووضع امامه نفس الورق وأمسك بنفس القلم وأخرج لسانه وقرر ان يكتب قصة جديدة . بعيدة عن موضوع القصة الناقصة الشائك . يسيطر عليها وعلى ابطالها من الكلمة الاولى حتى النهـاية . ويعيد بها ترتيب الكون بكل ما فيه .

ومن جديد بدأ المؤلف يكتب . . .

قصائد من الصين القديمة

للشاعر تو فو

ترجمة: أحمد مصطفى أحمد

هناك إجماع ثابت على أن « توفو » هو من اعظم شعراء الصين القديمة . ويفضل الصيني ان يتحدث غالباً عن شاعريه العظيمين « توفو » الوقور ، ومعاصره « لي بو » الرومانسي ، بسبب من تباين نزعة التفكير والهدف عند الاثنين .

ان « توفو » يفتقد الى رمزي الحب والموت ، والتخيل الذاتي القوي الذي يوطد اخيراً وبنصوع شخصية الشعراء ، وبالرغم من ذالك ، فان « توفو » في الحقيقة ، يعتبر الاعظم والاكثر نموذجية لنزعات عصر « تآنج » .

ومن يمن الطالع ، ان المتعة الخاصة في انتقاء هذه المجموعة من القصائد تعفيني من عبء نقل وايصال مكانة « توفو » الكاملة . فالمقاطع التي اختيرت هنا ، نظمها الشاعر خلال السنوات الأربع الاخيرة من حياته . وهي توضح بداية بعض الاهداف والنزعات التي حولت اللغة الشعرية في القرن التاسع .

يعتبر عهد حكم « مانج ـ هوانج » (٧١٣ ـ ٧٥٥) عهد قوة في الحكم والشعر معاً . ومنذ عام ٧٥٥ حدثت ثورة « آن لو ـ تان » التي عملت على ضعف السلالة الحاكمة ، وشردت الشعراء إلى أقصى مكان في الصين . وقد لحق الشاعر « توفو » شيئاً من التشرد ؛ إذ ترك مكانه في الشمال الغربي من الصين عام ٧٥٨ ، ووصل إلى وسط اليانتسي عام ٧٦٦ . وقد كتب خلال سنتين من مكوثه أغلب قصائده المشهورة الاخيرة ، وهي قصائد تتحدث عن قسوة النفي ، مفعمة بلمحات خاطفة من انتصار « السكون الصعب » وقد مات « تو ـ فو » فور مغادرته ، عائداً إلى موطنه الأول . اثناء الرحلة

☐ منتصف الليل

بمحاذاة الخيمة الغربية الكبيرة ، وعلى بعد الف قدم من الجرف ،
مشيت في منتصف الليل تحت نافذتي المشبكة .
النيازك تعبر بعضاءً سطح الماء ،
وشعاع غروب القمر الشفاف يضطرب فوق الرمل .
راقب الطير الخفي في عشه
آمناً قرب الأمواج ، متخيلاً الاسماك الكبيرة .
من الأقارب والأصدقاء ، في قيود السماء والأرض ،
وبين السلاح والسترة الجلدية — نادراً ما تأتي رسالة .

□ في زاوية العالم

كوّمت الجبال توتها على جانبي يانتسي وهان .

غيم في الريح — في زاوية العالم .

عام يأتي ، عام يمضي . . ولا شيء مألوف ،

ووقفة اثر أخرى نهاية طريقي

في الخراب والضياع ، يهزل الأمير في المنفى الملكي .

لقد تصدّع قلبي في ساعات الصمت

ومشيت طريقاً . . .

كل يومٍ يمضي أزداد فيه كآبةً .

□ نجوم وقمر فوق اليانتسي

بعد مطرٍ مفاجيء كانت ليلة خريفية صافية :

أوتار الياقوت تتلألأ فوق الامواج الذهبية ،

نهر الجنة ابيضُ من الخلود

ومخاضات نهر اليانتسي شفافةٌ حتى الآن

أما الانعكاسات فهي لآلىء من خيطٍ منقطع .

تشرق في أعالي السماء مرآة واحدة ،

والظلمة التي تتلاشى مثل دقات الساعة

تظل باهتةً كقطراتٍ استقرت فوق الأزهار .

إلى أخي الأصغر

أشيـع أنك تقيم في معبد جبلي
في « هـ نك ـــ شـاو » أو في « يواه ـــ شـاو » من غير ريب .
تطبل الزوابع الترابية أيام فراقنا ،
ويضرب ليانتسي وهان خريفي الصافي .
لقد اصطدم ظلي بالاشجار حيث القرود تقهقه ؛
فدوَّمت روحي بفحيح أفـاعي الأبراج البحرية .
دعني أهبط ، في العام القادم ، مع مياه الربيـع
وابحث عنك حتى نهاية الغيوم البيض في الشرق .

يانتسي وهـان

على مقربة من يانتسـي وهان ، يفكر غريب بالمنزل
في حين يوجد متحذلق ذاو بين شوان وكوان .
في الليلة اللا نهائية لم يعد القمر وحيداً ،
فما يزال القلب في انسحاب الغروب .
تنبثق ريح الخريف من الدوار ،
غير أنه يوجد دائماً مكان للحصان العجوز .
ومع ذلك ، فهو لا يستطيـع ان يواصل السير في الطريق الطويل .

□ عميقاً في الشتاء

الزهرة في الاوراق تسرّ ، تماماً مثل السماء التي تبهج .
من يانتسي حتى الجدول ، تكمن مصادر الصخور ذاتها .
غيمة ظل الصباح تشيدّ أصلها
وتلمسُ أثرَ الماءِ البارد في كلّ مرة .
مهلاً ، يا « يانج شو — يو » كي تسفح دموعك ؛
فمن الصعوبة عليك في المنفى ان تطلب عودة شبحك

الأمواج في الريح تستمر حتى المساء ،
لقد وضعتُ بحذائي جانباً كي آوي الى منزل أيّ رجل ؟

□ نفايات الخريف

١ —

تكون نفايات الخريف مضطربةً كلّ يوم ،
إذ تحرّك السماء الزرقاءُ البرودةَ في النهر .
ربطت زورقي في نجمة البئر البربرية ،
وأقمت منزلي في قرية « جوّد » .
هكذا ينضج التمر ؛ فدع الآخرين يجنونه ؛
سأغرقُ نفسي حيث يذبل الخباز ،
وانثر صدقاتي على الاسماك في الجدول
من عشاء الشيخ الموضوع على مائدتي .

— ٢

سهلٌ إدراك الاتجاه في تدّفق الحياة ،
صعبٌ إجبار مخلوق على الخروجِ عن سبيله .
ففي الماء العميق تكمن متعة السمك العظمي
وفي الغابة المورقة يجد الطيرُ عشه .
الشيخوخة والأفول يتضمنان الفقر والمرض ؛
المديح والهجاء ينتميان إلى الشباب والمجد ،
ومع ذلك ؛ فالريح الخريفية تعصف بعصايَ ومخدتي ؛
لن أبالي ، إذن ، بسرخس الجبل الشمالي .

— ٣

الموسيقى والطقوس لغزو ضعفي ،
الجبال والغابات لأطالة متعتي .
على رأسيَ المرتعش تميل قبعةٌ حريرية ،
وأشتمسُ ظهري تحت أشتعة كتب الخيزران ،
ملتقطاً اكواز الصنوبر التي اسقطتها الرياح ،
وفاتحاً قفير النحلِ حيث تكون السماء باردةً .
واقترب مترنحاً من العطر الخفيف ،
وأنـا انتعل قبقاباً ازرقَ ، احمرَ ، صغيرا .

٤ —

رمال الخريف بيضاء على الشاطئ البعيد

تمخرُ سلسلةَ الجبال بتوهج المساء ،

تدفع الحراشفَ الخفيّةَ التموجاتُ المروّعةَ ،

تميل الاجنحة العائدة مع الرياح الصاخبة ،

تصدى ضربات الحواجز المطليّة من بيت إلى بيت ،

تصدح اصوات الحطابين بالنغمة عينها ،

يسقط الصقيع تحت رعاية الآلهة العذراء —

لكن الغطاء الذي تُغطيه ، يتخلى عنى عند القصر الجنوبي .

٥ —

طموحي أن ارسمَ في بهو وحيد القرن .

لكن سنواتي تأفلُ حيث يحتشد البط ومالك الحزين .

يفيض الخريفُ على النهر العظيم حالاً ،

ويمتلىء الليل بالأصوات في الممر الضيق الفارغ .

وتختفي الطرق الفرعية غير المطروقة بين آلاف الصخور الراسخة .

فالشراع على وشك ان يتوقف — هو ليس إلا بصيص غيمة .

لقد تعلم أطفالي اللغة البربرية اكثر مما ينبغى

ومع ذلك ، فمن غير المؤكد أنهم سينالون مرتبةً رفيعة

□ تأملات في الخريف

— ١

تذوي جواهر الندى ، وتجرح اشجار القيقب في الغابة ،
ويهبُ الهواء موحشاً من جبال « وا » وممراتها الضيقة .
تندمج الأمواج بين ضفتي النهر في السماء المضطربة ،
وتلمسُ الغيوم ، في الريح فوق الممرات ، ظلالها على الأرض .
تتفتح عناقيد زهور الاقحوان مرتين في دموع الأيام الأخرى ،
ويقيد القاربُ المهجور ، مرة وإلى الأبد ، بيت افكاري —
في الوقت الذي تسرع في بيوت الخياطين المقصاتُ والآلات ،
وتصيح ، في « بيا ـ تي » فوق التل ، حواجزُ الشرك المطليةُ سريعة كلَّ مساء .

— ٢

ينحدر شعاع الغروب فوق جدران « كايو — جو » المهجورة ،
فيمرُّني الدبُّ الاكبر كل ليلةٍ لاحدق نحو العاصمة .
عندما نسمع بكاء الجلونِ ثلاثاً ، تساقطُ الدموع ،
وعبثاً تطوف رسالتي مع الطوف الذي يأتي في الشهر الثامن هذا .
وها هو دخان المباخر يتملص ، قرب صُوَرِ المعبد ، من فراش مرضي
ومتاريس الأبراج المموهة المقابلة للتلال تخفت الابواق المترعة بالحزن .
أنظر ! فوق الجدار يبدو القمرُ في اللبلاب

وهو يضيء البراعم بين القصب على شواطيء الجزيرة .

— ٣

آلاف البيوت التي تحفّ بالجبال ساكنة في ضوء النهار

يوماً بعد يوم — في البيت قرب النهر — جلست في زرقة التلال ؟

مضت ليلتان ، وقارب الصياد يزداد تراقصاً فوق الأمواج ،

والسنونو المتأخر في الخريف البارد ما زال يطير جيئة وذهاباً .

لقد نجح معظم اصدقاء مدرستي في عهد الطفولة ،

وعند الاضرحة الخمسة ، في ضوء القناع ، يركبون جيادهم المطهمة .

— ٤

مئة عام من الأخبار الأكثر حزناً :

أصبح لقصور الامراء والنبلاء سادة جدد ،

ونسل آخر علا وجدد المنزل .

لقد مرت الاجراس واهتزت الطبول شمالاً على خط مستقيم فوق الجبل .

واسرعت الوفود المجنحة إلى العربات والخيول المحمولة غرباً .

عندما ينام السمك والتنانين ،

ويعود نهر الخريف بارداً

يظلّ وطني في افكاري اشدّ صفاء وسلاما !

— ٥

تواجه بوابة قصر « بانج — لي » الجبلَ الجنوبي :

يتجمع الندى فوق السدود البرونزية بعيداً عن النهر الضبابي ،

فترى في الغرب فوق بحيرة اليشب هبوطَ « الأمّ الملكة » .

وها هو الضباب الأرجواني يملأ ممرّ « هان — كو » قادماً من الشرق ،

وتتدحرج الغيوم إلى الوراء ، وتتفتح جواجزُ ذيل التدوج امام العرش ،
وتقرع الشمسُ الدروع في ثياب التنين .
لقد رأيتُ الوجهَ الملكيَّ !
واضطجعت مرةً قرب النهر الطويل ، يقظاً ، تاركاً ورائيَ السنين ؛
فمن الذي أجابَ كثيراً بيان البلاط عند سلسلة شواهد الباب الأزرق ؟

— ٦

من فمِ « شو أوت — تانج » هنا ، ومن جانب النهر الملتوي هناك ،
ولعشرةِ آلاف ميل من الضباب في الرياح - تظهر لمسة الخريف الشاحب .
خلال الممر المسور كأس البهو — يفيض الاشراق الملكي .
لقد جاءت طلائع الاحزان إلى اللحاء الحبازي ،
والتحم اللؤلؤ الأعمى بالأعمده المزخرفة — في الكركيّ الأصفر ،
وروّعتِ الاسلاك المطرزةُ والجدائل العاجية النوارس البيض .
انظر إلى الوراء ! وآرثِ الغناءَ — الأرضَ الراقصة .
لقد كانت (جو آن) مقراً للامراءِ منذ العهود الغابرة

— ٧

كانت بِركةَ « كآن — منج » تذكاراً لعصر « هان »
وكانت هنا ، ترفرفُ أمام عيني رايات الامبراطور (وا) .
النسر يخيط طيفهُ عبثاً في الليل تحت القمر ،
وحجرُ السمكةِ المطليّ الكبير يتأرجحُ منحرفاً في رياح الخريف ،
والامواج تتقاذف بذور الطحالب ، فوق الغيوم الغائرة كالسواد ،
والندى في الكأسِ يجعل اللوتس مقشعرا .
في الممر ، طيلة المسافة إلى السماء ، ليس الطريقُ لاحدٍ غير الطيور

وفوق النهر والبحيرات ، حتى نهاية الارض ، لا أحدٌ غير صيـــاد
سمك وحيد .

٨ —

تتسارع التواءاتُ طريق « كون — وا » الممتد على نهر « يو — سو »
ويسقط ظلُ قمة البرج الملكي على بحيرة « مي — باي » .
حبوبٌ من أريج سويقات الرز تلتقطها وتسقطها الببغاوات .
ومن فوق اغصـان شجرة « دي — تأنج » الخضراء ، حيث سارية
العنقاء المعمرّة ،
جمعتِ الفتيات الجميلات ريش القاوند جوائزَ للربيع .
معاً في القارب — يا جنود الخلود — أبحرنا مرةً اخرى
في المساءِ إلى الشمال
وهذه الأغصان المقطوعة ، ذات الألوان المتعددة ، اخضعت مرة
العناصر الأربعة .
منشداً ، محدقاً في السماء — يتدلى رأسي الأشيب في كربٍ .

عدنان رؤوف

البوابة الكبيرة

ارتدى بدلته الرصاصية ، ونزل الدرج ببطء . وكان يجر نفسه جرا نحو سيارة الاسعاف الواقفة أمام الباب الكبير . وكانت الشمس في الخارج تملأ الدنيا بنورها الاصفر . وشاهد المارة وهم يسيرون بتحفظ على جانبي الطريق ، وخيل له انهم يتطلعون اليه بحذر . وصعد السيارة وكانت البقع الحمراء توخزه ، وراح يحك رأسه بكلتا يديه دون توقف وتساءل بجزع :

— قل لي رجاءً كم هي المسافة الى المستشفى ؟

وأجابه السائق من خلف الزجاج الحاجز بينهما :

— نصف ساعة تقريباً .

في بادىء الامر كانت بقعة واحـدة في سـاعده الايسر ، ثم تكاثرت وصارت بقعاً حمراء لا يحصى عددها على بشرته السمراء الداكنة . ولم يستطع النوم ، وفكر مع نفسه ، لا بد وانه مرض عابر ، ولا يحتـاج البقاء الا يوماً أو يومين ثم يعود من المستشفى صحيح البنية . وأخذ يتطلع في الشارع الازرق والاوراق الخريفية الشاحبة . ويبدو انه غرق في النوم لبضعة دقائق ، واستيقظ على صوت انفتاح بـاب السيارة ، وعلى صوت رجل قصير القـامة يقول له (تفضل نذهب الى القاووش رقم ٤٩) .

ووقف في القاووش ذاهلاً ، وشعر برغبة مفاجأة : أن يعود حالاً إلى بيته .. إلى غرفته الصغيرة وينام والا يستيقظ إلى الابد . وقـالت له الممرضة ، أن يخلع ملابسه ويتمدد على الفراش قرب النافذة . « وفكر بالجلوس على الكرسي جنب فراشه وينتظر » . وعادت الممرضة بعد فترة ، ونظلعت اليه بدهشة ، ثم أمرته ، « أن يرتدي بجـامته وان يتمدد في فراشه » . وبعد ساعتين جاء الطبيب : كان شاباً أصلع الرأس ووجهه مدور مستطيل . وكانت في عيونه سخرية لاذعة .

ومد يده مصافحاً ، وسأله :

— أنت السيد علي سعيد ؟

فأجاب :

— نعم .

— ومن أي بلد أنت ؟

— من ارض الله البعيدة .

وابتسم الطبيب ، وشعر علي بالفرح وهو يجيب على اسئلة الطبيب ، غير انه لاحظ — ولو لفترة قصيرة ، ورغم الارهاق الجسدي والعقلي — أن عيون الطبيب الخضر ، كانت تتفحصه بموضوعية مطلقة . وتساءل الطبيب بهدوء وهو يتطلع في صدره وظهره :

— متى بدأت الحكة في جسدك ؟

— منذ أربعة أيام .

وأخرج الطبيب السماعة من جيبه وأخذ يفحص قلبه .

— ولماذا لم تأت قبل اليوم ؟

قال علي :

— فكرت بانه مرض سيختفي بعد يوم او يومين .

وكان الطبيب ينصت إلى دقات قلبه السريعة المضطربة . وشعر علي برغبة في الاستطراد بالكلام ، فقال بصوت خفيف :

— الحقيقة أنا اكره المستشفيات .

ولم يعلق الطبيب على كلامه . كان منشغلاً في فحص جسمه .

وبعد ساعتين جاءت طبيبة ضخمة الجسم وهي تبتسم بصداقة .

وقالت له ان يخلع ملابسه عن القسم الاعلى من جسمه . وتجهم وجهه وهو يخلع قميص بجامته . وجلست على الكرسي ، وصارت تجس الاوردة في ساعده ، وكان يعرف ماذا تبحث ، وأخيراً وجدت ضالتها المنشودة وصارت تضغط بابهامها الوردي على وريد بارز في ساعده . وربطت اعلى ذراعه بمطاط أحمر ، ومسحت بشرته بسائل شفاف وغرزت بقوة الحقنة الطويلة في وريده . ولم يشعر بالألم . وجالت عيناه الواسعتان في ارجاء الغرفة البيضاء الكبيرة . وكان شعور النفور والتقزز يملأ روحه . ونظر الى الحقنة ، وقال مع نفسه « مائة كوبيك من الكالسيوم »

وكانت حقنة أخرى بحجمها ، زلالية اللون موضوعة على صحن معدني قرب فراشه . . هورمون من الكلية .

وتساءل بصوت مسموع :

ـــ وكم ستكون مدة المعالجة في المستشفى يا سيدتي الدكتورة ؟

قالت وهي تبتسم :

ـــ ستة أسابيع على الاقل .

فقال مع نفسه [اللعنة] . ووضعت الحقنة الاولى الفارغة على الصحن . واستدار علي الى الجهة اليمنى ليستقبل حقنة الهورمون في ساعده الايسر . كان مريضاً حساساً ومطيعاً للغاية . فهو يفعل كل ما يأمر به الطبيب . ووخزته الحقنة الثانية ، وفكر مع نفسه « قد يداهمه الموت في اي لحظة . ألم يقل له ذلك الشاب الكسيح ، بان شلله النصفي سببه حقنة خاطئة ؟ وشعر بالخوف . » ثم استخف بالفكرة ، وتظاهر وكأن الامور تجري على ما يرام . كانت النافذة الكبيرة تطل على حديقة واسعة الارجاء . وكان وجه الطبيبة مدوراً وسميناً ، وعيونها مغلقة . وفكر : ماذا يكمن خلف قسماتها الهادئة الرصينة ؟ . . لعلها تشعر بالعطف عليه وهو الغريب عن وطنه ، ولعلها حزينة وتحاول الآن التجاوب معه . وسحبت الحقنة مرة واحدة ، ومسحت بقايا الدم الاحمر على ساعده ، وقالت له :

ـــ هـــذه حصة اليوم

وشكرها . ومضى يفكر بالاحتمالات التي يمكن وقوعها : انه يشعر منذ الآن وكأنه يغرق رويداً رويدا في مستنقع شـــديد البرودة . وقد صارت قواه تتلاشى . وهو يقف عاجزاً تجاه خطر داهم .

أما عقله فلم يسعفه على معرفة امكانية انقاذه . وهل سيبلغ الهدف الذي كرس له حياته ؟ . . . أما اذا كتب له الشفاء ، فلم يبق لبلوغ الهدف المنشود الا لشهر واحـــد ، وهو سيناقش نظريته [حول طبيعة

التركيبات العقلية والنفسية في المجتمعات المتخلفة] دون كلل . وسيجيب على كل الاسئلة . وقرعت الباب ، ودخلت فتاة طويلة برداء أبيض صوفي جميل . وفرح قلبه . وتطلع في يدهـــا . وشاهد الملف الاسمر . ولوّح لها . فجاءت .

كان ينتظرها بلهفة . ودار حوار قصير بينهما ، واخبرته بانها ستختفي بعض الايام بسبب عملها ، وأخبرهـا ، بان المعالجة ستدوم اكثر من ستة اسابيع ، وهو يشك في ضرورة ذلك ، وربمـا سيغادر المستشفى قبل الموعد المحدد .

ووضعت الورد على منضدته الصغيرة ، وودعته بقبلة خفيفة في فمه . وفكر : وإذا ما ساعدته الظروف المحيطة به ، فانه سيقول الحقيقة كاملة عن افكاره . ويعود الى وطنه . وسيطر عليه التعب وشعر بالبرد يسري في جسده . ولف جسمه بالغطاء الابيض السميك وهـــو يقول مع نفسه : [على المرء ان يعرف حدود امكانياته] واغفى غفوة طويلة . وكـانت اصوات رفاقه في الغرفة تزعجه ويبدو انه أغرق في نوم عميق جداً . فقد استيقظ مذعوراً وهو يحاول تحريك ذراعه الايمن الميت . وعجز عن رفعها . وكان الصداع يشد على رأسه وتعلل بالانتظار ، عسى ان يختفي الالم والشلل من تلقـاء نفسه . فهو قد تعوّد على الآلام النفسية والجسمية منذ وقت طويل ، وسرقه النوم ثانية . واستفاق على نفسه . وقد تدلى ساقه الايمن نحو الارض في محاولة للهرب خارج الغرفة ، وكـان يصرخ عذراً رفيقه في الفراش الثاني ، ان ينقذ نفسه من التيار الكهربائي الجاري تحت سريره . واستيقظوا جميعاً على صراخه . وهرع [بودو] الى الخارج . وكان العرق يبلل ملابسه ، وقد استبد به اضطراب هـائل . وجاء [بودو] مع الممرضة ووصف لها بالتفصيل ما حدث قبل دقائق . وجسّت نبض المريض ، وقالت بصوت عال :

— لا يزال قلبه ينبض ، انه في صحة جيدة .

كانت المرأة صغيرة الجسم ، ونظاراتها السوداء سميكة . وكان شعرها اسود وطويلاً واضافت قائلة :

— ستأتي الطبيبة بعد حين لفحصك .

ولم يجد تفسيراً واضحاً للحدث الذي حل به . وهو لا يعرف الآن الحدود الفاصلة بين ذاته والعالم الخارجي . ويبدو ان تأثير العقاقير كان قوياً عليه . وقد قالت له الطبيبة التي احالته الى المستشفى ، بان مرضه الحالي ناتج عن ادمانه على تناول العقاقير . وشعر بالحزن وهو يغرق في مستنقع اليأس الاسود المقيت .

وجاءت الطبيبة في الظلام ، واعتذر لها بصوت خفيف ، وجست نبضه ، وقال لها [انه يحلم فحسب ، وهو يشعر الآن بتحسن جوهري] شاهد ظل ابتسامة في ثغرها الاحمر وغادرت الغرفة . وكان القمر يملأ الدنيا بنوره الباهت . والصمت يخيم على المكان . وجاءت ممرضة اليه ، وحقنته في فخذه . كان كل شيء يجري في الظلام دون وعيه ودون ارادته . وفكر مع نفسه [انه البعد الآخر الذي يملي ارادتك عليك .] واستغرق في نوم عميق . ويبدو ان تأثير الحقنة الصغيرة كان جيداً .

استيقظ عند الساعة التاسعة . وكان رفاقه قد أفطروا وجلسوا في اماكنهم في انتظار الطبيب . ونهض من فراشه وحلق وجهه وتعطر ، وخرج الى الحديقة . واختار له مكاناً بعيداً عن الانظار : كان رأسه الكبير متكئاً على يده ، ومائلاً الى جهة اليسار . وأحس بظلام دامس في اعماقه . ومضت ساعة واحدة. وهو يتأمل الحدود الفاصلة بين ذاته والعالم الخارجي ، وبدأت الشمس تغلي في رأسه . وهذا ما دفعه للنظر الى الطبيعة ، باحثاً عن مكان آخر بعيد عن شمس آب المحرقة . وجر خطواته المتعبة نحو مكان غير بعيد الانظار : كان هناك اشخاص قد ارتدوا

ملابس نظيفة لامعة ويحملون هدايا كثيرة . وفكر : من المحتمل ان يأتي احد ما لزيارته . . . وصار فعلاً يتطلع نحو البوابة الكبيرة ، وكانت رغبته شديدة في شيء ما من البعد الآخر الذي يعيش خارج ارادته ووعيه ولم يزل الامل في نفسه . وتطلع في الطبيعـة الجميلة الصامتة : كانت الحديقة ملونة بازهار جلبت من كل انحاء المعمورة . وكان يبحث عن ازهاره الحبيبة . ازهار صغيرة زرقاء داكنة تذكره دائماً بنجوم سماء بلاده الصافية . ولم يعثر عليها . وكانت الاشجار العالية على المرتفع المحاذي لسياج المستشفى تقف بكبرياء ولا مبالاة مطلقة ، وشعر وكأنه أتفه مخلوق على الارض . ولكن شعور الدهشة والحب للطبيعة ، بطر وتها الخالدة ، لم يفارقه منذ صغره . ويفقد في مثل تلك اللحظات القدرة على التفكير ، وينسى وجوده ، في عناق غير مألوف مع الطبيعة الصامتة وهكذا مكث ساعات في محاولة يائسة لادراك الحدود الفاصلة بين طبيعته وبين طبيعة البعد الآخر الذي يبدو له في اغلب الاحيان وكأنه جزء لا ينفصل منه . ولاكتشاف اسرار السمفونية الكونية التي تستند عليها ذاته . ولكنه يعلم ان البحث في مصير الكائنات الحية والميتة يثير في نفسه صراعاً واضطراباً غامضاً . وخطرت له فكرة صغيرة وهل يمكن لحب الاستطلاع في ذاته ان يصل الى ادراك الحدود الفاصلة بينهما ؟ . وهل يمكن له ان يتأمل ذاته بموضوعية . ايمكن حقاً ان يجعل ذاته موضوعاً لبحثه ؟ . . . وابتسم . وراح يتأمل الطبيعة الرائعة ، والمخلوقات المحيطة به . وكان على يقين بأنها البعد الآخـر لوجوده العميق ، غير ان الطبيعة ظلت صامتة تتطلع اليه دون اكتراث . ونهض ومشى على الاوراق المتساقطة اليابسة وغادر الحديقة الى فراشه .

وشعر بوخزة خفيفة في اعلى ذراعه الايمن وهو يرقد . وتذكر حلم الامس ، والمرضة العجوز ، والطبيبة والالم في رأسه . وفكر : قد تكون وخزة تافهة او بداية مرض عسير قاتل . وشعر بالالم الحاد وهو يحك

ذراعه . كان الالم حـادآ لم يعهده سابقاً . ولم يتمكن من ايجاد التعليل الصحيح لهذا اللغز الجديد في وجوده . وجاءت الممرضة بالعشاء وكان عليه ان يمشي اليها كي تصب الطعام له .

وشعر بصعوبة في حركته وكان الالم في فخذه وساقه ونظر في ساعته وهي تدور عند السابعة والنصف . وتمدد في فراشه . وكان قلقاً وحائراً . إذ ادخل الحزن قلب انسان . فانه من الصعب التخلص منه . ومرت صورة صديقته مـــروراً سريعاً في مخيلته . وفكر بالذهـاب إلى الممرضة ، ليطلب مساعدتها . وهل سيتجرأ على الذهاب اليها ؟ . . وهل سيتمكن من متابعة الطريق بعد الآن ؟ . وقـال : ان الرحلة يجب ان تجري رغم الآلام والصعاب ؟ . . وكان يكره الاحتكاك المباشر بالاطباء والممرضات . وغادر فراشه . ومشى ببطء نحو غرفة الممرضة ، كان متردداً ، وفكر بالعودة . وهو على يقين بانه وحده يستطيع انقاذ نفسه . وقرع الباب القهوائية العالية وقال له صوت وقح : —

— تفضل .

كان غريباً في عـــالم لا يعرفه . ونظرت اليه عيونها الخضر بكبرياء متسائلة . ولا يدري كيف كان تعبير وجهه ، ووضع ابتسامة على فمه وقال :

— ارجو المعذرة . . ان ذراعي اليمنى ورجلي اليسرى تؤلمانني ، فهل لديك بعض المسكنات ؟

واجابته بصوت جـاف :

— اذهب إلى فراشك وسيأتي الطبيب لفحصك .

كان بوده لو يطرد من المستشفى او يرحل إلى كوكب آخر . وهل سيعم العالم هذا البرود المتعالي المألوف في ارضهم البليدة . وفكر : ان المرض هو العلاقة الوحيدة بيننا وعلينا جميعاً القضاء عليه . وقد ترك

صوتها الجاف ووقاحتها ألماً في نفسه ولكن عليه ان يعرف منذ الآن والى الابد ان البعد الآخر سيقف دائماً بكبرياء تجاهه ، وانه مخلوق وحيد غريب الاطوار في هذا الكون الواسع الارجاء . ومن يدري . فربما كان صوتها طبيعياً ، فهو لم يعرفها قبلاً ، ولم يتحدث معها الا عبارات موجزة . وهل كان صوتها الجاف موجهاً ضده . . وربما كانت متعبة ، او أن مشاكلها كثيرة ، وربما كان شكلها القبيح هو السبب في تفسيراته غير الواقعية . ولعلها التجربة المريرة في المستشفيات فهي ممرضة منذ سنوات وهو مريض منذ سبع سنوات ، وقد أدمن على العقاقير الطبية ، وان الادمان على العقاقير لا يربك العلاقة بينه وبينها فحسب ، وانما يعطل كل محاولة في اقامة علاقة طبيعية مع البعد الآخر المتعالي . ودخل الغرفة الكبيرة وتمدد في فراشه .

وقال واحد منهم وكان اطولهم واكثرهم شحوباً وهزالاً .

— ان المرء لا يعيش الا مرة واحدة على كوكبنا المقيت ، فلماذا لا نحاول استعادة صحتنا . . الا نعتقد ان مرضنا ناتج عن الاحوال الاجتماعية السيئة السائدة .

وقال الآخر وكان سميناً واصلع :

— أتدري ، ان مرضي هو مرض اجتماعي .

وسأله الثالث :

— ان الروماتيزم مرض له آثار اجتماعية خطيرة . وهو يشل الجسم عن الحركة ، وكان يضحك ساخراً وأضاف قائلاً بصوته الانثوي :

— ان مرضي مزمن ، وقد اصبحت معروفاً في هذا المستشفى العفن .

وقال الرابع وهو شاب وسيم لم يتجاوز الثلاثين من عمره :

— للمرض فوائده أيضاً يا صديقي .

والتفت السيد علي سعيد متسائلاً :

— هل انت متأكد ؟

— نعم . لقد تعلمت ان افكر عن طريق قلبي المريض .

انه يعلم ان قوله يتضمن جزءاً كبيراً من الحقيقة ، وان المأساة تجبر الانسان على التفكير بمصيره .

وتساءل علي عن مرض الشاب الوسيم ، واجابه هذا وهو يضحك : ·

— دوار مفاجىء ، ثم سقوط على الارض ... واستطرد ضاحكاً وهو يربت على ركبتيه .. انهما ضعيفتان لا تقويان على حملي .

ووخزه الالم في مفصل ساقه وكان يشعر بتجاوب عميق مع رفاقه . وفكر : ان رابطة المأساة أقوى من رابطة السرور والفرح .

وقال مع نفسه ايضاً : « انه واحد من الذين اصابتهم ضربات القدر بقسوة » . وسأله بلهفة :

— وهل لديك اطفال ؟

— اثنان . ولد وبنت . وُلِدوا قبل اصابتي بهذا المرض اللعين .

كان علي سعيد يعلم ان الطبيب لا يأتي قبل ساعتين . وقال له الشاب الوسيم وهو يشير الى [بودو] الطيب :

— جاءوا به كالميت . وها هو كالثور ، لا يقضي لياليه هنا ، وانما في غرف أخرى وثيرة في المستشفى . . . أتدري . لقد أشرف على معالجة كبده المتورم . اكبر الاطباء . وقد انذره رئيس الاطباء بانها المرة الاخيرة التي يسمح له بدخول المستشفى .

وكان الشاب الوسيم يتحدث ببساطة وتواضع ، ويبدو ان المرض غرس فيه صفات حميدة أخرى . وتساءل الشاب عن مهنته واجابه علي :

— انا من فئة المثقفين .

واضاف [بودو] بصوته الواضح :

— انه طالب .

— وهل انت على يقين ؟

وقال الشاب الطويل الهزيل :

— ان معظم الاجانب عندنا هم من الطلبة .

وتساءل الفنلندي :

— وماذا تدرس ؟

ودخل الطبيب ، واتجه نحو سرير علي سعيد .

* * *

وتعجب علي لمصافحة الطبيب له في مثل هـــذه الساعة من المساء . ووصف له آلام ساقه وذراعه . وقال الطبيب وهو يمد له يده :

— اضغط على كفي بكل قوتك .

ثم كرر ذلك مع اليد اليمنى . وادرك علي ما يرمي اليه الطبيب . انه يريد معرفة الالم عن طريق المقارنة بين قوة اليدين . وفحص ساقه الايسر ، وكان علي يتطلع إلى شعره الكثيف وكأنه يشاهده لأول مرة .

وقال الطبيب دون ان ينظر إلى المريض :

— أمر غريب . . . هل عانيت سابقاً من هذه الآلام ؟

فأجابه علي :

— كلا . وبدأ يحكي حكاية حلمه ، وصراخه ، وموت ذراعـــه الايمن المفاجىء . وكان الطبيب يصغي اليه وهو يفحص ساقه الايسر ويقارنها بالساق الايمن . وقال الطبيب :

— سوف اعود بعد ساعة ونصف .

وجاءت ممرضة وحقنته في فخذه حقنتين . وقالت وهي تلقي عليه نظرة غامضة :

— غداً الى الاشعة .

وقال :

— كيف . . . استطيع الذهاب الى الاشعة مع هـذه الآلام الرهيبة ؟ . . .

وقالت بصوت حاسم :

— سوف نجري الاشعة رغم ذلك .

وفكر : كانت آخر لعبة لعبها في اليانصيب قبل سبع سنوات وتساءل مع نفسه : ماذا يعني الالم . . . ولماذا يشقى البعض في حين يسعد الآخرون ؟ ومهما يكن الأمر ، فانه قد اعتاد على آلامه الكبيرة ، وانه فقد القدرة على التمييز بين ليله ونهاره . وانه قد يرغم على ما لا يريد وما لا يرضى ، وهو يعلم انه مات منذ زمن بعيد .

واشعل الضوء على طاولته الليلية ، وكانت الساعة تدور عند العاشرة والنصف . وفكر ان الطبيب سيتأخر واستدار نحو النافذة ، كان الظلام يملأ الدنيا . وشعر برغبة شديدة في النوم . وقد اعتقد بان الحقنتين الاخيرتين كانتا لتهدئة آلامه واعصابه ولكنه ظل يقظ . ينصت احياناً الى اصوات رفاقه الخفيفة ، او يتطلع في حزمة ضوء راقصة على سقف الغرفة الناصع البياض . ولاحظ ان آلامه صارت تنتقل من مفصل الى آخر واحياناً تصيب المفاصل الصغيرة والكبيرة معاً . وبدأت الحمى تسري في جسده . وكان قلبه مضطرباً ، يسمع خفقاته في كل اعضائه . وان الاعياء يفترسه .

ولم يتعطل عقله الكبير ، رغم الآلام الكبيرة . وجـرت افكاره وخيالاته في مجاري متباينة . كان جالساً على كرسي متحرك تدفعه أمه

العجوز في شوارع المدينة الكبيرة . وكان حزيناً يجتر ذكرياته كرجل شيخ في الخامسة والثمانين ... وتعود افكاره لتقفز في المستقبل . . . ويتساءل وماذا سيحدث له . اذا ما توفيت امه ايضاً ؟ . . . ومن سيتبرع لدفع كرسيه المتحرك ؟ وراح علي سعيد يتأمل حزمة الضوء الراقصة . . ثم اشاح بوجهه نحو النافذة الكبيرة وكان يقف عند اسوار المستشفى ضوء شاحب ميت . كلا . انه يرفض البقـاء المتواصل في البيت . . . انه يريد ان يحيا مثلهم وان يعمل . ويتزوج . وينجب الاطفال . مثل ملايين الناس على ارضنا الكبيرة الواسعة . ولماذا يجب عليه ان يكون هو بالذات مشلولاً وعاجزاً ؟ ولماذا يجب عليه ان يعاني من آلام لم يردها لنفسه ولم يفكر بها ؟ . . . انه يعلم ان الاختلاف من طبيعة الكائنات الحية والميتة . ولابد ان يكون هناك مشلول وكسيح مثل صديقه الكسيح الذي تعرف عليه قبل عامين . لقد كان يدفعه هـو بالذات بكرسيه المتحرك في شوارع المدينة الجبلية الصغيرة وكان الكسيح ينظر الى علي سعيد نظرات يائسة . ترغمه على الانصياع لطلباته . وكان يحب فيه التطلع الكبير في الحياة الخالدة . وقـد دفعه الكسيح الى مضاعفة ساعات عمله . وكان يعجب من هواياته المتعددة . فهو يذكر الآن ، الاحجار الكريمة ، والصور . والرسائل والطوابع ومعرفته الواسعة في عالم النبات والحيوان . وكان يعمل يومياً على الطابعة كي يكسب رزقه . وقد تحدث له عن الحقنة القاتلة مراراً ، لقد شل جسده بعد ساعتين من حقنه . وقد اخطأ الطبيب ، وكان نصيبه الشلل الكلي ثم الصفي . وتوقف علي سعيد عند كلمة « نصيبه » . وجس نبضه السريع . ورفع ذراعه الأيمن بمساعدة اليد اليسرى . وبدا له وجهها العجوز الشاحب يرقص في السقف . انها قتلته دون رحمة . وها هـو مشلول في ذراعه الايمن وساقه الايسر . كان قد تناول الحبوب جميعها كما قالت له الطبيبة الكبيرة . وقد كانت التعليمـات المرفقة بالدواء واضحة . وقرأها . مرة

ومرتين وثلاثاً . وتردد طويلاً ، ولكنهم قالوا له جميعاً تناولها وسينقطع الدم . وستشفى . ثم تتمكن من متابعة الحياة . وتناولها جميعاً . ثلاث علب صغيرة . ثم جاءه المرض : في بادىء الأمر كانت حكة بسيطة في ساعده . ثم انتشرت في انحاء جسمه . وانتظر يومين ، وثلاثة وسيطر عليه القلق . وقد فقـد رأسه القدرة على الرؤية الصحيحة . ثم عجز جسمه . ولم يتمكن من رفع رأسه الى اعلى . ونصحوه بالذهاب الى المستشفى . وجاء وها هو عاجز حتى من السير على ساقيه القويتين . وتساءل علي سعيد . ان كانت الصدفة وحدها التي دفعته الى الذهاب الى الطبيبة الكبيرة . أم انها الضرورات الاجتماعية التي ارغمته على لقائها واخذ حبوبها . وعلى اتباع نصائحها . . وهل يمكنه الان تفسير هـذا الحدث العظيم ؟ وهل يمكنه تفسير عدم قابلية جسده على أخـذ تلك الحبوب اللعينة ؟

أجل . انه يعلم بعجز الطب عن تحليل بعض الأمراض واسباب نشوئها . كما انه يعلم ايضاً ان ملايين الناس مصابون بمثلها وقد يكون مرضه الحالي واحداً من تلك الامراض الوراثية التي لا يمكن شفاؤها . الا انه لا يعلم . لماذا يجب ان يصاب هو بالذات بمرض وراثي لا يمكن شفاؤه ؟ . . ولا يعلم فيما اذا كانت الصدفة العمياء هي التي طعنته طعنتها القاتلة ؟ . . . والا فكيف يمكن تفسير كل ذلك في لحظتنا الراهنة ؟ . .

كان احدهم يشخر بصوت عال . واخذ ينصت الى تنفسهم الرتيب . وتساءل عن السبب في وجودهم في هذه الغرفة العفنة . وكان يعتقد انها الآلام التي تفترسنا ببطء وتساءل عن آلام طبيبته الكبيرة . كانت عيونها الخضر فتية وذكية . وقد احبها كأمه . وكان يطير فرحاً وهي تفحصه . وهي تستمع الى قلبه . وتنظر في عيونه السود . وتقيس ضغـط دمه .

وتفحص استجابة اعصابه بمطرقتها المطاطية الصغيرة . اجل . كانت تذكره بأمه . وكان يشده اليها اكثر من رابط واحد .

وقـــد ادرك في الأخير لا مبالاتها . وتعبها . وربما همومها ايضاً . وتساءل مرة عن امانتها في عملها ؟ . . . وداهمته صورة أمه وهي تدفع كرسيه المتحرك في مدينته المتحضرة . انه سيعيش على كرسي باربع عجلات مدى حياته . واذا مـا توفيت امه . فانه سوف يشتري كرسياً يتحرك اوتوماتيكياً . وسوف يستغني عن مساعدة الآخرين . ولعله سوف لا يحتاج الى كرسي اوتوماتيكي متحرك وانما سوف يتكيف مع محيطه الجديد على ضوء امكانياته الجسدية والعقلية . حيث يمكنه السير قفزاً . او يتكيء على عصا غليظة . وربما لن يحتاج الا الى السير البطيء على مهل . وهل سيسأل نفسه غداً عن معنى حياته ؟ . . وهل كان لحياته معنى في الماضي ؟ . . . انه لن يحاول منذ الآن والى الأبد الفصل بين القبيح والجميل . الحياة والموت . والليل والنهار . ان الحياة رحلة الى عالم مجهول عميق الاغوار . وتطلع الى النور الشاحب الميت عنـــد سور المستشفى . وكان في نفسه هوة عميقة مظلمة من الألم والجزع . وهل يفكر الاخرون مثله ؟ . . . ولكن ماذا سيحدث لو أن الجميع فكروا مثله ؟ . . . وتنفس بعمق . وغاب الجواب عن ذاكرته . كان الألم يوخزه في مواضع متعددة . واستدار بعد جهد كبير الى الجهة اليمنى . ونام على موضع الألم في ذراعه الأيمن .

وقد حاول تهدئة الألم بتوجيه كل ضغط جسده على ذراعه . وسمع حركة خلفه . كان « بودو » يتفحصه بعيونه الجاحظة . وسأله علي سعيد بصوت هادىء متعب « ألم تنم حتى الآن ؟ ؟ » . . « أجل . لقد نمت.... واريد ان اشرب بعض العصير . »

وقال له علي متوسلاً :

— اذهب الى الممرضة واسألها عن منوم « لي . »

وقال بودو :

— وهل تحتاج الى شيء آخر ؟

— حبوب منومة فقط .

كانت الساعة تدور عند الثالثة بعد منتصف الليل . وكان علي سعيد قد يئس تماماً من التغلب على آلامه . وعاد « بودو » وقال :

— عليه ان يحاول دون الحبوب المنومة .

وسأل علي بلهفة :

— وماذا قالت حول حالتي الصحية .

فاجابه بودو بصوت منخفض :

— لا تعرف الممرضة شيئاً عن مرضك . وهي تقول لا زال كل شيء موجوداً في الظلام .

وسأله بودو :

— الا تشعر بتحسن في ذراعك وساقك .

— ان آلامي انتشرت في انحاء جسدي .

كان بودو قصير القامة . سميناً وشعره اسود . وقد جلس في فراشه واخذ يقضم قطعة خبز يابسة في فمه . واستدار علي سعيد نحو الجانب الايسر . ثم جلس في فراشه وهــو يتطلع الى فراش « بودو » ودخل فجأة ضوء كبير الى الغرفة . وجاءت ممرضة . وتسللت بين الاسرة . وكانت تنظر وتصغي الى انفاسهم جميعاً . وغادرت الغرفة دون الالتفات اليه . وخطر له ان يغادر فراشه . وان يتسلق الكرسي الموضوع تحت النافذة ويقفز منه الى الحديقة ويموت . وصار يحسب الطوابق التي يجب المرور بها خلال سقوطه . وهو لا يدري الآن فيما اذا سيطلق اصواتاً

عالية كي يوقظ النائمين . ولينقذوه في اللحظة المناسبة . أم انه سيخنق انفاسه ويسقط على الارض جثة هامدة . ولكن الا يحدث ارتطام جسده بالارض الصلبة صوتاً عالياً ؟ . . . واذا ما حدث ذلك . فانهم سيهرعون اليه . ويتطلعون اليه بعطف ورثاء . ثم يحملونه الى صالة التشريح ليدرسوا جسده الغريب البنيان . ولم تقف اوهامه الى هـذا الحد . بل ابتعدت خطوة اخرى عن حقيقته الحاضرة . وخيل له انهم سيفتحون جمجمته . ويحنطون مخه الاصيل في قنينة زجاجية كبيرة . ويحفظونها للاجيال القادمة وفكر ان يهرب من المستشفى قبل مجيء الاطباء . وان يحمل حاجياته البسيطة ويتسلل كاللص بين الاشجار ثم يقفز في سيارة تاكسي ويذهب الى البيت . وينام . وينام حتى يصيبه الضجر . وهو على يقين بان آلامه الكبيرة ستكف عن ازعاجه وتصور كيف سيكون صعباً عليه عبور الشارع وهـو يحمل اعباء الدنيا والآخرة على كاهله . وهل ستعود له صحته بالهرب .

وجاءت الممرضة المشرفة على ردهتهم وناولته محراراً . وكانت الشمس قد ملأت الدنيا باشعتها الذهبية . وقالت له : عندك حـرارة ، نبضك سريع . . عليك بالبقاء في الفراش . . وغادرته . ودس رأسه الكبير تحت الوسادة ، وتمنى لو ينسى ماضيه وحاضره ، ويوقف هـذا النزيف الفكري المقيت ولو لساعة واحـدة . وتمنى لو يفقد السمع والبصر ، ويستحيل إلى طبيعة ميتة وخيل له بشأنه الكائن الوحيد من صنفه على ارضنا الكبيرة ، وانه آخر الكائنات الحية الموجودة عليها . وسرقه النوم ، وحلم بانه التقى مع أمه ، وكان اللقاء فريداً من نوعه ، وكانت أمه تطوقه بذراعيها القويين وتقبله بجنون ، وكان يخنق عبراته من شده الالم والفرح . وضمت رأسه إلى صدرهـا ، ومسحت دموعه بيدها . وافاق على صوت الفنلندي وهو يغني اغنية فنلندية حزينة . وكان يحلق وجهه . وقد جلسوا

جيعاً على مائدة الفطور في انتظار الممرضة . وبعد برهة من الزمن جاء الطبيب المشرف وطلب منه تعرية ساعده الايمن . وخيل له انه سيأخذ كميات هائلة من دمه . وسأله الطبيب « عن احواله وآلامه . » واجابه علي « لا بأس . » « وهل هـدأت الآلام » . واخذ علي يصف آلامه بصورة مفصلة .

* * *

وفي تمام الساعة التاسعة والنصف عـاد الطبيب مع رئيسه وممرضة سمراء . وبدأت الزيارة اليومية كالعادة من اليمين ، وكان السيد علي سعيد المريض رقم (٣) . وكـان يصغي بكل جوارحه إلى الحوار بين الطبيب والمريض وهو يشعر بلذة واضطراب . وراح الطبيب المشرف يسرد قصة تطور مرض كل واحد منهم ، في حين أخذ رئيس الاطباء يقرأ الجداول الموضوعة امامه . وكانا يتحدثان لغة صعبة ، وتمنى لو تعلم اللغة اللاتينية في صغره . وسأل رئيس الاطباء [بودو] وهو المريض الاول في الردهة :

ــ كم مضى عليك هنـا ؟

ــ اثنى عشر اسبوعاً .

وقد اجابه [بودو] بلهجة عسكرية . وقال له الطبيب .

ــ انت تستطيع الذهاب الى بيتكم في الاسبوع المقبل .

ولم يتمكن [بودو] من اخفاء سروره وشكر رئيس الاطباء من كل قلبه . ومروا مروراً سريعاً على الفراش المجاور لعلي سعيد . وكان علي منذ البداية يتجنبه . فقد استقبله بوجه عابس ، وكان يتأمل علي بعيون زجاجية باردة وسأله رئيس الاطباء عن « آلامه الكبيرة » . وقد تذكر علي ان رئيس الاطباء قد زاره امس زيارة قصيرة . ولم يعلم الا هـذه اللحظة ان الرجل مسؤول عن المستشفى كله . وفكر مع نفسه « ربمـا يستطيع

انقـاذي » ولكن الشك المطلق بكل شيء قد دمر كل علاقاته مع الآخرين . ولذلك فقد خيم عليه الحزن وهو يجيب على اسئلة رئيس الاطباء . وكان يشعر وكأنه امام لجنة تحقيق صارمة . ورفع رئيس الاطباء ــ بعد ان استمع إلى حكاية الآلام من طبيبه المشرف ــ الغطاء عن جسد علي سعيد الهزيل ، وكانوا جميعاً يتطلعون فيه ، او بالاحرى ينتظرون الكلمة الأخيرة التي سينطق بها هذا الطبيب الكبير حول شلل علي سعيد المفاجيء .

وأجلسوه في فراشه . وشعر بالالم في جسده . وطلب الطبيب الكبير رفع يده اليمنى الى الاعلى . وعجز علي عن رفعها . كانت يده عدة جنبه . ورفعها رئيس الاطباء ، فسقطت . وواصل حواره مع زميله بتلك اللغة المعينة الغامضة . واجرى معه فحوصات طويلة ومعقدة . وشعر برغبة شديدة في الهرب من نظراتهم الوقحة . انه لا يؤمن بطرق معالجتهم ، وانه يشك بكل ما يصدر عنهم ، وغادره الى المريض التالي . والتفت اليه رئيس الاطباء وهو يحـاور زميله ويختفي وراء باب الردهة . وسأل [بودو] عن حوارهما واجابه هذا وقد قفز من فراشه الى الارض « ان رئيس الاطباء يقول بأنك تبالغ بآلامك وامراضك . وانه من الضروري جداً التحدث معك حول مشاكلك الخاصة » .

وقـال علي سعيد وقد شعر بقوة مفاجئة في جسده :

ــ انه يعني ان مرضي هو ضرب من الوهم .

ــ هذا ما عناه بالذات .

ولم يصـدق علي سعيد اذنه واعـاد [بودو] مـا قاله مرة اخرى . واغرق في صمت داكن اللون . ونهض من فراشه وشرب كأس ماء .

وقال [بودو] :

ــ تعال نلعب الرياضة معاً .

وابتسم علي سعيد قائلاً :

— كيف نبدأ باللعب وانا لا استطيع السير على رجلي .

— لنحاول .

— كلا . . لنترك الامر .

وبدأ ينمو في نفسه قرار غبي . وتمدد في فراشه ، وصار يفكر بالهرب من المستشفى . وترك الغرفة بخطوات بطيئة ، وكان في نيته ان يقابل الطبيب المشرف . كان ضعيفاً ومرهقاً ، وجلس على كرسي جنب غرفة الطبيب وراح ينتظر ، عليه ان ينتظر حتى يخرج من غرفته ، وان يتوسل اليه حتى يقول له الحقيقة كاملة . الحقيقة الكاملة عن مرضه ومستقبله . وانتظر فترة غير قصيرة . وسأل احد الممرضات ، فأجابته باقتضاب بانها لا تعلم . ولبث في مكانه . وكانت الساعة تدور عند الحادية عشرة والربع . وجاءت ممرضة وهي تدفع عربة مليئة بالخبز . وكانت رائحة الطعام تتصاعد من قدر كبير ابيض . وتذكر انه لم يأكل منذ يومين . وكان يحلق في ضوء الشمس الذهبي . ولاح له الطبيب في الجانب الآخر من الممر الطويل المدهون ، فتململ في مكانه واستعد للوقوف على ساقيه المتعبتين . واستوقف الطبيب بصوته الخافت قائلاً « ايمكنني التحدث معك دقيقتين يا سيدي الطبيب ؟ » ودخلا معاً الى الغرفة : كانت واسعة الارجاء ومضيئة . وظل الطبيب واقفاً . وكأنه يريد اتمام عمل مستعجل بدأ به . وكان يحمل كتاباً ضخماً . وصورة شعاعية كبيرة ، وقال علي بصوت متواضع :

— أرجو المعذرة . . لا أريد سرقة وقتك الثمين . . أنا أعلم انك المشرف على معالجتي . . ولذلك اريد القول ، باني سأغادر اليوم المستشفى وعلى مسؤوليتي الخاصة .

وشعر علي برغبة في الجلوس على الارض . الا انه سيطر على نفسه وكان الطبيب ينظر الى علي بهدوء مطلق ، وكأنه يحاول بذلك تهدئة نفس المريض الهائجة . واستطرد علي قائلاً :

— لست مراهقاً . . ولا أميل الى التصور والوهم . وقد جربت في حياتي شق الطرق للوصول الى موضوعية كبيرة في تفكيري وسلوكي . لذلك اعتقد انه حكم مبكر جداً القول بانني ابالغ بآلامي ، وان الوهم هو السبب لها .

وقطب الطبيب حاجبيه الكثيفين وهو يقول :

— لقد قلنا انك تعيش ازمة نفسية حادة ناتجة عن مشاكل خاصة لا نعرفها . وهذا ما يزيد من حدة الآلام الناتجة عن التسمم المزعوم بالحبوب . وعلينا التأكد ايضاً من ان الحبوب هي المسببة للمرض في جسدك .

وقاطعه علي سعيد .

— ان رئيسة الاطباء التي اعطتني الحبوب في اجازة رسمية ، ولهذا قبلت بالمجيء الى هنا .

— هذا شيء غير مهم . عليك البقاء بالمستشفى واتمام المعالجة .

— أرجو الا تغضب ... فقد قررت فعلاً مغادرة المستشفى على مسؤوليتي الخاصة .

— انك ترتكب خطأ كبيراً في مغادرتك المستشفى . كيف يمكنك مغادرة المستشفى وانت في هذه الحال .

وقال علي سعيد وكان منفعلاً :

— لقد استطعت النهوض الآن بمساعدة الحقنتين ، وسأصل الى البيت بالتاكسي .

ووضع الطبيب الكتاب الكبير والصورة الشعاعية على المنضدة .

وقال بلهجة آمرة :

ـــ لو انك مصاب بمرض معد ، لمنعتك منعاً باتاً من مغادرة المستشفى . انني لا استطيع الآن منعك ... ولكني ارجو ان تفكر مرتين قبل ان تخطو هذه الخطوة ...

وقال علي سعيد :

ـــ انني على يقين .. أن اوهامي ستتلاشى عند مغادرتي المستشفى

وخيل له وكأن الطبيب ذاهل عنه وكانت الرغبة في الحديث تلح عليه ، واستطرد قائلاً .

ـــ ان القضية اعمق مما تبدو لنا أول وهلة .

وتساءل الطبيب عما يقصد . وقال علي سعيد بانفعال :

ـــ حينما يعجز المسؤول عن الاجابة . فانه يتهم غالباً السائل بالخيال والوهم . وحينما يعجز العالم عن الجواب على مسألة ما ، فانه يتهم الآخرين بالجهل ، وحينما يعجز الطبيب عن معرفـــة السبب في نشوء المرض ، فانه ينعت المريض بالجنون .

وقال الطبيب :

ـــ في حالتك الراهنة ... اقصد في حالة مغادرتك المستشفى على مسؤوليتك الخاصة ، يجب التوقيع على طلب تحريري تقدمه لنا .

ـــ انا مستعد للتوقيع .

وارتدى بدلته الرصاصية . وجمع حاجياته البسيطة . وغادر المستشفى ، وكان رفاقه في الردهة ضد خروجه . غير ان انفعاله الفطري اعمى عيونه واصبح لا يميز بين الصحيح والخطأ . ووصل الى الحديقة : كانت الارض صفراء . وخيل له ان الطريق طويل ، طويل لا نهاية له . ولم يلتفت

اليه المارة : كان يتابع طريقه ببطء يحمل كيسه الابيض بيده اليسرى. وكانت آلامه في جسده . فهو كالجريح ، او كالمصاب بمرض السرطان . وهو يعلم ان احداً لن ينتظره فى غرفته الصغيرة الرصاصية اللون . انه سيدخلها ويضع كيسه في ركن من اركانها الضيقة ثم يسقط في الفراش وينام ساعات طويلة لا تحصى . وشعر بدفء الشمس ينساب في جسده وتطلع بقلق الى ظله القصير وهو يسير امامه ، هزيلاً شاحباً ، وبدا له ، وكأنه لا يعود له . فهو اقصر منه بكثير ، وكان يذكره باقزام شاهدها فى ايام طفولته الاولى . وشعر بالنفور من ظله وأحس برأسه وقد تدلى نحو الارض من شدة الارهاق والتعب . وشعر وكأنه يحمل على كتفيه الهزيلين آلام وبؤس الارض كلها . وفكر وهو يمر عبر البوابة الكبيرة : كان عليه الا يغادر المستشفى . الا انه يعلم جيداً ان ما فعله لا يتنافى مع منطق الاشياء فهم لم يصدقوا آلامه ، وبرروا عدم معرفتهم لها ، بالوهم والجنون . ولذلك اراد الاحتفاظ بحقيقة آلامه ولو لوحده فقط . ووقف على الرصيف حائراً . وكانت السيارات تبرق كالبرق وتحطم جمجمته . وتوقف عقله عن النشاط . وشعر ببرودة تسرى فى اوصاله ، وبقدميه ترتجفان . وقد اصبح ضوء الشمس رمادياً في عيونه الذابلة . وداهمته رغبة العودة الى أمه : ان يعود حالاً الى مدينته الكبيرة المحتضرة ، ويموت هناك . وانطفأ ضوء الشمس في عيونه وسقط على الارض فوق حاجياته القليلة المتواضعة .

طراد الكبيسي

البصـــــرة - حيفا

ملاحظات في الشعر المطبوع والمصنوع

اعتاد النقاد العرب القدامى ، تقسيم الشاعر العربي الى شاعرين :

١ — شاعر مطبوع .

٢ — شاعر مصنوع .

ولعل أدقّ تحديد جاء به النقد العربي لهذه التفرقة — كما ذهب الى ذلك الدكتور احسان عباس ، هو المرزوقي في مقدمته على ديوان الحماسة لأبي تمام :

« فالمطبوع : هو ما كان وليد جيشان في النفس وحركة في القريحة . فاذا نقل ذلك بصورة تعبير خليّ الطبع المهذب بالرواية المدّرب بالدراسة كي يضع ذلك الجيشان وتلك الحركة في ما يختاره من قوالب وألفاظ .

والمصنوع : هو ما كان وليد جيشان في النفس وحركة في القريحة فاذا شاء الشاعر نقل ذلك بصورة تعبير نحي الطبع المهذب بالرواية والدربة

عن العمل وحلّ محله الفكر فأخذ (ذهنياً) يقبل ما يقبل ويردّ ما يردّ فتجاوز المألوف الى البدعة وتلذذ بالأغراب فخرج الكلام مصنوعاً . »[1]

نقول هذا ، ونحن بأزاء شاعر قد يكون قلع ضرس — على حد تعبير الفرزدق — أهون من فك بعض رموزه والوصول الى مقاصده أحياناً . رغم أنها مقاصد من حيث المغزى العام مفهومة ومعروفة . ذلك أنه رغم التطور الذي اصاب أساليب الشعر والأبداع ، ورغم التطور الذي طرأ على أساليب النقد والكتابة ، تجد النظرية النقدية هذه — أي تقسيم الشعر الى مطبوع ومصنوع — صدقها أو بعض صدقها — على الأقل في شعر خالد علي مصطفى .

ذلك أن خالداً ، لا أقول 'ينحي الموهبة الشعرية ، أو (الطبع المهذب بالرواية المدّرب بالدراسة) تماماً . ، ولكن عطاء الموهبة هذه لا يمر يسر من رقابة الفكر . اللهم الا في غفلة منه ، أو عندما يستعذبه . وهو نادر جداً .

وقد يثار هنا تساؤل : هل معنى هذا انه غامض ؟

لو افترضنا انه من عمل الفكر المحض — فان عمل الفكر غالباً ما يتسم بالوضوح ، خاصة اذا كان فكراً عملياً أو واقعياً . ولكن الفكر المجرد أو التجريدي هو غالباً ما يتصف بالغموض ، وخاصة الفكر الذي يتبنى على الجدل الأفتراضي . أو الذي يقوم على الظاهرة الفينومنولوجية وحدها . وانا افترض هنا أن خالداً مع انه يعالج في الغالب ، مسألة أو ظاهرة واقعيـة الا انه يؤديها اداءاً تجريدياً ، او يعالجها معالجة

(١) د . احسان عباس : تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٤١٠ .

فينومنولوجية . ومثل هذه الرؤية الظاهراتية بحكم طبيعتها التي تميل الى التجريد ، تجعل من المؤدّى او العمل الفني ، عسر الهضم على المتلقي ، أو قابلاً لعدة تأويلات ، خـــاصة اذا كانت رؤية المتلقي للاشياء غير ظاهراتية .

إذن ليست الظاهرة اللغوية - وثمة ظاهرة لغوية في شعر خالد — هي التي تجعل له طبيعة « الزئبق » لسبب بسيط ، ان اللغة مهما بلغت درجتها من التأثيل — أي انتسابها الى الموروث القديم — وطبيعتها الأشتقاقية ، تظل لغة اصطلاحية تحددها المعاجم و تسهّل معرفة معناها .

إن الذي يحدّد درجة وضوح التجربة ، هو تجربة الرؤية أو زاوية النظر لدى الفنان أولاً وطريقة اداء هذه الرؤية ثانياً .

فمن السهولة بمكان مثلاً فهم أية قصيدة لشاعر جاهلي كالشنفرى مثلاً — لو كانت المسألة تتعلق بلغة هذا الشاعر . وذلك بالرجوع الى معاجم اللغة لمعرفة معنى الألفاظ غير المألوفة والمعروفة ، ولكن الصعوبة في فهم قصيدة لهذا الشاعر او ذاك — حين تكون ثمة صعوبة — انما تتحدد بطبيعة الرؤية التي يرى بها الشاعر الأشياء — وكيف فكّر بها ومن اية زاوية نظرها . ومن ثم طريقته في نقل هذه الرؤية او تلك الافكار . وهل لهذه « معاجم » تحددها وتسهّل معرفتها ؟ ! ولهذا تجدنا بالرغم من السهولة التي ننقل بها تجربة شاعر من ذلك العصر ، الا اننا نظل نعاني من صعوبة فهم الكيفية التي استوعب بها الشاعر تجربته : احساسه بالكون والأشياء . طريقته في التفكير بها . ودرجة المعاناة الانفعالية بها ، ثم أخيراً أسلوبه في التعبير عن كل ذلك . ومقدار اللذة او الالم الذي يستشعره وهو يعبّر او الذي استشعره وقد عبّر .

ولن يكون ذلك يسيراً بدون الرجوع الى ذلك العصر والمعرفة الواسعة بالأنثولوجيا الأجتماعية . وهنا تصبح المصادر الخارجية مهمة جداً لمعرفة

طبيعة الفن ذاك والأسلوب الذي كان يفكر به الفنان وطريقته في التعبير .

ولعلّ الفارق بين ما نتلقاه كقراء من العمل الأبداعي ، وبين ما يريد ان يقوله العمل الأبداعي نفسه ، يُحدد قدرة الفنان على التعبير أولاً واكتشافنا درجة الصدق الفني ثانياً . على افتراض إبعاد مجمل الظروف التاريخية والمعرفية لدينا عن الفنان والعمل الفني اي اعتماد الاحساس الشخصي والوعي بالذات الانسانية اي اكتشافي لقدرة خالد علي مصطفى على التعبير ودرجة الصدق في عمله — فنياً — بغض النظر عن كوني أعرف أيّ شيء عن خالد ومَنْ يكون . وما هي قضيته المركزية ؟ وأعتقد ان المسألة هذه مهمة وضرورية للناقد — اي ان يعتمد على قواه الذاتية لأكتشاف ما في العمل الفني — وخاصة في مثل عصرنا هذا الذي يزداد فيه إحساس الفنان بالذاتية ولجوؤه الى الأستسرار نتيجة إحساسه بالعزلة وفقدان الطمأنينة والشعور بالاضطهاد .

إذن اذا اتفقنا ان الفرق بين ما يُقال وبين ما نفهمه [1] مما يقال . . يصحُ عياراً [2] لتحديد درجة الصدق الفني أولاً ، وقدرات الفنان على التعبير ثانياً . نجد ا[illegible]حظ قصائد خالد يتأرجح في نسب متفاوتة ، ولكن « الميزان » ، على العموم ، ليس في صالحها .

فبينما تتمتع الذاتية (قصائد الحب والخوف مثلاً) والقصائد التي تمتزج فيها الذات بالموضوع ، مباشرة ، بقدر مناسب من الوضوح ، والتحليل :

(أيها الحب ! أنت مثلي ، لكلانا
يحفظ اللحن ، والنواقيس خرس)

---

(١) أقصد : قراء الشعر ومتذوقيه لا سواد الناس .

(٢) بشكل من الاشكال او بنسبة من النسب !

تنغلق قصائد الموضوع . وسنأخذ (الواقعة) نموذجاً لانها اكثر قصائد (الموضوع) تركيزاً حول موضوعها الذي يعالجه خالد معالجة تتصف بالتجريد والعيانية . وعلى مقدار التضاد والتناسب بين التجريد والعيان ، تتحدد « هوية » التجربة وإمكان ترسبها في وعي القارىء .

في المقطع الأول نجد انفسنا ازاء شخص — أو شعب — (قبل بداية الشتاء جاءنا) مطارد ، لاجىء يثير الدهشة ، أو اثارهـا فعلاً ، فيستقبل ، بدءاً ، استقبالاً طيباً . ولكن الدهشة ما لبثت ان زالت (فعمر الدهشة قصير !) فبدأ وضع المعوقات والمنكدات في طريقه :

(لكننا ، بعد انحسار الموج عن سواحل المفاجأة ،

جئنا اليه نكسر الجرار في طريقه)

اما ما يلي ذلك من المقطع الأول ، فقد شبه له كما شبه « لسطيح » احد كهان العرب ، فصاغ رؤياه بلغة عصية رغم انها تقول لنا في الآخر ، انها « فأل » ليس إلا :

(ألم أقل لكم بأني الفأل ؟)

ولكنه فأل تحقق . فأصطفت الخيام الواحدة لصق الاخرى ، وعلا الصراخ . واختلط التاريخ او إلتبس بدء الاشياء وانتهاؤها :

ماذا قرأتَ ؟ :

— « صفحة تختلط الأيام فيها . فهنا

يوم قضى قبل غروب الشمس° ،

وتم يوم ابتدا بعد بزوغ الشمس

بين ابتداء اليوم وانتهائه

يطلع جرح يستقيه الهاربون من قبورهم ، والزائروها . »

* * *

في المقطع الثاني : يقبل هذا الشعب الرسالة التي حملها ، وهي رسالة التشرد ، أو رسالة التحفز الى الوجود ، أو بطاقة الدخول الى الثورة : وساحة القتال رسالة المهيأ للثورة بحكم قوانين وجوده والدفاع عن هذا الوجود . ولكنه لم يثر او لم يتهيأ له بعد أن يثور فظل يتأرجح بين الخوف والأقدام ، وكان الخوف هو غذاؤه اليومي ، أو الكتاب الذي صار له (حديقة وبيتاً) :

(عاشرنا الخوف : نراه كلما استدارت الطريق في احلامنا .

اذا عطشنا يملأ الجرار بالماء ، وإن جعنا يطفف السلال حنطة .

فيا كتاباً قد ورثناه ، وفي دمائنا يبني له حديقةً وبيتاً .) ..الخ

* * *

وفي المقطع الثالث . يصير الجوع ثورة . او يشعل الجوع (حرائق العنقاء) . ولكن الثورة لما تزل بعيدة فالحرائق لما اقتربت لم تحرق الجميع بنارها . والرسالة لم تبلغ بشكل صحيح . لقد استلمها (سادن) وحنطها في قبور يستخير به ألواحه وقداحه .

لقد كان ثمة شرط لابد منه للثائر . أو الزائر — أو العريس الذي هامت له عروسه : هو أن يتحمل وقع السياط . يرقص طوال الليل على وقع السياط على جلده . ولكن الزائر — العريس انهكه الرقص والجلد . فاستلقى على الارض منهكاً ولما يبقَ من الليل سوى بقية قليلة — ساعة واحدة فقط . فخسر بذلك الرهان ، وعليه ان ينتظر العام القادم ! :

(لم يبق للصباح غير ساعةٍ :

ستأخذ العروسَ ايها العريس : قد صبرتَ (هل ظفرتَ ؟)

مطلعَ الصباح عالق بسنديانة على الجبل

عما قريب يهبط السفحَ الينا حاملاً هدية العرس اليكما ،

وينطق البرق بحكمه .

السوط لم يتعب

والزائر — العريس قد انهكه الرقص : ارتخت يداه ، وركبتاه ،

واستلم التراب صدره ، ادارت العروس وجهها

تمزق الثوب ، قلادة القدس وزناراً من النقب)

* * *

ان خالد الذي يحكي قصة الشعب والثورة الفلسطينية يضعها اولاً في اطار تجريدي — كما قلنا — وفي جملة ملابسات :

١ — الزائر الذي لم يكن ينتظره احد ولكنه فاجأ المنازل !

٢ — ثم تحول الزائر هذا الى عريس (انت ايها الزائر كن عريسنا).

٣ — وثمن هذا : السوط (سيهوي جلدك السوط)

٤ — العروس (لابسة قلادة القدس وثوباً من قصب)

٥ — ثم البرق الذي نطق بالحكم . وكان من قبل قد قبّلنا وأعطانا رسالة — مَنْ يكون ؟

٦ — واخيراً : هل كانت الثورة رهاناً ؟ ربما بوجه من الوجوه !

ان تجريد الموضوع من دلالته المادية هو ما تعنيه هنا . حقاً قد توفرت بعض هذه في مثل : قلادة القدس وثوباً من قصب والحنطة الحمراء التي جلبها من قرى النقب . وفي رقصة الزفاف الضائعة . ولكن هذه دون شك ليست بدلالات شافية . ويمكن أن ترد في ايّ موضوع آخر .

ثم ان خالداً يعالج موضوعه — ثانياً — على المشاهدة . اعني انه يقدمه كشاهد عيان دون الاهتمام بالتحليل — اللهم إلا في آخر القصيدة ،

حين يعزو الفشل الى ان الزائر — العريس لم يستطع المواصلة حتى الصباح . وهذا ايضاً ليس بشافٍ ، لأن قصيدة تتوفر على موضوع كبير ومعقد زاخر بالاحداث والأفكار ويستغرق زمناً طويلاً ، لابد أن لا يعتمد سرد الأحداث فقط ، بل وتحليلها كذلك وثمة — ايضاً — رموز لا نظنها موفقة ، كجعل السوط شرطاً للزائر — العريس . فليس السوط رمزاً صالحاً ولا مقبولاً — حتى نفسياً — للعذاب ، حتى لو اريد وسم هذا العذاب بالعبودية .

وهكذا : البرق . كرمز للطارق المبهم الذي يهب ويحتكم .

اننا نعتقد ان خالداً حين يصطنع رموزه ويصوغ عبارته ، فى ذهنه شيء يريد قوله دون شك ، ولكن هـــذه الرموز ، والعبارات أو الاستعارات على الأصح ، غالباً ما تظل غائمة ، مغلقة على نفسها .

في قوله مثلاً :

(رأيت في المنام أن الطرقَ التي سلكتُها
تخرج من أصابعي .
وبعد ان تدور حول الليل والنهار ، تركب البرق والبروج ،
تلبس الكهوفَ والخلجانَ —
تعود من سفارها . وتنتهي الى أصابعي)

يمكن ان نفهم من الطرق التي خرجت من اصابعه وعادت بعد سفار لتنتهي الى اصابعه ؛ ان كل شيء يعود الى حيث ابتدأ . او يمكن ان نفهم منها : عدم جدوى هذا التعب والسفار كله . (هل كانت « ننسون » صادقة في تفسيرها احلام ابنها جلجامش ؟ !)

ولكن علاقة المقطع المتقدم بالشطرين التاليين :

(حاملةً إليَّ في صحائف الكهان

خرائط القرى التي تهدّمت في جسدي)

علاقة غائمة .

وفي قوله مثلاً :

(قلنا : نقوم الآن لاستقباله

نطلب منه بعض كأس نرتديها . لم نكن ننتظر الزائر حين

فاجأ المنازل)

نجد عبارة : (نطلب منه بعض كأس نرتديها) : فَضْلَة ، وتسبب إشكالاً للقارىء إذا أصرّ على اخذها في سياقها من الكلام — بنظر الاعتبار . ومثل هذه التعابير كثير .

إن خالداً يقبض على موضوعه — فيما نعتقد . وموضوعه في ذهنه قد يكون واضحاً . ولكن الصورة الشعرية التي يقدّمه بها ، غير واضحة رغم انها صورة تتخلها العقل ؛ بسبب من طريقته في تركيب العبارة والأستعارة ، وبسبب من تجريد الموضوع من دلالته المادية الزمنية .

مفاهيم في الأدب والفن والفكر

محاولة تأثيل ثقافة جديدة

يوسف عبد المسيح ثروة

١ ـ مفاهيم فنية وادبية

الانعكاس ، التجريد ، الصورة الفنية ، النموذج ، التطور

ان الفنان الذي يعيش في عوالم الكوابيس والاوهام والهواجس يشوش العالم الواقعي ويشوهه ، بينما الفنان الذي يعيش في العالم الواقعي ، يستطيع بمواهبه الذاتية وتجاربه الخاصة ، ان ينقل هذا العالم الماثل الى عالم الفن ، على نحو فني فيه ارجحية الصدق واخلاص الحقيقة وجمالية الفن وهذه العوامل جميعاً تعينه على تنفيذ عملية الايصال تنفيذاً مؤثراً فيه من الشفافية والجاذبية ما فيه . وعملية النقل هذه هي ما تسمى بعملية الانعكاس . والانعكاس هذا لا يكون فعلاً فنيا ما لم يكن خلقاً حقيقياً جديداً فيه عناصر الاصالة والخيال والتجريد واعادة تنظيم الواقع .

يقول الناقد ن . ليزيروف بهذا الصدد : « يخلق الفنان شيئاً جديداً ، من خلال عملية معقدة تنسحب على الادراك والخيال والتجريد واعادة التنظيم ، شيئاً متفرداً ومشخصاً ، من مادة تجهزها الحياة له باوسع ما تعنيه هذه الكلمة » . ان الحديث عن الانعكاس حديث طويل ومتشعب ، وقد ذهب النقاد فيه مذاهب شتى ، فمنهم من يضع التجريد بديلاً عن الانعكاس وعن الطبيعة نفسها كالفنان التجريدي جوزيف البيرس عندما يقول : « التجريد بالقياس الي هو الأمر الواقعي ، وهو ربما اكثر واقعية من الطبيعة . انني افضل ان ارى وعيناي مغمضتان . » اما الناقد الالماني هانز هوفمان فيبز صاحبه الامريكي الى حد التنكر التام لاية صلة خارجية ، اذ يقول : « الفن مكتف بذاته .. الفنان لا يستند الى أية صلات خارجية بالطبيعة . » في مقابل هذا التجريد المطلق ينبثق مفهوم الصورة التي هي شكل فني مكثف للانعكاس ، (شكل مرسوم لادراك عاطفي عن العالم) اما مكونات الصورة على ما يذهب اليه الناقد السوفيتي ن . ليزيروف فهي لا تتألف من .. الواقع الذي يمد الابداع الفني بمادته ، والفنان الذي يعكس هذه المادة والجمهور الذي يتلقى الفن ومن ثم فـ « التفكير في صور هو انعكاس عاطفي للانسان ينبعث من علاقاته المتعددة الجوانب بالعالم . » اما متى يصبح هذا التفكير فنياً فقد اجاب عنه ليزيروف بقوله : « التفكير لا يصبح فنياً إلا حين يكون الانعكاس المجازي المتجاوب مع الواقع ، على نحو جزئي ، قادراً ، في سياق الصور ، على ابداع اعمال للآخرين بصفتها اهدافاً معترفاً بها » .

الفن انعكاس متبلور في ذات الفنان عن الطبيعة وحياة المجتمع . هذا تحديد موضوعي صرف للفن ، فاين تأثير جدواه ، قدرته على الفعل

الايجابي ؟ يجيب الناقد السوفيتي ا . فستين بقوله : « ليس الفن مجرد انعكاس للطبيعة وحياة المجتمع حسب . بل هو قوة فعالة ، تمارس تأثيرها بدورها في الطبيعة والناس . » عن طريق « الشعور وقوة الارادة والعقل والخيال . » ومن ثم فالتأثر والتأثير ، المتضمنان في عملية التفاعل واقعان يتعذر دحضهما فنياً

اما المضمون الموضوعي للابداع فليس سوى انعكاس للواقع العياني الذي يتمثل بالشخوص الانسانية والظواهر في حين تتخذ العملية الابداعية شكلها الجمالي (الاستطيقي) المعرفي . والى هذين الوجهين يشير الناقد ف كودين بقوله : « ان العملية الابداعية هي معرفة (تعرف) جمالية فضلاً عن انعكاس الواقع ، فيما يستجليه من شخوص انسانية ومظاهر اجتماعية . » وعملية الخلق الفني هذه « عملية فريدة ذاتية محض . الا ان هذا الاسلوب المتفرد لا ينفي مطلقاً المباديء العامة للانعكاس الفني التي تشمل الفنانين الذين يملكون وجهة عالمة معينة . واهدافاً ومهام اجتماعية متطابقة . » . وهنا ، يطرح السؤال الذي يلازم الابداع على هذا النحو : كيف يمكن تحقيق الاصالة الابداعية يجيب الناقد ي . غروموف عن هذا السؤال بقوله : « يمكن تحقيق الاصالة في القدرة على استخدام وخلق الوسائل الشكلية والتدخل الفعلي في الحياة للكشف عن ظواهر واوضاع وشخوص غابت عن اهتمام الاخرين . » ومن هنا ينبغي الاهتمام بدقة وفعالية بعنصرين اساسيين هما الشكل التقني المؤطر للعملية الابداعية . والكشف عن مضمون تلك العملية ، بعرض ظواهر ذلك المضمون واوضاعه وشخوصه ، لتكتمل الصورة الفنية بشقيها الخارجي والداخلي . ومع تعقد هذه العملية فالفنان الاصيل يستطيع ، بوسائله الايحائية والتأثيرية ان يوصل الصورة العيانية الى الجمهور دونما تخلخل في جزء من اجزائها ، وكأن الشكل والمضمون وحدة عضوية اما صلة

الوعي الاجتماعي بالفن فيحدده الناقد دولفوف بقوله : « الفن شكل من الوعي الاجتماعي الذي يعكس العالم الواقعي ذلك العالم المستقل استقلالاً تاماً عن الوعي الانساني . » الا ان التحديد هذا بشكله الواضح يناقضه تحديد آخر يتبرع به الفيلسوف الاسباني اورتيغاي غاسيت بقوله : « كلما كان الفن منعزلاً عن حياة المجتمع المعاصر ، وكلما ركز على الفعاليات الباطنية اللامدركة للانسان وعذابات روحه ، كان اعظم انجازاً . والنتيجة الطبيعية المترتبة على التحديد الثاني تخلص الى ان الفن فعالية ابداعية منفصلة عن الوجود الاجتماعي ، ولذلك فهو لا يعنى إلا بروح الانسان . باطنه ، عذابه ، بوجدانه ، وكأن في الامكان عزل كل هـــذه الفعاليات الحيوية عن محيطها الاجتماعي هنا الانسان كينونة منفردة ، متميزة ، طراز خاص من البشر ، مبتور الجذور والاصول انه استجابة باطنية لكيانه الداخلي ، لذاته التي تدور حول نفسه . ولذلك كانت مأساة فجيعته هي الطابع المميز لشخصيته وهـــذه الفجيعة تتطابق مع مقولة الفيلسوف الالماني هيدغر التي تذهب الى ان الانسان كيان « مقذوف به الى الوجود . » على نحو لا يسبر قراره ، وبطريقة مسلوبة المعنى . والى مثل هذا الانسان يشير ت . س . اليوت بقوله : « هيئة لا شكل لها ، ظل لا لون له . قوة مشلولة ، ملامح معدومة الحركة . »

ولكي تتوضح لنا آفاق الفن واعماقه ومساره ، ينبغي ان نولي عنايتنا بمنظوره في فن الرواية مثلاً ، ها هو ذا لوكاتش يتحدث عن ذلك بقوله : « في اي عمل من اعمال الفن يتحكم المنظور في المضمون ومساره ، انه يجمع بين خيال الرواية ، انه يعين الفنان على التمييز بين ما هو مهم وما هو سطحي » ومن هنا « فان فقدان الموضوعية في تصوير العالم الخارجي يستتبعه تحويل الواقع الى حالة كابوسية . » وبذا يتحول الفن من فعالية ذاتية وموضوعية الى حالة انكماشية نفسية لا تستطيع إلا ان تفرز هواجس سايكوباثية موغلة في الذاتية العرنقية الى حد العدمية والفوضوية .

وهذه الظاهرة ظاهرة طبقية في جوهرها ، وان بدت ، على السطح مسألة ذاتية محض . ذلك ان (حياة الكاتب جزء من حياة عصره سواء أكان واعياً بذلك ام لم يكن ، مؤيداً له او معارضاً » على ما يشير اليه لوكاتش وهذه الذاتية المغلقة المرضية لم تستطع تجاوز ملاحظة شوبنهاور نفسه ، ولذلك عرض بها بقوله : « ان الانسان الموغل في ذاتيته ، لا وجود له إلا في مستشفى المجاذيب . » ومن هنا ، نستطيع ان نطمئن الى قول او . لارمين : « ان اي نموذج (في الفن) هو اختيار انعكاسي لاهم اوجه الممارسة الاجتماعية لهذه الطبقة او تلك . » ومن هنا فالطابع الطبقي للفن واقع عياني ، على الرغم من كل مسلمات التجريد والخيال والابداع ذلك ان القاعدة الطبقية لابد لها ان تنعكس في الكيان الوجداني الفوقي ، على هـذا المستوى او ذاك من المستويات ، وبهذه الطريقة او تلك .

إلا ان هذا الطابع الطبقي للفن لا يمكن ان يكون انعكاساً مباشراً في ذات الفنان ، لا يمكن ان يكون وعياً دوغماتياً دعائياً ، وإلا لم يعد الفن فناً عامراً بالحيوية والقوة والتأثير ، بسبب تضخم المضمون على حساب الشكل بحيث يفقد الكاتب عنصر الموازنة بين حدي العملية الابداعية ، المتمثلين بالاطار الخارجي والصورة الداخلية . ومع ذلك ثمة كتاب لا يرفضون تأثير هذا الطابع الاجتماعي حسب ، بل يرفضون اية تأثيرات خارجية ، ومن هؤلاء الكتاب توماس وولف الذي يذهب الى حد القول : « نعتمد نظرتي الى العالم على اعتقادي الراسخ ان الوحدة ليست باية حال ، وضعية نادرة ، شيئاً خاصاً بنفسي او بكائنات انسانية معينة قليلة العدد ، انها (يعني الوحدة) حقيقة مركزية لا مفر منها للوجود الانساني . اما الكاتب الالماني غوتفريد بين فينفصل كلياً من الواقع الخارجي ومصداق ذلك قوله : « لا وجود للواقع الخارجي ، ان ما هو موجود هو الوعي البشري لا غير ، الذي ينصرف الى بناء عوالم جديدة

انطلاقاً من ابداعه ، عوالم يتناولها بالتعديل واعاده البناء بصورة مستمرة دائبة » .

وغوتفريد بين لا يكتفي بهذا الرفض النظري للوجود الخارجي ، بل هو يمثل هذا الرفض بصيغة عيانية اوضح بقوله : « الحكيم لا يعرف التغيير والتطور . حتى ان ابناءه واحفاده ليسوا جزءاً من هذا العالم . »

اما روب غرييه فانه ينفي من العالم المعقولية ولا المعقولية ، لانه لا يرى فيه سوى ركام من اشياء جامدة مسلوبة الحياة والروح والهدف . العالم ، في نظره ، شيء بالغ الضخامة ، واسع كل السعة ، ولكنه ، مع ذلك يظل شيئاً من الاشياء ، مادة غير مؤهلة للوجود الواعي . ها هـــو الـكاتب يصرح بهذه الامور جميعاً بقوله : « ليس العالم معقولاً ولا لا معقولاً . انما هو هناك . ان الاشياء هناك تحيط بنا ، على الرغم من كل الصفات التي نضيفها عليها ، من اجل خلق روح فيها وهدف ان سطحها (يعني الاشياء) نظيف واملس لا شائبة فيه ولـكنه عديم الرونق والشفافية . » مثل هذا الفن الذي ينعدم فيه عنصر الادراك الواعي مرفوض بدوره من قبل كتاب آخرين ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر رالف فوكس وارنست فشر . يقول الاول منتقداً مثل هذا لفن « الفن غير الحسي الذي لا يهتم بادراك العالم الواقعي والامور الحساسة ليس فناً على الاطلاق او حتى ظلاً للفن ذلك ان جوهر العمل الخلاق هو الصراع بين الخالق والواقع الخارجي ، ثم الحاجة الملحة الى السيطرة على هـــذا الواقع واعادة خلقه . » وينحو فشر هذا النحو ، عندما يتحدث عن الأدب الذي يتجنب الوعي والادراك ، فيقول : « ان الأدب الذي يتجنب الادراك متقصداً يعوزه حـــد الواقع الحاسم . اما اللا واقعية التي هي مضمونه ، فقد تكون متأتية من الاحتجاج ضد العالم الوهمي المقنن ، ولكنها — في الواقع — ظل ذلك العالم ، الذي لا ينقطع عن ملازمته

في حين « ان جوهر المنهج الواقعي هو التحليل الأجتماعي ودراسة الانسان وتصويره » ضمن هذا العالم الذي يعايشه ، يكابده ، ويتأثر به ، ويؤثر فيه . في كل لحظة من لحظات حياته ، لانه جزء لا يتجزأ منه ، مهما تصور خلاف ذلك . ذلك ان القطيعة بين الانسان وبين العالم حلم صوفي ، اشراقي ، خيـالي ، لا يستند الى ارضية صلبة صحيح ان الحيـاة تحت ظل الرأسمالية جحيم يشوه جوهر الوجود الانســـاني ويحيله الى انقاض منخورة متآكلة ، لكن ذلك الامر لا يعني تصوير تلك الحياة فنياً وادبياً تصويراً مشوهاً . والى هذه المسلمة الواقعية يتطرق لوكاتش بقوله : « قد تعرض الحياة تحت ظل الرأسمالية بوصفها تشويهاً تحجراً او شللاً يصيب الجوهر الانساني . اما السايكوباثية الراهنة باعتبارها فراراً من هذا التشويه ، فهي بذاتها تشويه » .

٢ ـ مفاهيم فنية وادبية مستحدثة

العصرانية ، الشكلية ، اللا معقول ، الانحلالية ، الوجودية

في عالم الارتباك والفوضى والمنافسة الذي نعيش فيه ، عالم الغابة الذي تسود فيه شرعة الغاب ، حيث المغلوبون على امرهم يكابدون شتى صنوف العذاب والاستغلال والاسترقـاق ، حيث الوجود الانسـاني نفسه ظاهرة سرية مغلفة بالالغاز والاحاجي ، حيث تسيطر قلة قليلة من دهاقنة المال وارباب السلطة وسدنة الغيبية ، على رقاب المستضعفين في الارض ، على حياتهم ومصائرهم ، على كل حركة من حركاتهم وسكناتهم في عالم منقسم على نفسه ، مستنفذ لعوامل مقومات وجوده ، مستهلك لنسغ حيويته وطاقته الابداعية . في عالم مثل هذا ، يصبح من المفروغ منه ظهور مدارس واقعية في المجالات الفنية والأدبية والفكرية ، تعالج المشكلات المطروحة بروح

موضوعية تستند إلى التحليل الأجتماعي العميق لشخصية الانسان ، على ضوء المعطيات العلمية والفلسفية ، التي افرزتها قوانين التطور الانساني الحضارية ، التي تتمثل في جدلية الحياة . بين ما هو متنام جديد ، هي من الظواهر الأجتماعية ، وبين ما هو متآكل متداع منخور من تلك الظواهر . ومن هنا ، لابد للظواهر الأخيرة ان تفرز ، في مجالات التعبير المختلفة ، مفاهيمها الخاصة المكثفة لتياراتها الايديولوجية ، في مختلف الصور الأدبية والفنية والفلسفية الخ . ومن هذه المفاهيم : العصرانية التي « ازدهرت في عملية انحلال الفن البرجوازي . لانها نتيجة طبيعية لعصر الامبريالية » على ما يذهب اليه الكسندر ديمشتز . اما مهمة هذه المدرسة ، في الوضع الايديولوجي الراهن فيحدده ديمشتز نفسه بقوله : « دور المدرسة المحدثة (يقصد العصرانية) هو الدفاع عن عالم مقضي عليه بالموت ، عالم الامبريالية والعسكرية والاستغلال والشوفينية » .

وفي مقابل الواقعية العقلانية التي تهتم بالمجتمع والفرد على حد سواء ، تنهض الواقعية المحدثة اللاعقلانية لتعبر عن الارتباك والفوضى والعدمية ، بعزل الوعي الذاتي عن الوعي الأجتماعي . والتركيز على الذاتية المتطرفة ، ومن هذه الزاوية يحدد ديمشتز طبيعة العصرانية بقوله : « ان الواقعية المحدثة هي الواقعية اللا عقلانية ، واقعية الارتباك والذاتية المتطرفة ، التي ترى في الوعي الذاتي الشيء الوحيد الموجود في العالم . » ولذلك يتحتم علينا ان نكون واعين حذرين من مثل هذا الفن في الصراع الرهيب الذي تشهده الساحة الايديولوجية ، بين قوى الفن التقدمية المنحازة إلى العالم الجديد ، بكل ما تملك من أصالة ووعي وادراك ، وبين قوى الردة المتخلفة المدحورة في كل مكان . ولذلك علينا الا « ننتظر من الفن المحدث الانضمام إلى النضال ضد العالم البرجوازي . » وهذه قضية حساسة حريّة بالالتفات الجاد عند تقويم العصرانية . اما موقف

هذه المدرسة من اللغة الفنية والفن على نحو عـام ، فيشير اليه النـاقد سيرجي موزيناكون بقوله : « العصرانية تحطم معايير اللغة الفنية وتستنفد الفن من انسانيته . وهذه التشويهات والتحريفات هي بالضبط ما يراهـا بعضهم تعبيراً عن حرية الفنان الاصيلة وبرهاناً على استقلاله الخلاق . » وكنتيجة منطقية على هذا القياس يصبح (الفن بالقياس إلى العصرانيين عديم المعنى والهدف) ومن ثم فهو ضرب من الصوفية . » التي يشير الشاعر بلوك إلى اصحابها بقوله : « ان المتصوفة والرمزيين لا يهتمون اقل اهتمام بـ (المشكلات الدموية) طالما هم سالمون تحت جناح (انا هم) . » ومن ثم فالعزلة التامة من المجتمع هي الملجأ الوحـيد الذي يلوذ به العصراني الصوفي ، تلك العزلة التي لم تعد وهماً من الاوهام على ما يذهب اليه فيليب اوكونور بقوله : « ان وهم العزلة ، والثقافة المنفردة ، والفكر الذاتي . تكاد تتبعثر . . اننا نشاهد انهيار شعائر الحياة الفردية ، وتبعاً لذلك نشاهد افلاس هذا النوع من الفن الذي يخدمها . » ان كل ذلك يحدث لافتقـاد الكاتب العصراني لنظرة شمولية الى العالم لا نراهـا في مجموعة مركبة من المواقف والمبادىء السياسية والأجتماعية والفلسفية والأخلاقية والجمالية الأساسية . » على حد قول ي . غروموف .

اما الشكلية فيربطها الكسندر ديمشتز بالتجريدية ، لانهما وجهان لعملة واحدة في موقفهمـا من الانسان ، ومن الشخصية الانسانية ومن مجمل الوضع البشري ، ذلك : « الشكلية والتجريدية فعاليتان لا انسانيتان تمقتان التحليل العميق للشخصية الانسانية ، وتوجهان اهتمامهما بدلاً من ذلك إلى تشويه صورة الانسان . » وكيف لا يكون الامر كذلك والشكلية تنطلق من اعتبار الوضع البشري « مادة دنسة ، ولكنها لذيذة بسبب دناستها . اما الخطيئة فهي التي تنتج عبيرها الفريد (المتمثل) في فجيعة العزلة غبش الروح ، التي بدونهـا لا يستطيـع اي مثقف ان يجد سبيله الا بصعوبة فكرية بالغة . » ؟ ما يذهب اليه فيليب اوكونر . . .

ان طريقة التعبير هذه التي تبتعد عن الجوهر الانساني باعتمادها الكلي على الشكل تبتعد كذلك عن المضمون الروحي الذي اكد عليه هيغل توكيداً بقوله : « لا يمكن عزل المضمون الروحي في الفن عن طريقة التعبير . » ومن ثم فالفنان — في المدرسة الشكلية — « يعزل موضوعاته من المحيط الذي يؤطرها . » انه يرى الاشياء كأشياء بعيدة عن مضامينها ، بعيدة عن حركتها المتدفقة المتمثلة في تطورها . انه يراها ساكنة هامدة موجودة بذاتها ، مستقلة بنفسها . وعليه . فالظاهرة الشكلية ظاهرة ثابتة لا علاقة لها بالظواهر المحيطة بها والعبثية (اللا معقولة) لا تقل طرافة وتجديداً عن المدارس المستحدثة الأخرى لأنها العبث سارياً في كل شيء ، في الكون والعالم والمجتمع ، وحتى في محيط الانسان الداخلي . فـ « عالم العبث الذي يخلقه كتاب المسرح ليس انعكاساً للواقع ، بما فيه من قوانين ومنطق داخلي تتحكمان في الأحداث والظواهر . » على حد تعبير آ . فستين . ذلك ان عالم الخواء الذي يركز عليه هؤلاء الكتاب عالم انعزالي ، طفيلي ، لا علاقة له بالعالم الحقيقي الذي يحتضن الكائنات البشرية المعروفة . ومن هنا كانت السلبية والارتباك والتشويه من سمات انسان العبث . يتحدث فستين عن عالم العبث وانسانه بقوله : « في مركز عالم الخواء الذي يخلقونه ، يضع هؤلاء (يقصد كتاب اللا معقول) شخوصاً مرتبكة سلبية بمعزل عن الحياة التي تحيط بها . » بحيث تتم عملية التغريب على الوجه الامثل .

وهنا يأتي دور للناقد س . موزنياكون ليربط اصول (اللا معقول) بجذورها البرجوازية . فهو يحلل هذا الارتباط على هذا النحو : « ان منطق الوعي الممزق يحمل البرجوازية على معارضة الواقع الموضوعي ، وكنتيجة لذلك الأمر ، يتخذ هذا الوعي اشكالاً (فنطازية) وحتى اشكالاً عبثية . » . اما الحياة في عالم (اللا معقول) ، فيصفها ي . بورين على

هـذه الشاكلة : « الحياة عبث . ليس من مستقبل . الوجود استمرار للحاضر . ليس من تطور مطلقاً ، وتبعاً لذلك ، فان اهداف التطور الأجتماعي لا معنى لها . لقد انهـار الزمن وتوقف . ان المثل العليا والسمي الانساني وطموحاته تصبح ، بطبيعة الحـال موضوعاً للسخرية والأزدراء » . بعد هذا التوضيح ، طبيعي ان نقول : إن هـذه اللوحة السوداء للحياه لوحة يطمح مسرح (اللا معقول) إلى عرضها على مشاهديه ، بهذه الظلامية والكلوحة ، والقتامة . لانها لوحة اصيلة غير مزيفة . ذلك ان الفنان البرجوازي بعامة ، والفنان العبثي بخاصة ، لابد له من ان ينسحب إلى شرنقته المظلمة ، لأن الحياة التي تحيط به تبدو عدوة له عداء لا يجد له تفسيراً . وهذا القصور في تفسير الظاهرة المحيطة بالفنان هو مبعث ارتبـاك مسرح (اللا معقول) وعدميته . وعن هـذه العدمية يتحدث الناقد الفرنسي موريس نادود حين يتناول مسرح بيكيت بقوله : « العدمية المنتصرة تتغلغل في عمل الفن نفسه مبعدة الشيء الذي تخلقه في ضبـاب اللا شيئية . . » . وعن انسان بيكيت يتحدث لوكاتش بقوله : « يقـدم لنا بيكيت صورة في منتهى الانحطاط المعتوه ، في وجوده الخامل . » . . .

ومن اجل فهم الانحلالية في الفن لابد ان نتعرف على تحديد معين لها ، تحديد يؤطر مفهومهـا ، على مستوى المصطلح الأدبي او الفني او التقني ، ذلك ان هـذا المفهوم استهلالاً لا يعني امراً اخلاقياً محدداً . فالانحلالية مدلول فني لا علاقة له بالاخلاق اطلاقاً كمـا يتبـادر الأمر إلى الذهن لأول وهلة . ذلك انه ينطلق من فهم خاص للشخصية الانسانية يعتبر الشخصية ذاتية منفردة قـائمة بنفسها بعيداً عن جميع الالتزامات الفنية التقليدية والأجتماعية ، ذاتية مستقلة تمـام الأستقلال عما يحيط بها ، كأنها كائن لقيط ، بمـا في هـذه الكلمة من دلالات

ومعان . ان الانسان في هذا المحيط الأجتماعي الذي يؤطره وجود متميز ، فردي ، غارق في ذاته ، متباعد عن آفاقه التاريخية ، ووجوده الأجتماعي وظروفه الحياتية . ان الكائن المنفرد هذا معدن نادر الوجود ، هدية خاصة ، انه الانسان المتفوق ، في القطيع المطواع ، الذي يتسامى وحده ، في سديم الفوضى والاعتزال والخواء . ومن ثم فلا مسؤولية او قضية ، او مسألة ، او اشكالية ، او هدف ، او مثل ، او امر من امور الحياة التافهة التي يحياها القطيع يمكن ان يؤثر في الانسان (الانحلالي) لانه وجود محصن تجاه كل الاوبئة الأجتماعية ، لانه انسان صاف لمسناه اول يوم من ايام الخليقة ، لانه انسان محايد حياداً مطلقاً ، في ساحة الصراع الدموي ، الذي ما زال محتدماً منذ فجر التاريخ الى اضراب هؤلاء البشر المتفوقين يشير آ . ديمشتز بقوله : « ان الفنانين الانحلاليين الذين يتبنون آراء موضوعية فردية محايدون غير مسؤولين اجتماعياً . بخلاف الفنانين الديمقراطيين الانسانيين الذين يدركون مسؤوليتهم باستمرار حيال شعبهم . » .

وهذه اللا مسؤولية ، هذه الحرية المطلقة ، التي يتمتع بها الانسان الانحلالي ، تسم كل اللا منتمين ومنهم دعاة الوجودية ، تلك الفلسفة التي يمكن تعريفها معجمياً على هــذا النحو : « الوجودية فلسفة تذهب إلى ان الانسان لا يمكن ان يكون حراً الا من خلال ادراكه التام لموقعه اللا شرعي في كون عديم المعنى . » ومن هذا المنطلق المحدد يمكننا ان نستوعب رأي ديمشتز الذي يذهب إلى ان « هـــذه الفلسفة (يعني الوجودية) تفصل الانسان عن المجتمع وتطلق سراحه من المسؤولية الأجتماعية . ومن ثم فهي من اخطر انواع الذاتية البرجوازية . . لانها لا انسانية وتشاؤمية في الوقت ذاته . » ومن ثم « فان العالم الذي يحيط بالانسان العالم الذي يصوره الفنانون الوجوديون ، كينونة خالية من قوانين

التطور الأجتماعي التاريخي . انه عالم ساكن لا يستطيع اي كان ان يغيره . ان الانسان فيه مسلوب القوة ، انه لا يفهم الواقع الذي يحيط به ، وهو عاجز عن التأثير فيه . » على حد قول آ . فستين . وفي هذا القول ما فيه من صراحة ووضوح تغنيان عن المتابعة والتعليق . ففي عالم يُستلب فيه الانسان هذا الاستلاب ، ليس غريباً ان تأتي الوجودية لتعبر عن هذا الاستلاب بطريقتها الخاصة ، التي تصبح بدورها توثيقاً لهذا الأستلاب . اما منطلق الوجودية ، من حيث كونها فلسفة انطولوجية ، فيتحدد في مفهومين : ١ ـــ اللا شيئية . ٢ ـــ الذاتية المغلقة الخائفة . وإلى هذين المفهومين معاً يشير كير كغارد بقوله : « اللا شيئية هي موضوع الفجيعة التي تتحول تدريجياً الى هوية . واللا شيئية نفسها هي وليدة الفجيعة ، بينما الفجيعة بحد ذاتها هي مُركب من مخاوف ذاتية ينعكس بعضها في بعض لتطبق تدريجاً على الفرد وكمثال على هذه الفجيعة مجسدة في كاتب مرموق يقدم لوكاتش فرانتز كافكا فيقول : « ان كافكا هو مثال كلاسي لكاتب حديث واقع تحت رحمة الفجيعة العمياء ، المفعمة بالرعب . ان موقعه الفريد مدين لواقع عثوره على وسيلة مباشرة غير معقدة ، لأيصال هذه التجربة الأساسية ، دونما رجوع إلى التجريبية الشكلية . » . ان الفرد الكافكوي « ينسحب إلى دخيلة نفسه يائس من قساوة عصره ، ولذلك فقد يمارس عملية الاعجاب المخمور بذاته المهجورة » ولذلك يقول كافكا : « نحن خيالات عدمية نحن جميعاً افكار انتحارية ، تتشكل في ذهن الله . » ومن هنا ، فالفوضى العدمية حقيقة ميتافيزيقية في اساس الكون . او هي الحقيقة الوحيدة المسلم بها ،

ليس فقط في الكون ، بل في العالم الذي نحياه نفسه ، بل في المجتمع أيضاً ! » .

٣ ـ قضايا فنية وادبية عامة

النموذج الجمالي ، المأساة الملهاة ، الواقعية الاشتراكية

اذا كان الفن لا يعني غير انتقاء ما هو جوهري اساسي في الحياة واطراح ما هو ثانوي هامشي ، وصياغة هذا الانتقاء في صور فنية تتبلور فيها العملية الأبداعية من خلال ذات الفنان المنفعلة والفاعلة في الوقت نفسه ، فان النموذج الجمالي هو خلاصة هذه الصور ، في اصفى ما تكون حيوية وشفافية وجاذبية ، لان الجمال نفسه لا يعدو كونه لمثال المجسد للحيوية والانسجام والتأثير في عملية معقدة متكاملة باستمرار ، عملية عيانية محسوسة مشخصة . . .

اما ميزات النموذج الجمالي فيحددها : د. لارمين على هذا النحو «١ـ النموذج الجمالي عياني وحسي . ٢ ـ انه تغلغل عميق في الجوهر الجمالي للظواهر ، ، وهو يعكس الاتجاهات الرئيسة للتطور الاجتماعي ، كما يعكس نماذج ذلك التطور ، في شتى صورها . ٣ ـ لا وجود للنموذج الجمالي خارج التجربة الجمالية العاطفية . » والتغلغل الذي يشير اليه الناقد لا يعني مطلقاً تجاوز الانسان باعتباره شخصية ذاتية ، في كل تعقيداتها ويجمل كيانها ، في حريتها وسلوكها الاخلاقي وحياتها الروحية . .

اما مصادر المعرفية الجمالية فهي تتأتى على رأي لارمين من ١ ـ مباشرة من الحياة في شكل انطباعات جمالية محسوسة ٢ ـ من الاعمال الفنية حيث تتجسد نتائج معرفة الفنانين الجمالية للعالم في صور فنية تتخذ

اشكالاً متنوعة ذلك ان العملية الابداعية نفسها ضرب من المعرفة الجمالية المصورة بهذا الاسلوب او ذاك ، على ان يؤخذ في نظر الاعتبار الواقع العياني بمختلف اوجهه في المجالات الانسانية ، في الشخوص الحية المختلفة الطبائع والسمات ، وفي الظواهر الاجتماعية والطبيعية ، في العوامل النفسية المتحكمة في هذه الشخوص ، في معالم الطبيعة المنعكسة في المجتمع الانساني وفي علاقات الانسان بتلك المعالم . ومن ثم فالشمولية في النموذج الجمالي هي العنصر الاساسي الذي يتحكم في كل الصور الفنية وفي قدرتها على التأثير . اما المأساة فان تحديدها ذو شقين : ١ ـ العالم الباطني للروح الانسانية بصفتها الذاتية ٢ ـ العالم الموضوعي الذي يؤطر هذه الروح . والى هذين الشقين يشير د . سريدني بقوله : « يتمثل موضوع المأساة في العالم الداخلي للروح والعالم الموضوعي والخارجي ، كما يفهمهما الفنان في وحدتهما الجوهرية بما فيهما من غنى وتعقيد . » على حين ان الشخصية المأساوية لا تستكمل مواصفاتها على نحو مأساوي ، إلا حين تصطدم بالعالم الخارجي ، وعند خلق الوضعية المأساوية . اما الملهاة ، على ما يذهب اليه ي . بوريف ، فهي (تناقض بين الغاية والواسطة ، الشكل والمضمون ، الفعل والظروف ، الجوهر المظهر . وهي في الفن وسيلة لتبيان التناقضات الاجتماعية . ومن اهم عناصر الفعل الكوميدي هو عدم التوقع . ومن اجل ان نفهم الواقعيتين النقدية والاشتراكية ، لابد لنا ان نتعرف على معطيات كل منهما ليكون تحديدهما واضحاً . تقدم لنا الناقدة كوليسكوفا هذه المعطيات على النحو الآتي : ا ـ الواقعية النقدية : ١ ـ الانسانية التي عبر عنها عهد النهضة (الرينساس) تعبيراً حياً اخاذاً ٢ ـ الصدق والقيمة المعرفية للفن ٣ ـ المثل العليا الباهرة التي قدمها الرواد الرومانسيون التقدميون ٤ ـ عدم التسامح مع رذائل المجتمع ٥ ـ نقد كل ما هو بال ومتخلف ورجعي . ب ـ الواقعية الاشتراكية : ١ ـ تصوير الواقع واعادة

خلقه تصويراً صادقاً . ٢ ـ نقد كل ما هو بال ومتخلف وعائق للتطور الاجتماعي . ٣ ـ العمل بنشاط وحيوية على تبني وتأييد كل ما هو ثوري وتقدمي . » من ظواهر الحياة في مختلف صورها . ما سبق كله تخطيطات مكثفة وخطوط عريضة لدراسات فنية وادبية وفلسفية ، ينبغي ان نوليها اشد العناية واعمق الانتباه واوسع الاهتمام ، لان القضايا التنظيرية ، في حياتنا الثقافية ، تشكل القاعدة الاساس لكل انطلاق نحو ربط النظرية بالواقع العملي العياني ربطاً جدلياً يأخذ بنظر الاعتبار ظروفنا الحسية المشخصة دونما تزمت عقائدي او انحلال ليبرالي . او هلامية عبثية ، او احساس بمركب نقص لا مبرر له حضارياً الخطوة الأولى صعبة ولا شك ولكنها الخطوة الضرورية .

مراجع البحث :

١ ــ مشكلات علم الجمال الحديث : جماعة من النقاد السوفيت .

٢ ــ الفن والمجتمع : جماعة من النقاد السوفيت .

٣ ــ إما وأما : سورين كيركغارد ــ الترجمة الأنكليزية .

٤ ــ في الواقعية الاوربية : جورج لوكاتش .

٥ ــ اسس النقد الأدبي : ترجمة هيفاء حسين .

٦ ــ الأدب باعتباره فلسفة : ايڤريت نايث .

٧ ــ جورج لوكاتش وهنري ارفون : ترجمة د . عادل العوا .

٨ ــ دليل الأدب : ثرال وجماعته .

٩ ــ المعجم الفلسفي السوفيتي : روزنتال ويودين .

١٠ ــ معنى الأدب المعاصر : جورج لوكاتش : الترجمة الأنكليزية .

١١ ــ الفلسفة الوجودية : آ . موليتا .

١٢ ــ المصطلحات الأدبية : م سكوت .

١٣ ــ النقد الأدبي ومدارسه الحديثة : هايمان ــ ترجمة : د ا . عباس و د . نجم .

١٤ ــ ضرورة الفن : آ . فشر ــ الترجمة الأنكليزية .

١٥ ــ النظرة السفلى : فيليب اوكونر .

هادي ياسين علو

ســيدة الضفاف

انا المرء ، والعاشق المستحيل (الذي افردته العشيرة مثل البعير) ،
استفقتُ على اول الحلم ، والبحر ملء يديك
وملء عيوني دموع الصحاب
واني اشتهيتك بجبولة من عذاب الحقول
ومن محنة الشعر والشجر المستقيم
استريحي على راحتيّ . البسي البحر
ان المسافات ملغومة بالحنين
وان العذابات مكتومة كالأنين

*

لماذا تكونين منقوشة في الشجر ؟
لماذا تكونين منقوشة في الذراع ؟
لماذا تكونين منقوشة في الذراع وفوق الشجر ؟
انني
حفنة من غبار السفر
فافتحي النهر كي استحمّ
وكي اغرق القلب
ان الذي تقرأين : كتاب الجنون الكبير
وان الذي تبصرين : امتداد لبعض القمر

*

تعلمتُ من وجهك الصمتَ ،
منكِ البكاءَ الجليل ،
ومنك اضطراب الخطى ،
والعتاب الجميل

*

تكونين لي نخلة في العراء
تكونين ماءً لوجهي الخجول بهذا الزمان القليل الحياء
فهل تعرفين لماذا تطوقني الآن ريح الجميلات ، او تستبيني الخيول الكحيلات
او يستبيني الغناء .
قلت العذابات يفتحن باباً جديداً ويمرقن مثل المياه
امسحي الآن وجهي بعينيكِ
ان الطيور استحمت بحزن الطريق اليكِ

*

تنامين في القلب مجموعةً من جراح وضيمٍ
فلا الدهر يمحوك ، لا الشعر يعطيك من حسن اسمائه الاسمَ
هل تهجسين جنوني
والغضب الجاهلي ، ياامرأة الحزن
ان العذابات شرعيةٌ في هواكِ . . .
لكم آلمتني سياط بني العم
كم سعدتني الهموم . . . .
. . . .
ولكنها
امة علمت كلَّ ابنائها اليوم سرَّ البكاء

قصة دالاس ملر

اسباب طبيعية (*)

ترجمة وتقديم فاروق سلوم

[دالاس ملر : روائي امريكي ، ولد في ميناء اشتابولا في ولاية اوهـايو ، ونال جائزة (هوب وود) من جامعة ميشيغان ، بعد أن أصـدر روايته ، « اليوم المزدوج » و « حـالمون وآباء » . عاش دالاس ملر في مدينة نيويورك فترة من الزمن ثم سافر إلى غرب ايرلندا وعاد بعدها لكي يقيم نهائياً في ولاية كاليفورنيا ، تظهر أعمـاله في الصحف والمجلات الأدبية وهي تتناول تجارب شتى في حياة « الرجل الأمريكي » وتلقي الضوء على الجوانب الفـاسدة فيه وفي قصته (أسباب طبيعية) يتنـاول الـكاتب تجربة جنديين امريكيين شاركا في الحرب الفيتنامية ثم عـادا إلى وطنهما وهما مستلبان من كل شيء !!] .

(*) Transatlantic Review No. 51, Spring 1975 P.P.5-18

كان ذلك شيئاً مفاجئاً بالنسبة لـ « بيفي ريد باث » . إذ ليس من الممكن ان تكون استعدادات الدفاع عن النفس التي كان يتخذها اثناء خدمته في الجيش الامريكي ؛ خلال الحرب الفيتنامية ؛ مدعاة للشعور بالذنب تجاه المواطنة (وهو بالطبع واحد من القتلة المعروفين حتى في فترة السلام) والا كيف يفسر النياشين التي اهدتها له الحكومة (الموقرة) !! الأول كان قد علقه على قميص النادلة الجميلة التي كانت تعمل في بار سايغون ، وذلك في إطار من الاحتفال والبهجة الذهنية ، والآخر سُرق منه في غرفة استراحة عامة في سدني باستراليا بعد ان امضى ليلة كاملة في مرافق القطار القادم الى هناك . والثالث قدمه هدية الى مضيفة (البان اميركان) في مكان ما بين سان فرانسيسكو وكليفلاند لانها سمحت له بالجلوس في مقاعد الدرجة الاولى بالرغم من ان بطاقته كانت من الدرجة السياحية . اما الاخير فانه لم يحضر لاستلامه لانه كان مسترخياً في الخيمة .

لم يكن بيفي جندياً جيداً ، كما لم يكن سيئاً الى هذه الدرجة (وهذا الاختلاف بالنسبة اليه شيء محير ، كذلك بالنسبة للحكومة الامريكية) ولكنه قرر ان يتخذ عبرة من هذه التجربة طوال حياته ، اذ ان تبرير الحرب غير القابل للجدل — وحتى اسبابها — هـو ان تسمح للرجال بالتعرف على الطبيعة البسيطة أو الفظة للرجال الذين يرافقونهم فيها ، وهي رفقة محببة طبعاً . لذلك فان حالات المطالبة والتشكي التي امضى بها فترة الاربع سنوات من الخدمة العسكرية تجعله الآن يتذكر جيداً ، كما لو انها كانت التجربة الوحيدة في حياته في الاوقات التي يشعر بها بالعالم . . وبالسلام مع نفسه . لقـد كان جندياً خجولاً غير قادر على التعبير عن آرائه ، (واذا افصح عن شيء فان حديثه سيكون عن الجنس طبعاً) . كان بيفي قادراً على ان يمضي بعض الوقت مع الفتيات ولكنه لم يكن قادراً على الارتباط بعلاقة حب مع إحداهن . وحتى خلال حياته فانه لا يستطيع ان يمتلك سوى مشاعر الصداقة التي يبديها نحو الجنود الأخرين . كانت حياته مشدودة الى حياة الثكنات العسكرية ؛ يلمع احذيته او يوازن عدته وهو يعتدل بجلسته لكي يسمح للجندي الذي يجلس قبالته ، في الاماكن الضيقة التي اعتاد ان يجلس فيها ، وكثيراً ما يكتفي بأحاديث فاحشة يقضي بها النهار لذلك فانه لم يكن يشعر بالوحدة يوم كان جندياً في سلاح البحرية ، لكنه بدأ يشعر بضآلته مذ سرح من الجيش .

بعد سنة من تسريحه ، بدأ العمل في موتيك فلامينجو خارج المدينة . وفي ظهيرة احد الايام اخبره موظف الاستعلامات بأن شخصاً غريباً سأل عنه ، « كان مقطوع الذراع ، وساقه ملفوفة بالشاش ، وذكر انه كان

قد تعرف عليك في فيتنام » . تأمل بيني قليلاً ولكنه لم يستطع ان يتذكر انه تعرف الى رجل مشوه الى هذا الحد المفزع ، اخيراً كان المساء يمر . . وبيني يحدق في ارضية الممر اللامعة حيث لمح دراجة بخارية تتوقف تحت المظلة الخارجية تتقدمها كتلة بيضاء مثل مقدمة السفينة ، حدق في هذه الصورة لكنه لم يلمح شيئاً مميزاً . وبينما كان هذا المخلوق يتقدم ببطء صاعداً الدرجة الاخيرة من السلم استطاع بيني ان يميز شيئاً من فتحة الجبس التي تغطي رأسه وصاح « من . . روجر ! » وهنا صدر صوت مبهم من بين تلك الكتلة المحطمة « انها بقاياي يا صديقي . . المهم كيف حالك »

— من اي مخبأ أتيت ، وهل انت ذاهب الى المقهى ام قادم منها ؟

— المهم انني جئت لكي ازورك وارى كيف تتمتع بالحياة المدنية ، ولقد هربت من المستشفى دون ان اخبر احداً : ثم مد يده الصحيحة لكي يصافحه ، وهنا شعر بيني بشيء يتحطم في داخله ، ثمة سخونة تجتاحه من الداخل وهو يقول : لم اشعر مرة بسعادة ملاقاة انسان له ساقان صحيحتان ، او حتى بدونهما . . فكيف تريد مني الآن وأنا اراك بهذه الحال . . » ثم تابع « وكم ستبقى على هذه الحال ؟ » . . اجاب روجر بحزن « طوال الفترة التي تستطيع ان تتحملني خلالها . » ، . . وكانت استعدادات الحياة بالنسبة لبيني متعلقة بالحد الأدنى مما يمكن ان يقال في تلك اللحظة ، وهو يحاول ان يستعرض حياته ، كما لو انه عاصر بعدو لم تكن حياته مختلفة عن حياته في فيتنام ما عدا انه يسكن في سيارة بدلاً من خيمة ، ومعدته — والاصح ما هو داخل المعدة — مجموعة سندويشات هي كل غذائه ، لانه يتذكر جيداً انه تناول اربعمئة او خمسمئة سندويش همبركر منذ سرح من الجيش . . « هامبركر ماكدونالد ، لحم معلب ، بوركر بوي . . بيف بوركرز ، جوت بوركر ،

فينسان بوركر ، تت بوركر ... وكل الانوا التي عرفتها ، انها ماثلة امامي .. ولكن القضية لا تتعلق بتلك الاسماء ، ثم توقف قليلاً ومسح يده بظهيرة يده وقال « هل لدي غذاء محدد ؟ . او فتاة محددة ؟ . وهل تعتقد ان لدي لا شيء .. محدد !! كل ما لدي هو سيارة .. واهلاً بك على كل حال !! »

انتظر روجر قليلاً ثم سأله : ما هو نوع سيارتك .

— بونتياك فاير بيرد ، حديدها مثل الذهب ، فرامل هايدروليك .. والمقود كذلك ، وفيها جهاز تسجيل ستيريو ، ومضاعف للسرعة بحيث انك تستطيع ان تسمع صوت المحرك على بعد خمسة اميال حتى لو كنت اطرش مثل صخرة !!

« — لقد عرفتها مذ اوقفت الدراجة هناك ، وقلت مع نفسي اذا كان هناك من يمتلك هذه السيارة هنا ، فانه بيفي ريد باك . لم يكن بيفي مقتنعاً بذلك ، فلقد شعر انها لحظة غير مناسبة لمتابعة الحديث بالرغم من سعادته الغامرة لملاقاة صديقه القديم مرة اخرى . كان وجه روجر شاحباً اكثر من المتوقع ، وكانت بشرته قذرة تحتاج الى حمام دافيء وملابس جديدة تجعله يظهر مقبولاً .

— تبدو مرتاحاً يا روجر !!

— انني ابدو مثل حمار اعرج أليس كذلك !! ثم توقف قليلاً وصاح « لا تسخر مني يا بيفي انني متعب بسبب اولئك الذين يخدعونني بهذه الطريقة ، وهل تعتقد انني قطعت المسافة من واشنطن الى هنا لكي اسمع ذلك ؟

— ما هذا يا روجر . لابد وأن حدث لك شيء ؟ ؟

— تقول شيء ؟ ؟ . انني محطم تماماً ، وهل يحتاج ذلك الى فهم ، تأكد انهم لو خصصوا جائزة للرجال المهزوزين لكنت انا بطل العالم . »

ثم قال بحزن « اعتقد انك لن تتركني هكذا يا بيني » . . لقد كانا صديقين منذ زمن (هذا اذا ما كانت العلاقة التي يتبادل خلالها الولاء الكلي . . او الكراهية بين اثنين ، فانها من الممكن ان تسمى صداقة) فقد التقيا في قاعة الطعام داخل معسكر بندلتن في ولاية كاليفورنيا ، وكان روجر يومها يقرأ كتاباً مسلياً ، فاقترب منه بيني لكي يرى ما اذا كان قد انتهى من قراءته ، وقال هامساً « انت الجندي الانيق الوحيد هنا ، ثم استدار روجر وسأل : « هل قلت شيئاً ؟ »

ــ نعم قلت انك الأنيق الوحيد هنا ، قال ذلك وهو يشير الى الاجزاء المبتلة تحت ابطي روجر ، وهنا رفع روجر ذراعيه ، ثم شم رائحتيهما وقال : انها المرة الاولى التي الاحظ فيها ذلك . . « انها مثل رائحة خنزير » أجاب بيني وهو يحدق في وجهه .

لقد كانت افضل الصفات التي يتمتع بها روجر إيستردي ، وبشكل عجيب ، قدرته على تحمل إهانات الآخرين ، والشفقة وحدها هي التي تمنعه من الرد ، لذلك فانه سرعان ما يضحك بحرارة ، مثلما فعل هذه المرة ، وكان كما لو انه يقدم الشكر لهذا الاهتمام الذي ابداه له . وفجأة نظر روجر الى السماء ، وكان فمه مفتوحاً وقال : الا تجد ان ذلك حملاً ثقيلاً ؟ (سواء اكان يعني بذلك الوقوف في خط الطعام لخدمة الفصيل او لأنه يعيش بهذه الطريقة) . فان بيني لم يجرؤ على سؤاله . . وبينما حمل بيني صحنه وملعقته واجتاز القاعة الكبيرة المزدحمة بالجنود ، شاهد روجر وهو يؤشر له من بعيد ، مشيراً الى انه حجز له مكاناً على الطاولة . لم تكن طريقة بيني في الاكل مدعاة للفخر ، ولكنه لم يشاهد من قبل احداً يأكل بطريقة روجر ، كان منحنياً وحنكه قريب من الحساء الذي يطفح به الصحن ، بينما تشغل يده في افراغ الطعام في جوفه بحركة سريعة ؛ ولم يكن بيني يشاهد الا قمة رأسه وجزءً من ظهره ، وكان

يشاهد وجهه بوضوح عندما يعتدل لكي يحتسي شيئاً من قهوته . « ترى هل لديه فكرة عن وجهه في هـذه الحالة ! ! » . . قال بيفي وهو يؤشر بسكينه على الجزء البارز من ظهر روجر ، « انك تبدو مثل الكلب الصغير من الخلف » . انني مستغرب لانك لم تتبرع وتضع غطاءً لاحدنا من هذا الزغب الذي يمتد » لكن روجر لم يرفع رأسه بل اكتفى بالقول « عندما تكون لدي نقود كافية ، استطيع قصه . . انه بحاجة الى ماكنة خاصة لم تسمع بها بعد » . واكتفى بيفي بالقول . . بان هنالك اشياء كثيرة لم يسمع عنها بعد .

* * *

بالرغم من انهما استطاعا ان يتعرفا على بعضهما خلال الاسابيع التي تلت ، فان فترات من الصمت كانت تطول بينهما . وهما يتجولان معاً ، لذلك فان بيفي يعتقد ان الحياة مع روجر ليست أقل سوءاً من العيش على انفراد . كانت بعض الاحاديث تأتي عفوية ألم تفكر بالزواج . . سأله روجر مرة ، بينما كانا يقضيان عطلة نهاية الاسبوع في شارع فريسكو ، ثم استطرد قائلاً : هل تعرف ما اريد ؟ . . انني اريد ان ترافقني جين فوندا الى حفلة ثانوية ربلي . . هـذا ما ! ! ثم عض شفته السفلى وتابع حديثه : أنت تعرف قصدي ؟

ـ اعد ذلك مرة اخرى ! !

ـ اقصد انني مستعد ان اعطي أي شيء تقريباً من اجل ان ترافقني جين فوندا الى هذه الحفلة . استنتج بيفي ان روجر لم يكن طالباً في ثانوية ربلي ، وحتى لو كان هناك فانه ليس من المحتمل ان تقتنع جين فوندا ان تدخل القاعة معه . . وهنـا قاطعه روجر قائلاً « انا لا اعني ذلك . . بل اقصد ان اتصور ، فقد اعتدت ذلك منذ وقت طويل يوم كنت في المدرسة . ألم تفكر انت بهذه الطريقة . .

— تصور انك لست مدعواً للحفلة ، وأنت تجلس في البيت وحيداً . . ثم في اللحظة الأخيرة ، تقرر ذلك . وتدخل القاعة ؛ وعندما يستدير الحاضرون لكي يروا القادمين الجديدين . . يندهشون ، ويفاجآنكما بالشتائم لانك مع جين فوندا (الى هنا وبيني لم يجب على سؤال روجر ، ولم يقل الحقيقة ايضاً) . .

— حسناً ، الا تريد ان تعرف شيئاً آخر . . اذن اقول لك : إنني احلم بامتلاك سيارة . . طويلة ربما تكون اولدزموبيل موديل ١٩٧٨ ، واتجول في شوارع ريلي ذهاباً واياباً . او غرب فرجينيا من الصباح الى المساء وأضغط على المنبه . . هل تعرف : انني لم امتلك سيارة في حياتي . .

— وابوك ؛ ألم تكن لديه سيارة ؟

— انه لا يعرف حتى كيف يقود سيارة ، ولن يستطيع ان « يقود » شيئاً حتى يموت !

كانت سيارة المصلحة التي اقلتهما الى المعسكر تسير ببطء ، وكان روجر قد اخرج رأسه من النافذة مثل كلب يلهث من حرارة الصيف ، وهنا أحس بيني بالدوار . . فاندفع باتجاه النافذة وأزاح روجر عن طريقه وتقيأ كل البيرة التي في جوفه . . وبعد ان ترجلا ، التفت بيني الى صديقه وسأله : ألم تذهب الى تلك الحفلة قط ؟ فضرب روجر كومة الرمل بحذائه بعصبية وقال « لا . ابـــداً ، لم احضر أية حفلة في حياتي » . . فقال بيني . . « المهم ارجو ان تدعو تلك المرأة مرة اخرى » وفهم روجر ما يعنيه بكلامه .

* * *

قبل نهاية عام ١٩٦٩ رحل الاثنان الى فيتنام عن طريق البحر . وعين بيقي في نفس فصيل روجر ، واصبحا يلتقيان بشكل دائم . . كانا يحرسان معاً ، يدخنان معاً ، وينامان في خيمة واحدة (ذلك لان موضوعية وجودهم في جنوب شرقي آسيا تستدعي الابتعاد عن العدو) ، لذلك فانهما كانا يؤديان كل ذلك معاً ، ولما كان بيقي هو المسؤول عن الخفارة الليلية فانه كان يستعمل أقصى طاقة تمتلكها ساقاه للابتعاد عن مواقع الفيت كونغ ، متجهاً الى اقرب قرية مسالمـــة . حيث يطلب غليوناً ، ويسأل فيما اذا يستطيع ان يجد فتاة ترافقه الليلة دون أن توجه له صفعة . اما روجر فانه يدخن الحشيش لكي ينتعش ، ولكنه سرعـان ما اكتشف ان ذلك يشعره بالحزن وبكآبة ، لذلك فانه اصبح يفضل البيرة لانها تشعره بالنشاط ، وعندما يسكر نهائياً (وهذا ما يحصل في اي مكان تكون لديه فيه نقود ، كافية) فانه يصيح بأعلى صوته ويثور محطماً الكؤوس التي تصطف على البار ، ويفتعل العراك مع الجنود الآخرين والزنوج منهم على وجه الخصوص . .

وفي احدى الليالي ، بينما كان بيقي جالساً في بار في سايغون ، دخل روجر عليه فجأة وسأله اذا كانت لديه رغبة في القيام بجولة قصيرة . . فأجاب بيقي مندهشاً : جولة . . بأي شيء ؟ .

— بهذه الناقلة . . قم . . وانظر

— من أين جئت بها .

— من الاسطول الامريكي . . وجدتها وفكرت بيعها في السوق السوداء .

كانت ناقلة جديدة ، فارغة من الداخل ، ويبدو انها لم تسر اكثر من عشرين ميلاً ، وعندمـا اقترب بيقي منها ، مدّ روجر اصبعه الى صدره وقال متحدياً : ينبغي ان تعرف شيئاً ايها الرئيس ، هو انه ليس هنالك

شيء في هذا العالم غير صالح للبيع . . وحتى الايام المليئة بالذكريات ، إذا توفر لها البائع الجيد ، هذا هو الشيء الوحيد الذي تعلمته مذ كان عمري ست سنوات .

— ولكن ليس من السهل ان تجد المجنون الذي يشتري هذه الناقلة التي تعتبر احـــدى ممتلكات الولايات المتحدة . . بسعر قدره عشرة آلاف دولار .

— ولكن الولايات المتحدة لا تدري بكل ذلك .. وانا الوحيد الذي امثلها . ثم ركب روجر النـاقلة واتجه الى قرية صغيرة لكي يعقد صفقة البيع ، ولكنه بعد اقل من ساعة عاد وجلس على الارض يسأل الرجل العجوز الذي يجلس في زاوية الكوخ عن امكانية بيع الناقلة في السوق السوداء .. وهنا غمز بيني بعينيه وسأله مشاكساً : بكم تبيع هذه الناقلة ، فأجابه روجر بعصبية : بحمارةٍ عـــذراء ! ! هل تعتقد انني اشتريتها ايها الغبي .

— انك لجندي حقير . . فعلاً .

— اسكت لقد قدمت لي خدمات عديدة حتى الآن . . ولا اريد ان تكون قذراً في النهاية .

وفي اليوم الذي كان على بيني ان يسافر الى الولايات المتحدة ، حـاول ان يحدق في وجه روجر ، ولكنه ابتعد عنه الى طريق آخر . كانا يتسللان الواحد بعد الآخر مبتعدين عن بعضهما من الصباح حتى ما بعد الظهر .. وحين نقل روجر الى موقع على التـــل في نفس اليوم الذي سيسافر فيه بيني ، حمل روجر حقيبته ولم يلتفت اليه او يقول كلمة « وداعاً » . اما بيني فقد حملته سيارة الجيب الى قاعدة جوية في سايغون ، حيث سيسافر الساعة الثالثة صباحاً . . كانت الساعة تشير الى العاشرة مساء حيث وضع عدته في الحقيبة واستلقى في الممر قلقاً من ان يتركه صديقه نهائياً . .

ولم يعد يتذكر شيئاً ، عندما استيقظ عنـــد منتصف الليل ليرى روجر إيستردي واقفاً عند حافة السرير .

حدق به روجر قليلاً وقال : (لقد ارسلني العريف بوكورثي في خفارة لكي يخلو له الجو لتناول المخدر .)

كانت مهمة روجر هو استعادة عدة احد الجنود كانت قد فقدت اثناء المناوشات ، بالرغم من انه مقتنع بان الجنود الاميركان لم يفعلوا شيئاً اثناء المعركة غير اطلاق النار في الهواء ، ورفع بنادقهم الى اقصى درجة ممكنة في الهواء للتغطية فقط ، وهو يعرف جيداً انهم جميعاً كانوا منهكين جراء حملهم الووكي تاكي[1] ولقد جرب ذلك بنفسه اكثر من مرة ، يوم كان عليه ان يعود الى القاعدة حاملاً على ظهره جهازين او ثلاثة ويستمع الى الحراس وهم يخبرون بعضهم بعودة « رجل الخردة » . . والمقصود « انا طبعاً » ردد روجر مع نفسه ثم التفت الى بيني وقال : ما الذي ستفعله عندما تعود الى الحياة المدنية ؟ .

ــ سأشتري سيارة بونتياك . . فاير بيرد . قال بيني ذلك وهو يلمح بريقاً حاداً في عيني روجر . . وبالرغم من انهما لم يتحدثا كثيراً عما سيفعلانه عندما يعودان الى الحياة المدنية فانهما يعرفان ما سيفعلانه . كان بيني يحمل احلاماً محددة عن الحياة المدنية . وهو يعرف ان امه سوف لن تكون سعيدة عند رؤيته مرة اخرى لقد كانت تقضي معظم الوقت في بيوت شتى مع اكثر من رجل . وعندما كان في المدرسة الثانوية فانه كان يشعر بأنه يعيش وحيداً برغم وجودها معه ، فهي قليلاً ما تطبخ ، ونادراً ما تغسل الملابس وكان بيني هو الذي يفعل كل ذلك حتى بلغ الحادية عشرة من العمر . ولكنه بعد أن امتلك سيارة ، أصبح باستطاعته

---

(١) الووكي تاكي - مذياع يحمله الجنود الامريكان .

أن يفعل أي شيء . فاذا طردته أمه — وهذا ليس خارج التصور — فانه يستطيع أن يقضي بقية أيامه في السيارة .

نعم يا سيدي ، إذا امتلك الرجل سيارة فانه يستطيع ان يضمن أي شيء تقريباً ، « بب » فتح عينيه « فيلا . . هو كل ما يحتاجه في هذا العالم ، وقسطين متقدمين من اقساط سيارته ، ودولارين في جيبه .. وهكذا يصبح حراً » أنت تعرف ذلك يا روجر . ثم عاد يحدق في صديقه ولكن روجر لم يكن هناك . فقد تسلل خارجاً في اللحظة التي اتكأ فيها بيني على الحائط واغلق عينيه . . قال بيني مع نفسه « انه غبي حقاً . . لم يقل حتى كلمة وداعاً » بعد ستة أشهر تقريباً ظهر روجر من جديد ، وعندما التقى به بيني صدفة ، ألح عليه بمرافقته في الفاير بيرد ، التي اعتاد أن يوقفها على الساحل كل مساء .

في تلك الليلة حاول روجر أن يطوي جسمه لكي ينام على المقعد الخلفي محاولاً تفادي الضماد الذي يلتف حول ساقه ، ولكنه في النهاية قطع معظم أجزائه وألقاها من النافذة — واختار روجر أن ينام على الرمل — .

* * *

في الايام الجميلة ، كانا قد تعودا الخروج مشياً بين صخور الساحل ، اما في الايام الممطرة فان روجر يضطجع على المقعد الخلفي ملتفاً بمعطفه المطري . بينما يلتف بيني حول المقود يقرأ كتاباً مسلياً ، ويستمع إلى الراديو ، وعندما يكون الجو رديئاً فانهما ينامان متأخرين بعد ان يختطفا وجبة خفيفة من كشك الاستراحة ثم يشاهدان فيلماً في المدينة لقد كان عليهما كل صباح أن يتناولا وجبة مبكرة ، اما في مقهى ماكدونالد . . . واحياناً قبل الذهاب إلى موتيل فلامينجو ، كان بيني يعمل لساعات قليلة

في دار لتنظيم آثاث البيت ، حيث يجلس روجر خلف المكتب يشرب البيرة ويراقب التلفزيون . وكان يردد بين دقيقة وأخرى « هل أنت متأكد أنهم ينظمون آثاث البيت جيداً ؟ ؟ . وقد تعودّ بيني أن يقود الفاير يرد إلى البحر حيث يملأ روجر سطلاً بالماء والصابون وينظف السيارة والاطارات ، بينما ينشغل بيني في تنظيف الداخل ، ويقومان بتجفيفها بالمناشف التركية (التي سرقت من موتيل فلامينجو طبعاً) . . ولم يكن بيني يشعر بالراحة الا وقد مسح آخر نقطة صغيرة على سقف السيارة . .

— هــه « قال بيني » . . انني أشعر بالنظافة الآن ، فأنا لست مرتبكاً مثلك .

حدق روجر بألم ولكنه لم يقل شيئاً بل اكتفى بتحريك السطل بهدوء وأفرغ على الارض آخر قطرة فيه قبل أن يضعه في الصندوق الخلفي . ثم خطا بيني خلف السيارة ومسح اللطخة التي تركتها يد روجر قرب القفل .. وردد بهدوء : اعتقد انه من الافضل أن تجدد ضمادك . . لماذا لا تذهب إلى هناك ، انهم سيساعدونك حتماً . وهنا اوضح روجر بأن هذه الضمادة مؤقتة او انه من الممكن عند عودته إلى مستشفى والتر ريد أن تستبدل بواحدة أخرى جديدة في اي وقت .

قال بيني : ولكنك رجل مهمل حقاً . لكن روجر لم يكن مهملاً قط . وكان يجب ان يكون "مسرّحاً الآن ، لكن رئاسة اركان الجيش الامريكي لن تتخلى عنه حتى يثبت أنه أصبح جاهزاً — بشكل كافٍ — لمواجهة الحياة مرة أخرى . انها واحدة من الحالات التي تعالجها الحكومة (كانوا يضعونه كل يوم لأكثر من مرة في حالات من الأختبار والتعبئة والتخويف بحيث يصبح من المستبعد أن يقدم على الانتحـــار ولا يريد شيئاً غير الاحتفاظ بحياته ولن يعتقوه — طبعاً — الا بعد أن يوافق على استمرار

حياته بدون أي شرط خصوصاً أنه يمتلك نصف الاجهزة التي يحتاجها للعمل) .

كان من الصعب على بيني ان يفهم صديقه حتى في احسن الظروف . إنه سيجد الحياة قاسية ، فهو لم يكن اكثر ذكاءً من الفيتكونغ (الذين كانت تعول عليه الحكومة أن يوصل الحضا[illegible] اليوم) كما انه لا يمتلك خبرات تحلي تلك التي اكتسبها من د[illegible] الثانوية واثناء اداء خدمته العسكرية ، كما انه لم يلتق بفتاة الا وكان الدفع نقداً . . والآن وهو في العشرين من عمره وليس هناك امرأة بكامل عقلها أن ترتبط به (بعملة أو بدون عمله) . . قال روجر : لقد قررت أن اعود إلى مستشفى والتر ريد ، ثم ارفع الضماد ، واعيد يدي البلاستيكية .

ـــ ولكن ما الذي ستفعله بالضبط . . ثم هز روجر كتفيه وقال : من قال ان لديّ شيئاً افعله ، ربما ساعود الى البيت ، واعتني بأبي واوفر راتبي التقاعدي . ثم توقف قليلاً ، وبلل شفتيه وتابع حديثه :

ـــ ربما أذهب إلى شارلستون وأقص الزغب الذي ينمو في ظهرتي ... لقد سمعت انهم يستعملون مكائن جديدة . فقال بيني مصعوقاً : ما هذا الجحيم ؟ . . كان ذلك بالنسبة لبيني شيئاً لا يختلف عن الحرب . تمايل روجر وسحب لفافته إلى الخلف ، واطلق يده في الهواء لكي يتوازن في مشيته ، ثم اعلن ـــ وكان ذلك في يوم من ايام شهر ايلول ـــ إنه من الافضل ان يعود إلى مستشفى والتر ريد قبل ان تسوء حالة الجو . . وتصبح الطرق وعرة . . وعندما تطوع بيني لايصاله بالفاير بيرد ، رفض روجر ذلك لانه يفضل الذهاب على دراجته . إنه يحب الرحلات التي تتم بهذه الطريقة . وتساءل بيني « ترى هل ستتحسن حالته ؟ » .

إنها الجحيم حقاً . . ولكنه عاد وردد مع نفسه طبعاً ستتحسن حالته ، فليس هناك حرب بعد . . طبعاً لم تعد هناك حرب . . وبيني غير مستعد للمراهنة على ذلك . إنشغل روجر بتجهيز عدته — كتبه المسلية ، ادوات الحلاقة ، وقميصه العسكري — ثم وضع كل شيء في حقيبة ورقية وبدأ يشدها إلى حـالة الدراجة . وكان بيني ، وهو يتربع على صخرة قصية ، يسمع بين لحظة وأخرى صوت ارتطام لفافة ساق روجر بالسيارة . . كما لو ان شيئاً يتحطم . أخـيراً انتهى وإنتصب أمـام بيني وهو يرتدي زيه الذي كان يرتديه يوم التقى به قبل شهرين ، ثم سعل اكثر من مرة وقال أخيراً (لقد أنتهيت وأن عليَّ أن أقـدم لك شكري يـا بيني) . لم يجب بيني . . وظل صامتاً . ثم قال وهو يضرب يده :

— لا تقل ذلك . . انني لم أفعل شيئاً .

— انا اعرف أنك لم تفعل شيئاً . . وأعرف أنك — صديق غبي — إلى درجة انه من الممكن أن تقطع يديك . . وأن تقتلع رأسك من بين اكتافك إذا طلبت منك ذلك . .

ثم اخـذ نفساً عميقاً ونظر إلى صـديقه بحذق ، وتوازن على سـاقه السليمة وقال بارتباك : اريد ان اعرف شيئاً واحداً . . اعني اننا كنـا معاً منذ زمن بعيد ، والشيء الذي اريد ان اعرفه يا بيني هو ... أقصد هل تكرهني يا بيني ؟ . . « لا استطيع أن اتصور ذلك » . .

نهض بيني . ومشى بين الصخور عتداً . . وهنا حـاول روجر ان يضحك وقال : (ينبغي أن لا أتصور شيئاً من ذلك) ثم تحرك باتجاه الدراجة . . ورفع نفسه ، وأراح اللفافة التي تتقدمه على مخزن الوقود . . وحدق لآخر مرة إلى بيني وهو مـا يزال واقفاً بين الصخور ، تحركت الدراجة وسط الرمال ثم ارتفعت الى التل باتجاه الطريق الرئيسي .

. أخيراً انتهى بيتي من قراءة الكتاب المسلي الذي كان قد بدأ به قبل يوم . وعندما شعر بالجوع تحرك باتجاه كشك الاستراحة على الساحل ولكنه وجد الكشك مقفلاً بمناسبة بداية فصل الشتاء . وعند الظهر تأكد ان المطر سوف يسقط بعد ذلك .. ركب الفاير بيرد باتجاه التل ، واخذ معه وجبة خفيفة من مقهى ماكدونالد . . وغسل السيارة بالماء ، ثم انحدر تحتها . . واعاد غسل السيارة مرة أخرى ، وعندما بدأ يجففها أحس بشيء غريب . . شعور بالحرمان والغربة — وضرب السيارة بجنون — ثم استراح بعد ذلك وراح يمضي كل الوقت في تلميع السيارة . .

ملف خاص

عن :

الدكتور سامي الدروبي

١٩٢٠ ـ ١٩٧٦

أعده : ماجد السامرائي

رغم أن [المترجم] ظلّ هو الطاغي ، اعلامياً ، على شخصية الدكتور سامي الدروبي ، فان هناك جوانب مضيئة غنيّ تمثلت في شخصه ايضاً . لعلّ ابرزها فيه : السياسي ، والمربي . .

ولشدة ما بين هذين الجانبين من « انصهار » في روحه وفكره ، فانهما امتزجا ليعبرا عن نزعة فكرية فيها من وحدة المثال والواقع ما أتاح لها ان تعبرّ عن خصائص جوهر « الشخصية العربية » في فجر تطلعها الى حضارة جديدة تتخذ من « الفكر » منطلقاً ، ومن « الفن » تعبيراً عن سموّ الروح والوجدان .

كان سياسياً . . بمعنى : العقائدي المنتمي الى حركة ثورية . .

وكان مربياً . . أيضاً . . فبثّ روحاً جديدة في روح الأجيال التي علمها . .

وعنده ، كما عند البعض من اساتذته وزملائه ، اجتمع « الفكر العقائدي » بالفكر التربوي ضمن مسار تحرك سياسي واضح المعالم ، محدد الأهداف والاتجاه .

وكان « الفن » عنده هو « منبع » سموّ الروح وتساميها . . فانتقى من هذا « الفن الانساني » ما يحقق هذه « الصفة » ، وما يتوفر على هذا « الشرط » . وترجمه بلغة ، هي الاخرى ، « فن » ، أو « سموّ » بهذا الفن . .

* * *

يبدو لك ، حين تستعرض ما ترجمه الدكتور سامي الدروبي من اعمال كبيرة ، انه كان ينطوي على حسّ تطور عميق . . ولعله كان يرمي ، من خلال الترجمة ، الى تقليص المسافة بين « الابداع » و « اصوله » . . وكان يرمي الى تقديم « النموذج » بكل بعده الانساني ، وبجميع معانيه . فكان « يختار » . . ولكنه لم يكن يختار إلاّ ما ينسجم مع « طموحه المشروع » . فهو ، في ترجماته ، يبدو كما لو انه كان يريد ان يضع « سنداً » ، فكرياً وفنياً . وراء ظهر جيل من المثقفين العرب كان يريد لهم ان يبنوا الحياة الجديدة في وطنهم . وهو ، في هذا ، اراد ان يتحمل جزءاً من المسؤولية . . مسؤولية البناء الجديد . وكان قد بدأ هذا في فترة حرجة مرت بها الثقافة العربية ، كانت بمثابة مفترق طريق بين : الابداع والاتباع . بين التجديد في القيم والمفاهيم والتجارب والاشكال

وبين الركون الى صوت الماضي . وكان الدكتور سامي الدروبي ، في ما ترجم ابان تلك الفترة ، اراد ان يضع شيئاً ذا قيمة في هذا « الفاصل العميق » ، لكي يتنبه ، كلا الفريقين ، الى ما ابدعته وتبدعه الحضارة الانسانية .

* * *

هل كانت الترجمة عنده تعبيراً عن « فكر » متعين ؟

هي كذلك . لكن سامي الدروبي لم يعبر ، في هذه الترجمة التي قام بها ، عن « فكر طبقة » بقدر ما كان يعبر عن « مفهوم فني » ، ويجسد او ينقل تجسيداً حياً لواقع انساني عبرت عنه « اشكال فنية » لها اساسها الراسخ ، ومنطلقها الواضح . وكان ، في ذلك كله ، يستهدف البناء الثقافي الرصين ، وتقديم « النموذج » لحركة الابداع العربية .

* * *

كان الوطن يعيش صراعاً ، حاداً وعنيفاً ، من اجل اعادة بناء الشخصية القومية للامة يوم انتظم سامي الدروبي في صفوف الحركة السياسية ، متخذاً من [الفكر القومي] معبراً نحو طموح الامة . وكان على الشعب ان يعيد البحث عن ذاته ، وهو في غمرة صراعه مع التخلف والجمود . . . وكان جيل سامي الدروبي — وهو جيل من المثقفين ثقافة حقيقية — سرعان ما اختار الطريق . فانتمى الى هذه الارض [ربط مصيره ببعث رسالة الامة . واطلق قواه ، الذاتية والفكرية ، لتعمل في الواقع .]

وإذا كانت هذه الفترة بالذات قد شهدت نمو فلسفات وافكار (بعضها كان بعيداً عن هموم الامة في طروحاته) ، فان عدداً من المفكرين ، والمثقفين قد وجد شهادته الحقيقية في [الاتجاه القومي] ، فانتمى . .

وأسس . ووضع المبادىء والمنطلقات . وكان هـذا [الانتماء] ، منذ البدء ، رمزاً لطموحات تتحرك في وجدان الامة وتعبيراً عنها . فكان لهذا الجيل ان مثّل قوّة ذاتية كبيرة نحو يقظة قومية تستفيد من كل إنجازات العلم ، وتطورات الفكر . . مع احتفاظها بخصوصيتها القومية .

* * *

لقد كان دافع الترجمة عنده هـو الشعور بالحاجة الى [المعرفة] في مرحلة البناء العربي الجديد كان يهدف ، من خلاله ، ان يقيم [جسراً ثقافياً] بين جماهير مثقفينا وبين الابداع الأصيل . . ولو ان هـذا قد جاء على حساب عنصر الابداع عنده ربما لانه كان يحس انه يحقق [ذاته الثقافية] عن هذا الطريق . .

* * *

هذا الملف . . اسهام متواضع في تخليد الدكتور سامي الدروبي : إنساناً . ومناضلاً . . وأديباً . . ومربياً . .

ماجد السامرائي

لوحـة حياة . .

— العام ١٩٢٠ : ولد سامي الدروبي في حمص ، بسورية . . وفيها درس الابتدائية والثانوية . .

— اكمل القسم الثاني من دراسته الثانوية (الباكلوريا) في دمشق .. وكان استاذاه فيها : ميشيل عفلق وصلاح البيطار .

— العام ١٩٣٧ : انضمّ الى [عصبة العمل القومي] ، وكان نشيطاً فيها . وتميز بجمال لغته ، وبحسن مخاطبة الجماهير .

— ۱۹۳۷ ـ ۱۹۳۹ : دخل دار المعلمين في دمشق . . وفيها تخرج ، حيث عيّن معلماً . وفي هذه الفترة أتقن اللغة الفرنسية من قراءاته الخاصة .

— العام ١٩٤١ : بدأ يترجم بعض الأعمال الأدبية والفكرية . . وكان الاستاذ حافظ الجمالي شريكه فيها (ومن بين ما ترجماه فى هذه الفترة : [بين التربية وعلم النفس] ـ تأليف ميو (فرنسي) . [المذاهب الفلسفية] ـ لكريسر و [المشكلة الاخلاقية] ـ لنفس المؤلف) . . ولم تنشر أي من هذه الترجمات ، بسبب غلاء الورق اثناء الحرب .

— العام ١٩٤٣ : اوفد سامي الدروبي الى مصر ، وبقي فيها الى العام ١٩٤٧ ، حيث درس الفلسفة فى جامعة القاهرة . وكان اساتذته البارزون فيها : الدكتور عبد الرحمن بدوي ، والدكتور يوسف مراد .

— خلال هذه الفترة من وجوده فى مصر ترجم مجموعة من الكتب الفلسفية ، تركزت على آثار [هنري برغسون] . . حيث ترجم : [الضحك] ، [منبعا الأخلاق والدين] و [الطاقة الروحية] .

— العام ١٩٤٧ : عاد الى سوريا ، وعين مدرساً للفلسفة فى مدينة حمص . . لمدة سنتين .

— نقل بعدها الى دمشق . . واصبح معيداً فى قسم الفلسفة بجامعة دمشق .

— العام ١٩٤٩ : اوفد الى فرنسا ، لنيل الدكتوراه . . وظل هناك حتى العام ١٩٥٢ . . ولم ينقطع عن الترجمة خلال تحضيره للدكتوراه .

— العام ١٩٥٢ : عاد الى سورية . وأصبح استاذاً فى كلية التربية . حتى اوائل العام ١٩٥٩ ، حيث ندب الى وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة فى القاهرة .

ـ في اوائل العام ١٩٦١ : عين مستشاراً ثقافياً للجمهورية العربية المتحدة فى البرازيل . . وظل فترة وجيزة . حيث وقع الانفصال ، فى ايلول ذات العام ، ليعود الى دمشق . والى عمله كاستاذ فى الجامعة .

ـ العام ١٩٦٣ : بعد ثورة الثامن من آذار عيّن وزيراً للتربية فى سورية . . ولكنه ترك الوزارة بعد فشل [ميثاق ١٧ نيسان] .

ـ عيّن ، بعد ذلك ، سفيراً لسوريا فى يوغسلافيا . .

ـ العام ١٩٦٦ ، بعـد حركة ٢٣ شباط ، عين سفيراً لسوريا فى القاهرة ، واستمر الى ما بعد وفاة جمال عبد الناصر .

ـ العام ١٩٧٠ ، نقل الى مدريد ، سفيراً ايضاً . . وبقي هناك حتى اواخر العـام ١٩٧٥ ، حيث عاد الى دمشق بسبب مرض القلب الذي ألح عليه .

ـ خلال ذلك كان يترجم اعمال دوستويفسكي التي بدأها في القاهرة ، وتابعها في مدريد . . فانجزت كاملة فى تسعة عشر مجلداً . . ثم بـدأ بأعمال تولستوي . . ولم ينجز منها سوى اربعة مجلدات . . وحين باشر بترجمة الجزء الخامس داهمه الموت .

أعمـاله

آ ـ المؤلفات

كتب الدكتور سامي الدروبي ، خلال حيـاته ، مقالات عديدة . . وخاض بعض المعارك الفكرية مع بعض المثقفين . . خصوصاً في مصر .

إلا أن اهم ما كتب ، في مجال إختصاصه ، كتابان . . هما :

* علم الطباع (المدرسة الفرنسية) (دار المعارف بمصر : ١٩٦١) :

يستعرض فيه افـــكار [المدرسة الفرنسية] في [علم الطباع] . . ويحلل هذه الافكار ، ويقارنها بغيرها . . ويعمد الى تطبيق نتائجها على نماذج من ادبنا العربي .

وهو يعرف لنا علم الطباع بأنه [العلم الذي ينتهي من تصفح صفات الطبع وخصائص الخلق وسمات المزاج لدى الافراد الى تصنيفهـــم في نماذج] . . وهو يعتقد بأن افكار هذه المدرسة ودراساتها [تفتح آفاقاً جديدة ، وتلقي اضواء ساطعة] . خصوصاً في باب النقد الأدبي .

* علم النفس والأدب . (دار المعارف بمصر : ١٩٧١) :

يضع له عنواناً ثانوياً ، هو : [معرفة الانسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان] . انه لا يبحث [العلاقة بين العلم كله من جهة . وبين الفنون والآداب جميعها من جهة اخرى ، وانما موضوعه — كما يقول في مقدمته — ان نبحث العلاقة بين علم النفس والأدب] . . [ومن يكن موضوعه العلاقة بين علم النفس والأدب ، فهو واقف في داخل علم النفس وفي داخل الأدب معاً ، ولكنه واقف كذلك في خارجهما] . . هكذا يقول . اما كيف يكون ذلك . فيجيب المؤلف : [لانه لا يستطيع إلا ان يتجاوز افقيهما الى افق ثالث ينظر اليهما منه ولقد كان هذا الافق الثالث الذي انتقلنا اليه هو الافق الفينومينولوجي .]

انه ينتهي ، في هذا الكتاب ، الى فكرة طالما التزمها ، ودافع عنها . . وهي [ان دراسة شخصية الأديب من خلال آثاره مفيدة الى حد بعيد ، وإن لم تكن هي الكلمة الاخيرة في الحكم عليه] . وهـو ذات الرأي الذي يتبناه كثير من علماء النفس في عالمنا المعاصر .

ب - بعض مترجماته

— معذبو الأرض — فرانز فانون — (ترجمه بالاشتراك مع جمال أتاسي) — دار الطليعة للطباعة والنشر — بيروت

— الضحك — هنري برغسون — (ترجمه بالاشتراك مع عبدالله عبد الدائم) — الطبعة الأولى — ديسمبر ١٩٤٧ — دار الكاتب المصري — القاهرة .

— الطاقة الروحية — هنري برغسون —

— منبعا الدين والأخلاق — هنري برغسون —

— مسائل فلسفة الفن المعاصرة — جان ماري جويو — الطبعة الأولى القاهرة : ١٩٤٨ . الطبعة الثانية : دمشق ١٩٦٥ .

— المجمل في فلسفة الفن — بندتو كروتشه — الطبعة الاولى : القاهرة : ١٩٤٧ . الطبعة الثانية : دمشق : ١٩٦٤ .

— جسر على نهر درينا — إيفو أندريتش (مراجعة الدكتور يوسف مراد) ، وزارة الثقافة والارشاد القومي — القاهرة (؟)

— الأعمال الأدبية الكاملة لدوستويفسكي (في تسعة عشر مجلداً) — دار الكاتب العربي — القاهرة (١٩٦٨ — ١٩٧٢) .

— الأعمال الأدبية الكاملة لتولستوي — (ظهرت منها ثلاثة مجلدات) وزارة الثقافة — دمشق (١٩٧٤ — ١٩٧٦) .

— مياه الربيع — تورجنيف — سلسلة روايات الهلال — القاهرة : ١٩٧٢ .

إبنة الضابط — بوشكين — سلسلة روايات الهلال — القاهرة : ١٩٧١

— الموسيقي الأعمى —

— علم النفس التجريبي — جزءآن .

سامي الجندي

حياته كانت المجدية . .

كانت الدروب جرداء في سورية . . وكانت آمال شعبنا قفراً . . إلا من الصبية الصغار اللاهثين عبر بؤسهم الى وطن افضل . دموعه أقل . احزانه بداية فرح لا بداية يأس . .

سنة ١٩٣٢ تعرفت الى سامي الدروبي . كنا نجلس الى طاولة واحدة . . كان يجمعني اليه البؤس اول ما يجمع . . أول مظاهرة اشتركنا بها كانت من اجل وحدة سورية والعراق . جاء أبوه الى المظاهرة واخذه منا ومنها . . كان خائفاً عليه من دروب الشعب ، فقد كان يحدس ان المشقة قدر إبنه . . وكان يخشى عليه هـذا القدر لكنه كان يفرّ الى كل المظاهرات . لم يكن فيها شجاعاً ولكنه كان يتحمس لكل شعار . . وربما كان اكثر الصغار صياحاً .

كانت بوادر « البعث » الخفية في أعماق شعبنا ، تشدنا برباط عجيب من طلاب الصف نفسه كان جمال اتاسي ، وكمال مشارقه الذي اخذته المنية في حادثة تافهة

كان يقوم بخدمة العلم . وقتل جندي فقير من حيته ، فرافق نعشه الى بلده . . وعلى الطريق . قتل كمال في حادثة سيارة .

القدر الصعب كان يترصدنا منذ تلك الأيام على شق منعطفات الدروب لكننا رفضنا كل موت تافه . . كنا نحلم بان يكون موتنا مجدياً . هل كان موت سامي الدروبي مجدياً ؟ ابداً . . حياته كانت المجدية . .

منذ نشأنا كنا على مفترق الطريق . ان نستسلم او ان نكون مجددين للامة . . . للامة ووحدتها . . لم يكن بوسعنا ان نحمل سلاحاً . لم يكن بوسعنا ان نكون من ثوريي الجبال ، ولو ان الثورة في اعماق طفولتنا . هذا العالم كان لئيماً ، وكان يجب ان نبدله . احذيتنا المثقوبة ، اسمالنا ، واحياناً جوعنا كانت تحدو بنا الى الاختيار العظيم : ان نرفض هـذا العالم البائس . . ان نحطمه وان نجد الوسيلة الى ذلك . . وكنا مؤمنين بأنفسنا إيماننا بالشعب .

كان ابوه الشيخ المعمم التاجر الصغير . . يجهد بكل حنانه ان ينتزع منه هذه « الافكار المخيفة » . . وكان يحب اباه . . ويدين بأفكاره هو لا بأفكار ابيه . عجيب تناقض الطفولة . . يظل معك حتى الموت .

عندما حملنا شهادة الباكلوريا عمل معلماً في قرية . . وآنئذ اختار الطريقة التي يعبر منها وعليها الى الامة . قال لي في دمشق : [لست عبقرياً . لا استطيع ان اكتب كتاباً خالداً . . لكنني اريد ان انقل الخالدين الى امتي] .

لم يكن هذا اعترافاً . . كان تواضعاً يلازمه في كل تصرفاته . في حياته كلها .

لا ادري حتى ، على التحقيق ، ترجم لالكسيس كارليل [الانسان ذلك المجهول] ؟ كان ذلك في الاربعينات . وكان فتحاً في عالم الترجمة .

— في سنة ١٩٤٣ اختير مبعوثاً عن سوريا لدراسة الفلسفة في القاهرة .

ما هي اهميته في عالم ثقافتنا المعاصرة ؟

— عندما اقرأ الترجمات العربية لبعض الأعمال التي قرأتها في لغات اجنبية اصاب بخيبة امل كبرى . . ذلك ان اكثر المترجمين منها لا يحترفون [فنية الأثر] ، او يقصر حدسهم عن الهريق الفني . لكني عندما اقرأ

ترجمات سامي الدروبي ارى روحه وعبر روحه الكاتب ، او المفكر الذي ترجم له ، كأنه كان يعيش ذلك الكاتب . كانت عنده القدرة على ان يصبح هو الكاتب وشخوص الكاتب وابطاله في جو نفسي واحد . .

لقد استطاع في الكتب التي ترجمها ان ينقل الصور والالوان والعواطف كما هي الى حد بعيد عبر مرآة عربية لقد ادرك جمال لغتنا وقدرتها على ان تعبر عن كل خلجات الفكر الانساني والنفس الانسانية . لقد أثبت بطلان الزاعمين ان العربية قد تخلف ركبها .. اولئك الذين يظنون ان اللغة شيء ميت ، او يمكن ان يموت . ان الكلمة حياة خالدة ، تعبر العصور وتعبر عن اختلاف الاحساس عبر العصور . قد تموت بعض الكلمات ، لكن بناء اشتقاقها الانساني يظل مستمراً . .

في الكتب الفلسفية التي ترجمها لم يقحم الكلمات اقحاماً مصطنعاً . جاءها بكل بساطة ، ودون تفاصح المغرور الذي يتيه على العربية بانها اقل شأناً من علمه . جاء الترجمة محباً ، مؤمناً ، ففتحت له اللغة مصاريع ابوابها . ترجم برغسون فأدى فكره وجمال اسلوبه .

جاء دوستويفسكي مؤمناً بفقرائه ، لأنما كان يسكن حياً فقيراً فيه نماذج ليست بعيدة عن اجواء دوستويفسكي .

جاءه مؤمناً بالبؤس وتبديل البؤس . . مؤمناً بالجمال ، جمال دوستويفسكي الفريد في اجوائه ، فأدى ما يمكن ان تؤديه اللغة عن البؤس والتبديل والجمال .

أحمد عباس صالح

شخصية لا تنسى

الدور الأساسي الذي لعبه د . سامي الدروبي هو دوره في الترجمة . . وهو دور تنويري مهم جداً قام به في وقت مبكر نسبياً ، عن طريق ترجمة بعض الأعمال الأدبية المهمة . . مثل ترجمته للفيلسوف الفرنسي برغسون ، ومثل مبادرته بترجمة رائعتين للكاتب اليوغسلافي : أندريتش . .

ولكن اهم انجازاته في الترجمة انجازه الاعمال الكاملة لدوستويفسكي .

كان يتميز بالانتاج الوفير ، وبحس نافذ الى الأعمال التي يترجمها ، ولغة عربية طيعة تساعده على هذا الانجاز الضخم باسلوب ادبي لاشك انه رفيع .

حقاً ، لم تقتبم الترجمة ، حتى الآن ، من حيث المطابقة والدقة الفنية . . لكن بلا شك هذا انجاز لم يشاركه فيه اي كاتب عربي آخر . وكان الدكتور الدروبي من رواد حركة الوحدة العربية . . عبر مختلف مراحل حياته .

في فترة من الفترات (حوالي ١٩٥٨ — ٥٩) حصل صدام بيني وبينه على منهج معالجة قضايا التراث والشخصيات التراثية . . . وكان هو ميالاً الى « المنهج النفسي » او السايكولوجي . . وكان مثاله على ذلك كتابات الاستاذ العقاد عن الشخصيات الاسلامية الكبرى . وكنت اعتقد ، في ذلك الوقت وما زلت اعتقد ، ان المنهج الصحيح في معالجة التراث وشخصياته هو « المنهج المادي التاريخي » الذي ينظر للواقعة التاريخية بأشخاصها من كل الزوايا المادية والفكرية . . . واظن اننا كتبنا عدة مقالات في جريدة « الشعب » التي كانت تصدر ايامها في القاهرة .

ان اعجابه برغسون ليس مصادفة . . فلا شك انه منطلق من « منطلقات مثالية » في الفكر ، بالمعنى الفلسفي . . اي ان منهجه في تفسير القضايا المختلفة منهج مثالي .. ينفر ، الى حد ما من الاسس المادية في التفكير . .

في ضوء اغلب المناقشات التي حضرتها معه من الممكن ان نقول انه كان واحداً من التيار الوحدوي الذي لم يتضح لديه البعد الاشتراكي تماماً . . إلا انه في السنوات الاخيرة من حيـــاته كان مؤمناً بأن الاشتراكية هي وسيلة التنمية الوحيدة في الوطن العربي .

اعتقد ان شخصية الدروبي كانت شخصية قوية جداً . . فلأكثر من عشر سنوات كان يعـاني من مرض القلب ، ويلم بكل تفصيلات مرضه الخطيرة . . وبعد فترة قليلة من المناقشة يتعب ويتعاطى دواء منشطاً للقلب والعجيب انه انجز اغلب اعماله الكبرى والاخيرة في فترة سنوات المرض . وكما لو كان يسابق الموت . وفعلاً حقق ما يطمح اليه اي انسان يريد ان لا يترك العالم دون ان يكون له فيه اثر طيب .

وعلى الرغم من الهواجس التي تصاحب الانسان في مرض عضال مثل مرض القلب ، إلا انه على العكس من ذلك تماماً ، كان مرحاً ومتفائلاً وممتلئاً بالحيوية . . ولولا الاجهاد الذي يبدو عليه بعد مناقشة قصيرة لما ظن احد انه يعاني مرضاً .

واعتقد ان روحه القوية قد اطالت عمره . . فالمرض كان شديداً . . يهدد حياته فى أية لحظة .

علاقته بالناس . . باصدقائه كانت دائماً علاقات طيبة ، كان يصادق الكتاب والمفكرين من مختلف الاتجاهات . . وكان محبوباً ومحترماً من كل الأطراف . وهو من الشخصيات العربية التي لا تنسى .

حافظ الجمالي

انه مرب . . من نوع متميز . .

اذا نحن نظرنا الى سامي الدروبي كمرب ، او كمعلم ، او مدرس او استاذ في الجامعة ، فحسب ، فاننا نكون قد ظلمناه حقاً . والواقع انه اكثر من ذلك . انه مرب ، اذا شئنا ، ولكن من نوع متميز .

ولقد فتح سامي الدروبي عينيه على حياتنا فرآها كما نراها ، أي انه رآها مشكلة ان لم نقل مجموعة او عقدة من المشاكل ، ونحن نراها كذلك . وحتى العاديون من الناس ، يرونها بهذا المنظار . لكن سامي الدروبي والرعيل الذي هو منه لم يقفوا حيارى امام المشكلة . بل وجدوا انها معادلة ، ذات مجاهيل كثيرة ، وانها بحاجة الى الحل . ويبدو لي ان منحى تفكير فقيدنا الكبير ، كان كله في هذا الاتجاه .

ولئن كان من كبار البعثيين ، فلا ريب انه كان كذلك ، لأنه رأى ان عقيدة البعث هي حل لتلك المعادلة الصعبة ، فآمن بهذه العقيدة ، وكان من كبار العاملين في منحاها .

لكنه بالتدريج ، وجد ان عقيدة البعث لا تكفي وحدها كجواب ، وانها بحاجة الى ارضية ثقافية رصينة ، حتى يكتب لها ان تتفتح ، وتزهر ، وتثمر . واظن ان انصرافه الى الترجمة ، بالاتقان الذي نعرفه له ، وبالأسلوب الرشيق ، الذي الفناه منه ، كان محاولة في سبيل ايجاد هذه الارضية الثقافية . ولقد ترجم وحده ثمانين كتاباً ، او ما هو قريب من ذلك ، وكلها من الكتب التي يعتبر جهلها عاراً فاضحاً . ولا

ريب انه في ترجماته هذه كان يريد المساهمة بخلق هذه الارضية الثقافية الجادة ، المسؤولة

وبتعبير آخر ، يمكن القول ان سامي الدروبي ، وجد ، آخر المطاف ، انه ما من فكرة ، او عقيدة ، يمكن ان تكون مجدية مثلاً ، الا اذا سكنت عقولاً مثقفة حقاً ، بالثقافة الحديثة . واحسب ، وانا زميل حياته ، ورفيق عمره ، انه اكتشف حل المعادلة الصعبة التي وجدها في حياتنا العامة . وقد اكتشفه في الثقافة ، وفي الانتقال بالعقل من مستواه القائم الى مستوى متطور .

ولا ريب اننا نتحدث عن التخلف . ولكننا كثيراً ما نظن ان هذا التخلف شيء خارجي الزمنا به . ولكن الواقع ان التخلف لم يكن خارجياً فحسب . بل كان ذاتياً ايضاً . وكان الذي يعوزه هو الثقافة ، فكرس حياته لاشاعتها ، على افضل ما يستطيع . وقد استطاع الكثير ، ولكن هذا الكثير ليس الا القليل القليل مما نحن بحاجة اليه .

وعندما تتراكم الجهود بعضها وراء بعض ، وتصبح الارضية الثقافية غنية ، نستطيع القول بان عقيدة البعث القومية ، ستعطي عطاءها الحق . ولا مجال لأن تقدم ثمرات شهية ، كما نتمنى ، ما لم نرقَ بأنفسنا اليها في عملية صعود مرهق ، وإلا كان البديل الطبيعي هو ان نهبط بها كما نهبط بكل شيء آخر الى المستوى الذي نحن عليه .

وخلاصة القول : إنّ سامي الدروبي كان مربياً من طراز عالٍ ، وكانت دروسه الأكبر والأعظم شأناً هي في هـذه الكلمات القليلة التي نلخصها بعنوان واحد ، هو : « الثقافة » .

بغداد تحتضن كتاب آسيا وافريقيا

ملف عن اجتماعات المكتب الدائم
واللجنة التنفيذية للكتاب الافريقيين ـ الآسيويين

بغداد ١٣ ـ ١٥ آذار ١٩٧٦

☐ احتضنت بغداد للفترة بين الثالث عشر والخامس عشر من آذار [مارس] ١٩٧٦ وفود كتاب آسيا وافريقيا الذين حضروا للأسهام في اعمال الدورة السادسة عشر للمكتب الدائم والدورة الرابعة للجنة التنفيذية للكتاب الافريقيين ـ الآسيويين . وقد اسهم في الاجتماعات ممثلون عن الاتحادات والمنظمات الادبية في ثلاثة وعشرين بلداً افريقياً وآسيوياً كما شارك في الأجتماعات بصفة أعضاء مراقبين ممثلون عن الاتحادات الادبية في سبعة بلدان اشتراكية اضافة الى ممثلين عن منظمة التضامن الافريقي ـ الآسيوي ومنظمة الوحدة الأفريقية .

اعداد : فاضل ثامر

وقــد رعا السيد رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر حفل الافتتاح ، حيث أناب عنه السيد طارق عزيز وزير الاعلام الذي رحب بالحاضرين ونقل لهم تحيات السيد الرئيس وتمنياته بالنجاح وتهنئته الحارة للسادة الذين نالوا جوائز اللوتس . وألقى شاعر العرب محمد مهدي الجواهري رئيس اتحاد الادباء فى العراق كلمة ترحيبية باعتباره رئيساً للدورة الرابعة للجنة التنفيذية ، كما القى يوسف السباعي السكرتير العام للكتاب الأفريقيين كلمة استعرض فيها المهمات المطروحة أمام الأجتماع وأوجز الموضوعات الأساسية التي ستعالجها الدورة الحالية . وجرى في جلسة الأفتتاح هذه توزيع جوائز لوتس للفائزين لعام ١٩٧٥ . حيث قلد السيد وزير الاعلام الشاعر محمد مهــدي الجواهري وسط عاصفة من التصفيق جائزة لوتس . ونظراً لتعذر حضور بقية الفائزين بالجائزة ، فان الأمانة العامة ستأخذ على عاتقها مهمة تقديم الجوائز للفائزين الآخرين وشهد اليومين التاليين أعمال الجلسة العامة واجتماعات اللجان الفرعية الثلاث (اللجنة التنظيمية ، واللجنة السياسية واللجنة الثقافية) حيث طرحت للنقاش مسائل مهمة تتعلق بتحديد مسؤوليات الكتاب الأفريقيين الآسيويين في المجالات السياسية والثقافية والتنظيمية وقدمت هذه اللجان مقترحاتها وتوصياتها التي نشرت مع البيان العام للاجتماع .

وكانت الدورة السادسة عشرة للمكتب الدائم قد عقدت صباح الثالث عشر من آذار ، اي قبل حفل الافتتاح الرسمي ودرست النقاط المقدمة في جدول عمل الدورة .

واختتمت اعمال المكتب الدائم واللجنة التنفيذية مساء الخامس عشر من آذار في جلسة عامة ختامية حيث تمت تلاوة البيان العام والقرارات والتوصيات التي قدمتها اللجان التنظيمية والسياسية والثقافية .

لقد حقق لقاء بغداد نجاحاً كبيراً ، وكشف عن توطد العلاقات النضالية المتينة التي تربط كتاب القارتين المناضلتين كما أكد من الجهة الأخرى على زيادة فاعلية وتأثير اتحاد الادباء في العراق في هذا الميدان الخطير ، وعن المهمات الكبيرة التي تنتظره في المستقبل .

فقد اتاحت هذه الاجتماعات الفرصة للادباء العراقيين لتعزيز علاقاتهم بالمنظمات والاتحادات الأدبية في آسيا وافريقيا ، كما مكنتهم من التعرف الى الكثير من جوانب عمل اتحاد الكتاب الأفريقيين — الآسيويين . وقد أناطت القرارات والتوصيات الكثير من المسؤوليات باتحاد الادباء في العراق وتم انتخابه في الكثير من اللجان المهمة .

فقد تم انتخاب العراق عضواً في « لجنة تقنين ميثـــاق الكتاب الأفريقيين — الآسيويين » التي تقع على عاتقها مهمة تقديم مشروع الميثاق المعدل والمقنن الى المكتب الدائم في موعد قريب لا يتجاوز اواخر شهر حزيران هذا العام . وذلك لكي يقدم أمام اجتماع الدورة السابعة عشرة للمكتب الدائم التي ستعقد في طشقند ايلول (سبتمبر) هذا العام .

كما انتخب العراق عضواً في اللجنة الخاصة بالتحضير لعقد المؤتمر السادس في العام القادم . ومفاتحة البلدان الأفريقية والآسيوية التي ترغب في استضافة المؤتمر المذكور . ولاشك إن لهذه اللجنة مسؤوليات خطيرة لأنها ستحدد مسار عمل المؤتمر القادم للكتاب الأفريقيين الآسيويين وهو حدث كبير في حياة كتاب القارتين .

كما سيشارك العراق في جميع الندوات واللقاءات الثقافية والتنظيمية التي ستنظم خلال الفترة القريبة القادمة ومنها الأسهام في « ندوة للادباء الشبان » في مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية في ايلول ٩٧٦ . كما ستعقد في الوقت ذاته الدورة السابعة عشرة للمكتب الدائم في طشقند ايضاً قبيل عقد ندوة الأدباء الشبان .

وسيشارك العراق ايضاً في ندوة « ادب المسرح في افريقيا وآسيا » التي ستعقد في مدينة دمشق في شهر كانون الاول ١٩٧٦ او كانون الثاني ١٩٧٧ كما ستشهد دمشق في الوقت نفسه اعمـــال الدورة الثامنة عشرة للمكتب الدائم .

هـــذا إضافة الى الاسهام في ندوة اخرى ستعقد في الهند تناقش « مشاكل الجمال في الكتابات المعاصرة » و « الاتجاه المعادي للامبريالية والفاشية في الكتاب — الأفرو — آسيوية » وسيتم تحديد موعد عقد هـــذه الندوة في وقت لاحق بعد التشاور بين اللجنة الهندية للكتاب الأفريقيين الآسيويين التي قدمت هذا الاقتراح وبين الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الأفريقيين — الآسيويين .

كما سيسعى اتحاد الادباء في العراق لتعزيز مساهمته في تحرير مجلة « لوتس » التي يصدرها اتحاد الكتاب الأفريقيين — الآسيويين حيث يعتبر العراق عضواً في هيئة تحرير المجلة المذكورة وسيأخذ على عاتقه أيضاً مهمة طبع ثلاثة كتب ضمن سلسلة الكتب الأفريقية والآسيوية التي يصدرها الاتحاد .

ان هذه المهمات الكبيرة ، تضع أمام الادباء العراقيين مسؤوليات كبيرة ، وتحفزهم للعمل على تشكيل هيئة خاصة تأخذ على عاتقها مهمة متابعة الأعمال المتعلقة باتحاد الكتاب الأفريقيين — الآسيويين لضمان إسهام اتحاد الادباء في العراق بشكل فاعل في تعزيز العلاقات الكفاحية لكتاب القارتين المناضلتين .

كلمة السيد طارق عزيز - وزير الأعلام

ايها الاصدقاء الاعزاء . .

احييكم تحية طيبة . ويسعدني ان افتتح هذا المهرجان المنعقد في بغداد ، بمناسبة اجتماع اللجنة التنفيذية للمكتب الدائم للكتاب الأسيويين والافريقيين ، والذي يقترن بمناسبة عزيزة على كتاب ومثقفي القارتين هي توزيع جوائز (اللوتس) ، لعام ١٩٧٥ على ثلاثة من كبار ادباء آسيا وافريقيا والتي يحظى قطرنا باحداها . ممثلاً بشاعرنا الكبير الاستاذ محمد مهدي الجواهري .

ويشرفني ايها الاخوة ، ان انقل اليكم تحيات السيد رئيس الجمهورية المناضل احمد حسن البكر ، وتمنياته لكم بالنجاح ، وان انقل بالنيابة عن سيادته التهنئة الحارة للسادة المحترمين الذين نالوا جوائز اللوتس .

ان بغداد ، المدينة التاريخية التي كانت لقرون عديدة مركزاً عظيماً للاشعاع الثقافي والحضاري في قارتي آسيا وافريقيا ، والتي تجدد اليوم مكانتها ورسالتها بقيادة ثورتها « ثورة السابع عشر من تموز ، وبهدى من مبادىء حزبها القائد ، حزب البعث العربي الاشتراكي » ان بغداد ايها الاصدقاء ترحب بكم ترحيبا حاراً ، وتعتبر اجتماعكم فيها شرفاً لها ، ومناسبة سعيدة يستعيد فيها ابناؤها دورهم المشرق في حضارة القارتين ، ويؤكدون فيها مسؤولياتهم في العصر الراهن تجاه هاتين القارتين المناضلتين وقضاياها المشروعة في الحرية والاستقلال والتقدم والنهضة القومية .

ان قطرنا ، ايها الاصدقاء ، باعتباره جزءاً من الوطن العربي الكبير وجزءاً من مجموعة الشعوب المناضلة من اجل الحرية والاستقلال والتقدم والنهضة ومنها شعوب آسيا وافريقيا ، يشعر بمسؤوليته النضالية الكبيرة تجاه قضايا القارتين وتجاه الشعوب المناضلة في جميع ارجـــاء الارض ، وتجاه قضايا التحرر والتقدم والسلم العادل .

لذلك فانه يناضل على كل الاصعدة ، وفي جميع المحافل من اجل تعزيز حركة تحرر الشعوب ، وتطوير امكاناتها على النهضة والتقدم .

وفي تقديرنا ان ميدان الثقافة هو احد الميادين الاساسية في النضال الذي نخوضه من اجل حريتنا واستقلالنا ، ومن اجل ان نحتل موقعنـا المشروع في الحياة الدولية .

لقد كان سلاح الثقافة سلاحاً اساسياً من اسلحة نضالنا ضد الاستعمار الذي لم يقف عند حدود السياسة والاقتصاد والحرب ، وانما حاول ان يفرض علينا تسلطاً ثقافياً يسعى من خلاله الى تجميد شخصيتنا القومية وتشويهها ، وطمس دورنا التاريخي والحديث في بناء الحضارة الانسانية ، واذا كانت شعوبنا قد ناضلت ببسالة ضـــد الاستعمار باشكاله السياسية والاقتصادية والعسكرية المكشوفة وحققت الكثير من النجاحات في هـذا المجال ، فاننا ما نزال بحاجة شديدة الى مواصلة النضال في الميدان الثقافي ، كي نزيل آثار الاستعمار الثقافي ، ونقيم علاقات متكافئة وسليمة بين ثقافاتنا وثقافات الامم الاخرى ، علاقات تتنـاسب مع دورنا الحقيقي في الماضي والحاضر في بناء الحضارة الانسانية .

ان القطر العراقي في عهد ثورته المناضلة . . ثورة السابع عشر من تموز يولي هذه المسألة اهمية بالغة . ويجند من اجلها الكثير من الجهود والامكانات ، لانه يعتبر النجاح في هـذا الميدان مقياساً وضمانة وتعميقاً للنجاحات في ميادين الاستقلال السياسي والاقتصادي .

كما اننا نقف بكل قوة وثبات مع نضـــال شعوب آسيا وافريقيا ومثقفيها في هـــذا المضمار ، ومن منطلق انساني وتحرري بعيد عن التعصب ، وبعيد عن الانغلاق .

وبهذه المناسبة اود ان اعبر عن امتنان المثقفين العرب لمواقف المساندة الثابتة التي يلقونها من رفاقهم المثقفين في قارتي آسيا وافريقيا في نضالهم التحرري العادل ، وبخاصة ضد الصهيونية العنصرية التي تتجاوز اخطارها حدود الوطن العربي الى قارتي آسيا وافريقيا ، وتحالف الصهيونية العنصرية مع العنصريين في جنوب افريقيا وروديسيا ، ومع الانظمـــة الرجعية العميلة في آسيا هو الدليل الملموس على ذلك ، مما يستدعي تشديد نضال مثقفي القارتين ضد الصهيونية العنصرية باعتبار ان هذا النضـال قضية اساسية من قضايا القارتين المناضلتين من اجل الحرية .

وفي الختام ، ايها الاصدقاء ، اتمنى لكم اقامة طيبة في بغداد واتمنى النجاح لاجتماعكم ، ولترتفع عالياً راية التضامن بين شعوب آسيا وافريقيا ، وامريكا اللاتينية وكل الشعوب المناضلة من اجل الحرية والتقدم والنهضة ولترتفع عالياً في ارجاء المعمورة راية الثقـافة الحرة ، والثقافة التقدمية التي تقف في طليعتها ثقافة شعوب القارتين المناضلتين . .

والسلام عليكم .

كلمة السيد محمد مهدي الجواهري

السيد ممثل رئيس الجمهورية المناضل احمد حسن البكر المحترم

السيد سكرتير عام اتحاد الكتاب الآسيوي الافريقي المحترم

السادة الادباء والضيوف والاصدقاء الكرام

سيداتي سادتي . .

باسم وفد اتحاد الادباء في العراق ، وباسمي شخصياً . . احييكم ، واخص بالتحية والشكر السيد ممثل رئيس الجمهورية العراقية على رعايته جلسة افتتاح الاجتماعات . .

واشكر السادة الضيوف الذين تجشموا عناء السفر الطويل ، من بلدان آسـيا وافريقيا الصديقة ، وقطعوا آلاف الاميال ، ليسهموا في انجاح المؤتمر .

وانها لمناسبة تعبر عن سعادة خاصة . . ان يتم هذا الالتقاء الجميل بين نخبة خيرة طيبة ومرموقة من ادباء ومفكري آسيا وافريقيا البارزين في بغداد الثورة بغداد الانتصـارات بغداد التأميم والجبهة الوطنية والقومية التقدمية .

ان شعبنا العربي الذي ابتلت اقطاره بالاستعمار المباشر والسيطرة الاجنبية الاحتكارية ومن ثم الغزو الصهيوني والاحتلال الاستيطاني على ارض فلسطين العربية . . وقف في الماضي ، ويقف في الحاضر ، وسيقف

في المستقبل بكل تأكيد إلى جانب جميع الحركات التحررية والانتفاضات الشعبية الاستقلالية ، ونزعات الانعتاق من شرور العنصرية والفاشية التي قامت في قارات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وسائر بقاع العالم التي يلفها ظلام العبودية وتنهشها مخالب الاستعمار البغيض .

ولقد وقفت حكومتنا الوطنية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يقود السلطة في القطر العراقي مواقف مشرفة في الميادين المحلية والقومية والدولية .

ولعل زيارتكم القصيرة لبلدنا تتيح لكم او لبعضكم الفرصة السانحة للاطلاع على طبيعة هذه المواقف الصائبة ، والتعرف على العديد من المنجزات المماثلة حيث يقف تأميم شركات النفط الاجنبية الاحتكارية في طليعتها .

ولكننا هنا ، لابد ان نشير بايجاز الى اهم القضايا التي لها مساس حاسم بحركة السلم العالمي والتقدم الأجتماعي والحرية الانسانية ، فقد كان العراق في طليعة دول العالم الثالث في نصرة الشعوب ، وفي اسناد قضايا شعوب القارة الافريقية التي تحكمها الفئات البيضاء المتسلطة المغتصبة بخاصة .

ان مسؤولية الاديب الثوري ، والمفكر التقدمي والشاعر المناضل يجب ان تتعدى اطارها المحلي وتتجاوز بشجاعة ابعادها التقليدية الضيقة وصيغ المؤتمرات الرتيبة ، وذلك باختراقها الآفاق العالمية ، الارحب مدى ، ومن الضرورة القصوى ان تكون معرفتنا لانفسنا مشروطة قبل سواها ، وان يكون التعرف على بعضنا ادباً وشعراً وفناً وفكراً وحضارةً ، ومن ثم اشاعته بين شعوب العالم بمختلف الوسائل الاعلامية المعاصرة . . المسألة الملحة الراهنة ، بل من الواجب التزامها وانحناؤها وتقويمها بما ينسجم والمثل العليا الحقيقية التي تقع على كواهلنا جميعاً .

اننا رفاق سلاح فعال ، زملاء معارك شريفة وضارية ايضاً . معارك مصيرية حاسمة ، رهن قبضات ابطالها وبطولاتها مصائر شعوب وجماعات وافراد ، وطوع يدها كل ما يطيح بانظمة بالية وجائرة . وكل ما يمهد وينشىء ويركز ويحمي انظمة جديدة فتية عادلة تقوم على انقاض تلك . ونحن المسؤولون قبل كل احد عن اخذ المبادرة في تقويم المعوّج وتسديد الخطى وسد الثغرات باشاعة الحق والعدل والحرية والمساواة .

اننا متواضعون جداً ، وهـذا من حسناتنا ، بل وهذا ما شدنا الى الجماهير الكريمة الوادعة اكثر فأكثر ، وما يمد في انفاسنا ، ويرسخ من ايماننا بعظمة الفرد ، بعظمة الانسان ، بعظمة ارادة الناس ، سواد الناس ، وقبل هذا ومع هذا وبعد هذا فان لنا ايها الرفاق كياننا ، ولنا تضحياتنا وضحايانا وشهداؤنا لنا مواقف استضفناها . وسجون عمرناها ، ومشانق عانقناها . وصلبان حملناها ، وتشريدات اختزناها ، وتجويعات تقبلناها . ولنا الى ذلك جنودنا المجهولون الصامتون الصامدون السائرون بنكران للذات على الدرب الطويل الشائك العسير . درب الكلمة المتمردة والقافية المتفجرة المدمرة .

ايها الرفاق : ان من حق كل ذلك علينا ان يشدنا اكثر فأكثر بكل المعذبين على صعيد هـذا الكوكب الدوار . وان نتعامل معهم في شد كل القوى الصالحة الخيرة الاخرى فلنعمل جاهدين ضد كل ما يهز ثقتنـا بانفسنا ، أو يحول بيننا وبين اعز ما عندنا . وهو ان نقول كل ما يريد الناس منا ان نقول . وان نؤدي بكل ما نستطيع من قوة في الارادة ، وجرأة في الحق ، ما هو امانة في اعناقنا من ان نقول للمبطل انت مبطل بأشد واعنف مما نقول للحق انت حق ، لأن هذا لا منة له على احـد ، ولأن ذاك غاصب على ما يشجبه كل احد .

وكلمة ثانية واخيرة هي مناط رغبات المحبين في اللقـــاء وفي حرارة اللقاء وانـا اخص بها الوجوه الادبية من غير العربية وغير ادباء المنظومة الاشتراكية في آسيا وافريقيا . ان في تعاطفنا — ايها الرفاق الاحبة — اكثر فأكثر . وفي تلاحمنا اشد فأشد وفي تلاقينا عفوياً واخوياً وعائلياً خـارج اطار الرسميات ، وفي غير وثاق الروتينيات ، مغازي اعمق ، ودلالات ارسخ من مجرد التعارف الشخصي الاخوي — وما هذا وحده بقليل — ان فيه توطيداً لعظمة الحرف ، وشموخ الكلمة ، وان فيه توثيقاً لعرى التضامن الفكري وشداً لاواصر المثل العليا الانسانية التي نؤمن بها ونداقع عنها . وان فيه تجديداً للعهد واشارة للمهمة وانارة للطريق . وان فيه بهذا القدر نفسه وازيد منه تعبيراً بليغاً عن مدى تجاوب الواحد منا مع الآخر في كل مـا هو من واجبـات الاديب والأديب والشاعر والشاعر ، والمفكر والمفكر تجاه الآخرين ، تجاه الفرد وحريته ، وكرامته والدفاع عما يحيق به من اذى ، وما ينزل بساحته من مكروه ، وتجـاه المجموع كله وفي الطليعة من ذلك في مـا يحيق بالاديب وبالشاعر وبالمفكر نفسه هنا وهناك في كل بقعة من آسيا وافريقيا ، وفي العالم من اذى ، ومن مكروه ومن مضايقة ومن محاصرة .

فالحق اقول ، وفي كلمة الحق مرارة غير مستساغة بكل اسف ، ان في المقدمة مما يأخذ الناس علينا جميعاً اننا نضطر في مجالات من الخير الحميد المشكور ، هي على خيرها وحمدها اضيق مما يجب أن نضطرب فيه ، ونأخذ به ونسعى اليه ، واننا نكاد ان ننغلق كل في محيطه ، وكل في دائرته ، كل في اقليمه ، بل وحتى كل في انتاجه ، وادبياته ، شيء مريع — ايها الرفاق — ان تكونوا على بعد ساعتين منا ونحن على مثلها منكم ثم ان تتعانق وتتشابك هذه الوجوه الجميلة ، لأول مرة بعد سنين وسنين هنا بدلاً من ان يكون ذلك في كل سنة وسنة ، ان لم يكن في كل فصل

وفصل ، وشهر وشهر ، واسبوع واسبوع ثم ان لا نتداول كتبنا ورسائلنا وقصصنا ودواويننا ، نتغذى على هذه ، ونتعشى على تلك ، ونفطر على هاتيك .

وان في المقدمة مما يأخذه علينا الناس ، علينا جميعاً هنا وهناك اننا لم نلتزم — او اننا — على الاكثر فعلنا اقل من القليل مما ألزمتنا به شريعة الادب وقانون الكلمة في الدفاع عن حرية الأديب والشاعر والقصاص والمفكر ، وبالتالي فدفاع عن شعوبنا بكل مافيها من طبقات وفئات منتجة وخيرة وكادحة . هذه الشعوب التي في سبيلها يلاقي ما يلاقي اخواتنا وزملاؤنا الادباء والكتاب والشعراء الاحرار في كل انحاء العالم في بلدان وشعوب آسيا وافريقيا واوربا وامريكا . وشعوب امريكا اللاتينية منها خاصة من دون تفريق بين هذا البلد او ذاك ، وهذا النظام او غيره ، وهذا الاتجاه او سواه . اقول ذلك تعميماً واعتقد ان كل واحد منكم يتذكر شاهداً فيها ، واعيد قولي — مما يأخذه علينا الناس جميعاً — لا اخص بلداً أو اديباً ولا استثني بلداً أو أديباً .

ومع هذا فان لي ثقة مطلقة ان سوف نتدارك هذه المفارقة المؤسفة ونسد هذه الفجوة التي تعترض اي خطواتنا على دروب النضال الشاق والمرير واللذيذ أيضاً ، ذلك اننا كما اعتقد مشتركون جميعاً في الاحساس بها ، وفي حب التخلص منها .

ايها الرفاق الاعزة : ان الشعب العراقي كله وفي الطليعة منه حكومته الوطنية ، وادباؤه ، وجبهته الوطنية القومية لقرير عين ، وسعيد نفس بوجودكم بين اهليكم واخوانكم ، فأهلاً وسهلاً ، وعلى الرحب والسعة . وشكراً ، شكراً .

تقرير السكرتير العام لاتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين

الى

اللجنة التنفيذية الرابعة

١٣ - ١٥ مارس ١٩٧٦

بغــداد

ايها الاخوة الاعزاء .

بعد عامين ونصف من التقائنا في المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الآسيويين في آلما آتا عاصمة جمهورية كازخستان السوفيتية . نلتقي اليوم في اجتماع اللجنة التنفيذية ، على ضفاف نهر دجلة الذي طالما كان مصدر الهام الشعراء والكتاب بابداع رائع ، نلتقي في بغــداد ذات التاريخ الحضاري الثقافي العريق ، عاصمة الجمهورية العراقية .

يسعدني في مستهل هذا التقرير ، أن اعبر بالنيابة عنكم ، وبالنيـابة عن المكتب الدائم للكتـاب الافريقيين الآسيويين ، عن اصدق التحية ، واعمق الشكر ، الى شعب العراق العظيم ، والى حكومته وقيادته وعلى رأسها سيادة المهيب احمد حسن البكر رئيس الجمهورية ، والى الجبهة

الوطنية التقدمية بكل فصائلها ، والى اتحاد الادباء في العراق ، والى كل الزملاء والاصدقاء بوزارة الاعلام العراقية الذين نهضوا بعبء الاعداد لانعقاد اجتماعنا هـذا في بغداد . اليوم جميعاً اهدي اطيب التحية ، واعرب عن مشاعر العرفان بالجميل ، لما قدموا بين ايدينـا من حرارة الاستقبال ، وكرم الضيافة ، وما ادوا الينا من جهد وعمل وفكر ، حتى اتيح لنا اليوم أن نجتمع في عاصمة العراق العظيم ، بغداد ذات التراث الحضاري الممتد فى اعماق اعوام الزمن ، بغـداد المتجددة — فى الوقت نفسه — بشباب طموح لآفاق مستقبل مشرق زاخر بالبناء والعمران ، من اجل تحقيق الرخاء والازدهار والتقدم للعراق وشعبه .

نعقد لجنتنا التنفيذية اليوم فى العراق فى فترة هـامة ، اذ تتفق مع الاحتفالات بذكرى بيان آذار التاريخي حيث تولدت وحـــدة القوى الوطنية التقدمية فى العراق الشقيق وامتد الطريق امامه فسيحاً ليواصل مسيرته النضالية ، قلعة من قلاع العروبة الصامدة وقوة من قوى الكفاح فى سبيل التحرر الوطني والنهوض الاجتمـاعي وارساء اسس التقـــدم والاشتراكية والوحدة العربية . ونحن ، بهذه المناسبة ، نؤكد تقديرنا الكبير للدور البارز الذي يقوم به العراق في دعم واسناد مسيرة الوطن العربي كله ومسيرة البشرية التقدمية من اجل مقاومة واحباط الهجمـات الامبريالية والاستعمارية والمؤامرات الاستعمارية الجديدة والوقوف بصلابة وحسم فى وجه العدوان الامبريالي والصهيوني ، وكل اشكال ومظالم التفرقة العنصرية ، والدفاع عن حق شعب فلسطين الذي لا مساس به ، في العودة إلى ارض وطنه وتقرير مصيره فيه واقامة دولته الوطنية المستقلة على تراب وطنه ، ومن اجل تحرير كل الارض العربية المحتلة تحريراً كاملاً ، كما نثمن عالياً دور العراق الطليعي بحق في النضـال من اجل تأمين سيطرة الشعوب على مواردها الطبيعية وحقها فى استثمار هـــذه الموارد استثماراً حراً مستقلاً مبنياً على ارادة الشعب ومن اجل مصلحة

الجماهير الشعبية العريضة ونثمن عالياً اسهام العراق ، حكومة وشعباً وقيادة ، في العمل على وضع نظام اقتصادي جديد وعادل واقامة علاقات اقتصـادية متكافئة وعلى التنمية الاقتصـادية التي تشكل قـاعدة صلبة من قواعد التقدم الاجتماعي ، كما نثمن عالياً ما يقوم به العراق من جهد خلاق في ميدان الثقافة والأدب والفكر ، وفي سبيل بعث وتجديد العناصر المتجددة في التراث الحضاري العربي والانساني ، والادب الحديث والفكر المعـاصر ، على السواء ، ونحيي تلك النهضة الرائعة في ميادين نشر وتعميم الانجازات الثقافية بمختلف الوسائل وفي شتى الميادين .

اسمحوا لي في البداية ، أن اوجه تحية حارة وتقديراً عميقاً ، الى الوفود التي تشارك في اجتماع اللجنة التنفيذية للكتاب الافريقيين الآسيويين وأن اعرب عن ثقتي الاكيدة في أن هـذا الاجتماع ، سيكون دعماً قوياً لحركة الكتاب الافريقيين الآسيويين ، وتعزيزاً جديداً للتضامن بين كتاب افريقيا وآسيا ، وبينهم وبين كل القوى المعادية للامبريالية والاستعمـار والاستعمار الجديد والصهيونية والعنصرية ، واسهـامه له قيمته في حشد صفوف كل القوى التقدمية التي تناضل من اجل الاستقلال الوطني ، ومن اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، ومن اجل التنمية لصالح الشعوب ، ومن اجل عالم يسوده سلام وطيد دائم .

ان حركة الكتاب الافريقيين الآسيويين قد اثبتت اليوم انهـا عـامل فعال من عوامل تقدير آدابنا وثقافتها ، وهي تؤكد مرة أخرى ، من خلال مواصلتها هذه المسيرة التي بدأت منذ سنوات طويلة ، التزامها العميق بالمبادىء التي ارسيت ونهضت عليها ، وأول هذه المبادىء ان الأدب والفكر والثقافة ترتبط ارتباطاً عضوياً بنضـال الشعوب من اجل التحرر والتقدم والتنمية ، من اجل الـكرامة والعدالة والسلام ، وضـد القهر الامبريالي والتعسف الاستعماري والتفرقة العنصرية واستغلال الانسان للانسان وانتهاك قيمه السامية .

وفي المرحلة الراهنة من هذا الكفاح ترجح كفة قوى التحرر الوطني ، والديمقراطية والاشتراكية وينحسر المد الامبريالي والاستعماري والعنصري ، وتتوطد ظروف الانفراج الدولي بما يتيح للشعوب ترسيخ انتصاراتها والحفاظ على مكتسباتها وتدعيم حريتها والمضي في سبيل تطورها من اجل اعادة البناء الأقتصادي والأجتماعي .

واني لا اعتقد انني اعبر عن اجماعكم الموجود هنا عندما اقول ان اجتماعنا الحالي يجد مناسبة هامة في تاريخ حركة الكتاب الافريقيين الآسيويين ، إذ يسعدنا ان نشهد اليوم تحقق جانب كبير من تلك الاهداف والشعارات التي طرحتها منظمتنا وناضلت من اجلها باصرار سنوات طويلة ، ان انتصاراً تاريخياً جديداً قد تحقق على قوى العدوان الامبريالي في كل مكان بفضل ارادة شعوبنا وشجاعتها وتعاونها وتضامنها وبفضل اسهام كتابنا ومفكرينا في هذا النضال ، ان امبراطورية استعمارية اخرى — هي الامبراطورية الاستعمارية الاخيرة في افريقيا — قد انهارت تحت ضربات نضال التحرر الوطني ، وتفتحت امام شعوب المستعمرات السابقة آفاق التطور المستقل بعد خمسة قرون من عمليات النهب الاستعماري الضاري والامتهان الطويل .

واننا نشيد بالانتصار التاريخي الذي احرزه شعب فيتنام باسره على العدوان الامريكي ، واسهامه العظيم في قضية نضال الشعوب ضد الامبريالية ، كما نحيي ابطال النضال التحريري للشعب الكمبودي ، الذين كنا دائماً على ثقة من انتصارهم ونستطيع بحق ان نعتبر النجاح الذي تحقق أخيراً في التسوية السياسية لمشكلة لاوس اكبر انجازات شعوبنا .

كما يهمنا أن نحيي انتصار لقوى الوطنية والتقدمية في الهند واحباطها المؤامرات الفاشية الجديدة التي تحركها الامبريالية والرجعية العالمية .

ونحن نرى في الانتصار الرائع الذي حققه النضال التحريري الطويل لشعوب غينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر وساو تومي وموزامبيق وانغولا انتصاراً لافريقيا المستقلة ونؤكد تأييدنا هنا للحركة الشعبية لتحرير انغولا وحكومة انغولا الشعبية برئاسة صديقنا وزميلنا الرئيس اجوستنو نيتو ، ونقف مع انغولا وقفة صلبة في نضالها من المؤامرات الاستعمارية الجديدة .

ان التغيير الجذري في توازن القوى في افريقيا بعد ان شقت شعوب المستعمرات السابقة طريق الحرية والاستقلال يفتح آفاقاً مواتية لانتفاضة جديدة لنضال شعوب افريقيا الجنوبية في ناميبيا وزيمبابوي وجنوب افريقيا ، ضد نظم الحكم والعنصرية والاستعمارية . ونحن نؤكد مرة اخرى عن تصميمنا الكامل على مضاعفة المساندة المعنوية والسياسية لنضال هذه الشعوب الباسلة ، وعلى ان تبذل كل ما في وسعها لتقريب يوم انتصار قضية التحرر الوطني في هذا الجزء من العالم .

فهذا هو واجب الكاتب الملتزم الذي ينبع التزامه عن يقظة ضميره وحدة وعيه بالاخوة العميقة التي تربطه ، كانسان مبدع ، وتربط بين شعبه الذي يعبر عنه ، وبين شعوب العالم المناضلة في كل مكان ، كما ينبع من ايمانه بوحدة الكفاح ووحدة المصير والترابط العضوي بين الفن والواقع .

لقد كان حدثاً بارزاً لا شك فيه ، في الفترة السابقة ، ان تحظى منظمة التحرير الفلسطينية التي تخوض نضالاً باسلاً من اجل استرداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بالاعتراف الدولي الواسع باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي في فلسطين ، لقد اعترفت الاغلبية الساحقة من الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، بما في ذلك حقه في اقامة دولته الوطنية .

ان الشعب العربي الفلسطيني الباسل يضرب المثل البارز اليوم ، ببطولته وانكاره لذاته ، على النضال الدائب ضد قوى الامبريالية والصهيونية ، ويبرهن بالتضحية والصمود ، على عقم محاولات الامبريالية والصهيونية ان تفرض ارادتها على الشعوب ، وان تنكر حقوقها الاساسية .

ان حركة الكتاب الأفريقيين الآسيويين ومنظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية تؤمن بأن انجح السبل لتحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط ، لن يتم الا بتحقيق شرطين اساسيين :

ـــ انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة في سيناء والجولان والضفة الغربية .

ـــ تنفيذ الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، وبخاصة في حقه في العودة الى وطنه وتقرير مصيره فيه واقامة دولته الوطنية المستقلة في أي ارض فلسطينية تتحرر من ربقة الاحتلال الاسرائيلي .

اننا لننظر بعين التقدير للانجازات الكبيرة والدور المتعاظم الذي تقوم به حركة التحرر العربية في التصدي للاستعمار والصهيونية ، ونؤيدها كل التأييد في نضالها من اجل سيطرتها على ثرواتها الطبيعية وحقها في التصرف بهذه الموارد تصنيعاً وتسويقاً ، ووضع عائداتها في التنمية وخدمة مصالح الجماهير .

واننا لنحيي مرة أخرى . توطد الوحدة الوطنية في العراق الامر الذي سيمكن العراق من تكريس طاقاته وامكاناته في سبيل التنمية ورفاهية الشعب العراقي ودعم معارك النضال العربي والافريقي الآسيوي والعالمي ضد الامبريالية والاستعمار والعنصرية والصهيونية .

وان الكتاب الافريقيين الآسيويين يدينون المؤامرات الفاشية الامبريالية التي تحيكها القوى الرجعية والاستعمارية والصهيونية ضد لبنان وتؤكد ضرورة الحفاظ على وحدة الشعب اللبناني وتدعيم علاقات التضامن بينه

وبين المقاومة الفلسطينية ، وضرورة وضع حد للاعمال الاجرامية التي تشنها القوى الامبريالية والرجعية والصهيونية لطمس حضارة الشعب اللبناني وتدمير ثقافته .

ان الكتاب الافريقيين الآسيويين يقفون الى جانب الشعوب العربية الاخرى التي تخوض نضال التحرر الوطني وتشن معركة التنمية بتصميم وبلا هوادة ، بعد ان خاضت مصر وسوريا وفلسطين وغيرها من الشعوب العربية حرب اكتوبر ، ببسالة ، وحطمت نظرية الامن الاسرائيلي وبددت اسطورة التفوق الصهيوني العنصرية وفتحت السبيل امام تحرير كامل الارض العربية واسترداد حقوق الشعب الفلسطيني كاملة ، وبعد ان فتحت قناة السويس خدمة لمصالح الشعوب وبخاصة في افريقيا وآسيا ، وخدمة للسلام العالمي ، وبعد ان وقفت مصر وسوريا وفلسطين والبلاد العربية الاخرى موقف المواجهة الصلبة في مواجهة العدوان الاسرائيلي الصهيوني ، ودفاعاً عن حقوق شعب فلسطين .

ونحن نؤكد مرة اخرى تأييدنا لنضال شعب قبرص ، بقيادة الرئيس مكاريوس من اجل الحفاظ على وحدته وسلامة اراضيه ومبادىء عدم الانحياز ، وتصفية القواعد العسكرية العدوانية من ارض وطنه .

ان الكتاب إذ يشهدون باعتزاز نتائج نضال التحرر الوطني في السنوات الماضية ، ويرحبون بالانتصارات التي حققتها الجبهة المعادية للامبريالية في هذا الطريق يهدون التحية الى اولئك الابطال الذين سقطوا وهم يقاتلون . فهؤلاء الشهداء هم الذين ترتوي اقلامنا بدمائهم الغالية ، وهم الذين قدموا حياتهم نفسها في سبيل ان يضيء وهج الحياة كلها امام شعوبنا .

ان الهبة القوية لنضال التحرر الوطني في آسيا وافريقيا ، تلك الهبة التي ادت في المقام الاول الى تغييرات ايجابية عميقة في الحياة السياسية

والاجتماعية والاقتصادية لكثير من شعوب قارتينا ، تمدنا بزاد جديد من الامل والثقة والمقدرة على الاسهام بكل ما نملك في سبيل ابداع حياة اكثر اشراقاً واكثر وفرة وابداع فمن اكثر حرارة واكثر عمقاً واقدر على التعبير عن هذه الحياة وتغييرها الى مستقبل مزدهر ومضيء .

واننا لنشهد اليوم كيف تخوض البلاد النامية مع رسوخ مبادىء الاستقلال السياسي وتعمق حركة التحرر الوطني ضد الامبريالية معركة التحول الاجتماعي ، وكيف تقف الجماهير الشعبية العريضة وقفة صارمة دفاعاً عن مصالحها ضد قيام علاقات من عدم المساواة الاجتماعية والقهر في بلادها ، وضد استغلال الانسان للانسان .

واننا لنؤكد تأييدنا لحركة عدم الانحياز التي تزداد اليوم اتساعاً وعمقاً باكتسابها مضموناً محدداً معادياً للامبريالية والاستعمار الجديد ، ومرتبطاً بالنضال من اجل التقدم والتنمية ، ونؤيد مؤتمر عدم الانحياز الذي سوف يعقـــد في كولومبو في اغسطس القادم ، ونرى فيه خطوة جديدة هامة من خطوات تقدم شعوبنا نحو الاسهام ، بفاعلية ، في تشكيل الحياة الدولية بما يخدم مصالحها وتحقيق اهدافها ، اهداف الحرية والعدالة والسلام .

ان من اولى المبادىء التي نهضت عليهـــا حركتنا ، اعتبارنا كتاباً ومفكرين ومثقفين نلتزم بقضايا شعوبنا ، ضرورة العمل ، في كل الميادين من اجل توحيد فصائل حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا ، وتنسيق اعمالها ضد كل اشكال ومظاهر العسف الامبريالي وضرورة توثيق التحالف الاستراتيجي مع النظام الاشتراكي العالمي والطبقة العاملة العمالية والحركة الديمقراطية العالمية .

واليوم وفي الوقت الذي تبدو فيه انتصارات شعوبنا ملموسة واقعية ، من ناحية ، ونواجه فيه من الناحية الاخرى ، مهاماً جديدة معقدة للتنمية

الاقتصادية والتقدم الاجتماعي ، وتتخذ المؤامرات والمبادرات طابعاً اكثر غدراً وخطورة نؤمن ان من واجبنا بازاء انفسنا وضمائرنا وبازاء شعوبنا وبازاء اسهامنا في ميادين العمل الفكري والثقافي ان نؤكد من جديد التزام حركة الكتاب الافريقيين الآسيويين لهذه المبادىء ، وتصميمها على ان تعزز بكل الطرق التضامن النضالي والوحدة بين حركة التحرر الوطني وحليفها الطبيعي — المجموعة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، وكل فصائل عملية التحرر العالمية سواء في الميادين السياسية او الثقافية او الحضارية على السواء .

ان المد العارم لحركة التحرر الوطني ، في ظل ظروف اوضاع الانفراج الدولي الراهنة تضع امام لكتاب التقدميين والوطنيين والديمقراطيين في آسيا وافريقيا واجبات اساسية تستهدف المزيد من تعزيز المكاسب التاريخية التي حققتها الشعوب في النضال من اجل تحررها الوطني والاجتماعي والثقافي وتجميع كل القوى المناهضة حقاً للامبريالية في صفوفها على اساس مبادىء التضامن ، والعمل على ان تزداد وحدة وعي جماهيرنا بهــذه الواجبات نفسها ، في كل ميادين العمل السياسي والاجتماعي والثقافي والأدبي ، اذ انها ميادين مترابطة تؤثر في بعضها البعض وتتأثر ببعضها البعض .

ونحن نرى ان من هذه الواجبات :

— شن حملة تضامن دولي واسعة ، ومساندة ادبيـــة وسياسية ومادية لجمهورية فيتنــام الديمقراطية وجمهورية فيتنام الجنوبية وكل شعوب الهند الصينية في جهودها من اجل التغلب على الآثار الخطيرة للعدوان الامبريالي واعادة بناء اقتصادهـــا القومي ، ومساندة الاجراءات التي اتخذتها اجهزة السلطة في لاوس لتعزيز سيادة البلاد واستقلالها وسلامة اراضيها في ظل ظروف الديمقراطية والوفاق الوطني ، والمساندة الشاملة للوطنيين الكمبوديين فى جهودهم من اجل بناء كمبوديا مستقلة مسالمة محايدة ديمقراطية .

— تقديم مساندة ادبية وسياسية اكبر لنضال التحرر الوطني الذي تخوضه الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية وعملائهما ، ومن اجل انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة ، واسترداد الحقوق المسلوبة للشعب العربي في فلسطين بما في ذلك حقه في اقامة دولته الوطنية ، ومن اجل اقرار سلام ثابت عادل في الشرق الاوسط تشترك في اقامته كل الاطراف المعنية بما فيها الممثلون الشرعيون للشعب العربي في فلسطين على قدم المساواة . وتعزيز العمل من اجل تدعيم الوحدة النضالية للشعوب العربية وصداقتها وتعاونها من شعوب البلاد الاشتراكية ، والمساعدة الشاملة على ازدياد وتعزيز المكانة الدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها ، ومضاعفة الحملة العالمية المساندة الادبية والسياسية والمادية لحركة المقاومة الفلسطينية .

— المساعدة الشاملة لشعب افريقيا الجنوبية المناضلة من اجل تصفية آخر النظم الوطني التي تقود نضال شعوب افريقيا الجنوبية ، وتأييد نضال جمهورية موزامبيق الشعبية الفتية ضد عدوان روديسيا العنصرية ، ونضال جمهورية انجولا الشعبية ضد المؤامرات الاستعمارية الجديدة ، والعدوان الذي تشنه جنوب افريقيا الفاشية ضدها ، وتقديم كل انواع الدعم للجمهوريات الفتية المستقلة .

— تعبئة قوى الرأي العام في النضال من اجل توسيع منطقة الانفراج لتشمل جنوب شرق آسيا وقارة آسيا بأسرها على اساس اقامة توطيد الامن الجماعي والتعاون وعلاقات حسن الجوار هناك ، وتحويل المحيط الهندي الى منطقة سلام . وتنظيم الاعمال والتحركات النشطة لاجهاض المخططات والمؤامرات العدوانية الامبريالية في المحيط الهندي وفي آسيا ، ومن اجل تصفية القواعد العسكرية الامبريالية ، ومناهضة المؤامرات الفاشية الجديدة .

— العمل على احباط النشاط التخريبي الاقتصادي والايديولوجي والعسكري للامبريالية تجاه الدول المستقلة الفتية في آسيا وافريقيا ، ومضاعفة النضال ضد قوى الاستعمار الجديد وفضح جهوده ووسائله واساليبه .

— التأييد الايجابي لنضال الشعوب الافريقية الآسيوية من اجل التغلب على التخلف الاقتصادي الموروث عن الاستعمار ، ومن اجل اجراء التحولات الاقتصادية — الاجتماعية التقدمية والمساعدة في توسيع الروابط الاقتصادية والتعاون بين البلاد النامية والبلاد الاشتراكية .

— تقديم المساندة بكل صورها للبلاد التي اختارت طريق التطور اللارأسمالي والتي تمثل طليعة حركة التحرر الوطني اليوم .

— توطيد التعاون الوثيق بين حركات ومنظمات الكتاب الوطنيين والديمقراطيين والتقدميين والاشتراكيين ، من اجل تحقيق هذه الاهداف والعمل في الميدان الثقافي والأدبي بما يتسق معها ويؤكدها ويبرز اهميتها .

— مواصلة العمل على ابراز الخصائص الاصيلة لتراثنا الحضاري الافريقي الآسيوي وبعث المقومات المتجددة فيه والقادرة على اثراء الرصيد الحضاري الانساني كله .

— مواصلة العمل على تأكيد قيم الحرية والعدالة والتسامح والايمان والسلام التي يتميز بها تاريخ الحضارة الافريقية الآسيوية والتي استلهمتها كل ثقافات العالم المعاصر ، من خلال العمل الابداعي الذي يتمثل كل منجزات التقدم التكنولوجي والعلمي دون ان يكون خاضعاً لها ، ويستوعب كل التحديات المعاصرة ويتجاوزها الى آفاق جديدة .

تؤكد الثراء الروحي العريض لشعوبنا وحضاراتها المتميزة وهي في الوقت نفسه تقدم اساسي من الحضارة الانسانية التقدمية الهادفة من الاغلال وتفشي عناصر اليأس والتخاذل والقائمة على الأمل والثقة بالانسان.

ايها الاخوة الاعزاء :

اسمحوا لي الآن ان اعرض عليكم تقريراً موجزاً لما قام به اتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين في الفترة الماضية ، منذ انعقاد مؤتمرنا الخامس في آلما آتا عاصمة جمهورية كازاخستان السوفيتية في شهر سبتمبر عام ١٩٧٣ .

استطاع المكتب الدائم بمبادرة من اتحاد الكتاب السوفيت وجمهورية ارمينيا الاشتراكية واتحاد كتابها ، أن يعقد ندوة عن « الشعر الافريقي الآسيوي » في بريفان عاصمة ارمينيا في شهر سبتمبر ١٩٧٣ .

واستطاع المكتب الدائم بمبادرة من اتحاد الكتاب اللبنانيين ان يعقد ندوة « المجلات الأدبية والثقافية في افريقيا وآسيا » في بيروت عاصمة لبنان في شهر ديسمبر ١٩٧٤ .

واستطاع المكتب الدائم بمبادرة من اتحاد الكتاب في الفلبين ان يعقد ندوة عن « الأدب والأجيال الجديدة » في مانيلا عاصمة الفلبين في شهر فبراير ١٩٧٥ .

ونحن ننظر بسعادة ، الى تلك المبادرة التي يقدمها اتحاد الكتاب السوفيت واتحاد الكتاب في جمهورية اوزبكستان السوفيتية من اجل عقد ندوة عن « الادباء الشبان » في طشقند عاصمة اوزبكستان في خريف هذا العام .

ونرقب ايضاً بسعادة ، تلك المبادرة التي قدمها اتحاد الكتاب العرب بالجمهورية العربية السورية ، من اجل عقد ندوة عن « ادب المسرح الافريقي الآسيوي » في دمشق عاصمة سوريا في نهاية هذا العام .

يضاف الى هذا — بالطبع — مبادرة اتحاد الادباء في العراق بعقد دورتنا الرابعة للجنة التنفيذية للكتاب الافريقيين الآسيويين هنا في بغداد .

خلال الفترة التي انقضت عقد المكتب الدائم خمس دورات له . في يناير ١٩٧٤ في القاهرة . وفي يونيو ١٩٧٤ في موسكو . وفي فبراير ١٩٧٥ في مانيلا وفي يونيو ١٩٧٥ في موسكو ثم الدورة السادسة عشرة التي انعقدت هنا في بغداد قبل افتتاح اعمال اللجنة التنفيذية .

وفي خلال هذه الدورات ، واصل المكتب الدائم دراسة القرارات والتوصيات التي اتخذها المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الآسيويين . كذلك التوصيات التي صدرت عن الندوات الثلاث التي اشرت اليها . وقام المكتب الدائم ببذل كل الجهود لوضع القرارات والتوصيات موضع التنفيذ في نطاق المتاح من الامكانيات .

ومن ناحية اخرى واصل المكتب الدائم عمله في منح جائزة لوتس التقديرية للكتاب البارزين في افريقيا وآسيا عن عامي ١٩٧٤ — ١٩٧٥ كما تسجله وثائق المكتب الدائم الموزعة عليكم . ولا يفوتني هنا ان تتجه عنايتكم الى اننا قد قدمنا جائزة في عام ١٩٧٠ الى الزميل الشاعر المناضل اوجستينو نيتو الذي اصبح الآن رئيساً لجمهورية انغولا الشعبية . وقدمنا جائزة لوتس في عام ١٩٧٢ الى الزميل الشاعر المناضل مارسلينو دوس سانتوس الذي اصبح الآن نائباً لرئيس جمهورية موزامبيق مما يجعلنا نحس بكل الفخر والاعتزاز بالزميلين وبالجائزة . وأود ان تتجه عنايتكم أيضاً ، الى اننا قدمنا جائزة لوتس في عام ١٩٧٤ الى اثنين من زملائنا الكتاب استشهدا من اجل استرداد حقوق الشعب الفلسطيني هما الشاعر كمال ناصر ، والروائي والناقد غسان كنفاني .

والى جانب تكريم هؤلاء البارزين من الكتاب في افريقيا وآسيا ، نعمل على تشجيع الكتاب الجدد في مختلف مجالات الأبداع الأدبي والثقافي ، فأعددنا مشروع جوائز لوتس التشجيعية الموزع عليه ضمن

وثائق هـذا الاجتماع لمناقشة بحث وسائل تمويله لعرضه على المؤتمر السادس للكتاب الافريقيين الآسيويين لاقراره .

وقد بذل المكتب الدائم جهوداً في تدعيم الصلات بينه وبين المنظمات والهيئات الأدبية والثقافية والكتاب المرموقين في افريقيا وآسيا وفي امريكا اللاتينية كذا الكتاب التقدميين في مختلف انحاء العالم . وسوف نكثف نشاطنا في هذا المجال في المرحلة القادمة .

وبهذه المناسبة اود التنويه الى اننا نسعى في هـذه المرحلة الى تطوير وتوثيق العلاقات مع المجلات الأدبية التي شارك رؤساء تحريرها في ندوة بيروت بصفة خاصة . والمجلات الأدبية والثقافية بصفة عامة .

ومن ناحية اخرى ، نواصل اصـدار مجلة لوتس للأدب الافريقي الآسيوي . وإذا كنا قد واجهنا بعض العقبات والصعوبات في توزيعها خلال المرحلة التي انقضت ، فاننا ننظر بتفاؤل الى المستقبل بعد مبادرة لجنة التضامن مع الشعوب الافريقية الآسيوية بجمهورية المانيا الديمقراطية ، بألتزامها مسؤولية التوزيع الى كل بلدان افريقيا وآسيا ، وتجهيز حملات اعلامية عن مجلة لوتس بمختلف الوسائل الاعلامية وبكل اللغات لتوزيعها على اوسع نطاق وذلك اعتباراً من بداية النصف الثاني من هذا العام ١٩٧٦ . مما يدعونا الى ان نسجل شكرنا وتقديرنا للجنة التضامن الالمانية .

وفي نطاق تبادل زيارات الكتاب واقامتهم لفترة في البلاد المضيفة ، وفقاً لتوجيه المؤتمرين الرابع والخامس ، نكرر نداءنا الى المنظمات والاتحاد الاعضاء بصفة عامة ، واتحادات الكتاب ولجان التضامن في بلاد اوربا الاشتراكية ليسهموا في هذا المجال .

على ان هناك مشروعاً يطوف بذهن كتاب افريقيا وآسيا منذ الاعوام الأولى لحركتنا وهو مشروع انشاء دار نشر افريقية آسيوية . الذي ركزت عليه توصيات المؤتمر الخامس . ومن خـــلال المناقشات وتبادل الرأي ووجهات النظر المختلفة ، رؤى ان جهودنا في هذه المرحلة يجب أن تتكثف حول استمرارنا في اصدار سلسلة الادب الأفريقي الآسيوي كنواة لمشروع دار النشر التي نأمل في أن تقوم ذات يوم في المستقبل . وقد تفضل اتحاد الادباء في العراق مشكوراً وباعلان التزامه بطبع ثلاثة كتب كل عام في هـذه السلسلة باللغة العربية كما ابدى اتحـاد الادباء في الفلبين ، واتحاد كتاب بلغاريا ولجنة التضامن التشيكية استعدادهم للاسهام في هذا المجال . ونحن اذ نشكر هذه المبادرات فاننـا نأمل الى الوصول الى اتفاقات بشأنها في المرحلة القادمة .

واذا كنا نوثق صلاتنا وتعاوننا مع منظمة اليونسكو في نطاق عضويتنا الاستشارية بالفئة (ب) ، فاننـا نأمل في المستقبل القريب ان ننتقل الى العضوية الاستشارية بالفئة (أ) ، ونأمل ايضاً أن نحصل على دعم مادي من المنظمة الدولية يعاون في استمرار اصدار سلسلة الادب الأفريقي الآسيوي .

في خريف العام القادم ينعقد مؤتمرنا السادس ونحن نقترب من استكمال عشرين عاماً في عمر حركتنا . واعداداً لهذا المؤتمر قدمنا لكم ضمن وثائق هـــذا الاجتماع بعض الافكار والموضوعات التي يمكن ان يتضمنها مشروع جدول اعمال المؤتمر ، ولا شك أن مناقشتكم لهذه الأفكار والموضوعات ، واقتراحاتكم وارائكم بشأنها ، سوف تزيدهـا ثراء وعمقاً .

وفي رأيي انه قبل ان يحل موعد انعقاد المؤتمر السادس ، وقبل أن نستكمل العام العشرين في عمر حركتنا ، يحسن بنا أن نعيد النظر في

ميثاق الكتاب الأفريقيين الآسيويين على ضوء مراحل نمو ونضوج حركتنا، وخاصة في مجال تقنين مواد هـذا الميثاق ليصبح دستوراً لكتـاب افريقيا وآسيا ، وحتى نتمكن من تقديمه للمؤتمر السادس لاقراره .

ان كل اوجه النشاط التي اشرت اليها في تقريري لها جوانبها الايجابية ولها ايضاً جوانبهـا السلبية . وفي رأيي ان الواجب يحتم علينا ان نبذل كل جهد في المرحلة القادمة لتتحول السلبيات الى ايجابيات . وان نسعى بكل ما يطيق لكي نتغلب على كل ما يواجه نشاطنا من عقبات ومعوقات . وهذا يمكن أن يتحقق اذا قدمت الاتحادات والمنظمات الاعضاء اسهاماً مالياً ــ بقدر ما يتيسر لها من امكانيات ــ لمعاونة المكتب الدائم واتحاد الكتاب الأفريقيين الآسيويين على اداء رسالته تحقيقاً لأهــداف الحرية والعدالة ، والكرامة والسلام ، التقدم والتنمية ، ورفع قيم الصدق والجمال والمحبة والاخاء الانساني .

البيان العـــام

نحن كتاب آسيا وافريقيا اذ نجتمع في اللجنة التنفيذية الرابعة لاتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين ، في بغداد عاصمة الجمهورية العراقية ، في الفترة من ١٣ ـــ ١٥ مارس ١٩٧٦ ، ممثلين لاتحادات الكتاب ومنظماتهم في ٢٣ بلداً افريقياً وآسيوياً و ٩ بلاد اشتراكية ومنظمة اقليمية ودولية ثقافية ، قد ناقشنا مسائل لها اهميتها الحيوية بالنسبة لما تخوضه شعوبنا من نضال وما تواجهه حركتنا من مهمات لتحقيق الاهداف السامية التي نذرنا لها حياتنا وموهبتنا وعملنا الابداعي والنضالي : اهـــداف الحرية والعدالة والتقدم والحق والجمال .

اننا لنشهد بفخر واعتزاز تلك الانتصارات الباهرة التي تحققها يوماً بعد يوم القوى التقدمية المناهضة للامبريالية ، وتوطد حركة التحرر الوطني العـالمي ، ورسوخ قدم سياسة الانفراج الدولي وتقدم موجة المدّ العالمي الذي يكتسح قوى الامبريالية والرجعية والعدوان ليفسح السبيل امام قوى السلام والتحرر والديمقراطية .

وفي آسيا نشهد الآن الانتصار التاريخي البارز لشعوب الهند الصينية على عدوان الامبريالية الامريكية ونشهد ميلاد عصر تاريخي جديد تمضي فيه هذه الشعوب نحو بناء اقتصادها وتنمية مجتمعاتها . وكما وقفنا دائماً الى جانب النضال البطولي لشعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا حتى تحررت ودحرت العدوان الامبريالي فاننا اليوم نقف معها من اجل الوفاء بمهماتها التاريخية الجديدة في اعادة البنـــاء والتنمية وارساء الديمقراطية في هذه المنطقة .

نحن كتاب آسيا وافريقيا نسدي التحية والتكريم الى اخواننا المناضلين في جمهورية انجولا الشعبية وعلى قيادتها شاعرنا العظيم الذي نعتز بانتمائه

الى اسرتنا منذ فجر حركتنا الرئيس اجستينو نيتو ، ووفاته في الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، وقد رفرفت الآن راية الاستقلال عالية فى سماء انجولا وتحررت ارضها من وصمة الاستعمار وتحطمت فيها آخر قلاع الامبراطورية البرتغالية الفاشية المنهارة . اننا نمد ايدينا — مع صفوف جماهيرنا في كل بلاد افريقيا وآسيا — بالتأييد والدعم لنضال جمهورية انجولا الشعبية من اجل الحفاظ على سيادتها واستقلالها ودحر قوى العدوان العنصري الفاشي المتواطيء مع الامبريالية العالمية والتي ما زالت تلوث ارض انجولا ، ونطالب بان تنسحب كل القوات الاجنبية الامبريالية وقوات المرتزقة وقوات جنوب افريقيا من ارض انجولا وندعو الى تقديم الدعم الكامل في كل الميادين لجمهورية انجولا الشعبية .

انه ليملأ قلوبنا فخراً لقيام الجمهوريات الفتية في موزانبيق وغينيا بيساو والرأس الأخضر وساو تومى وبرنسيب واننا نؤكد من جديد التزامنا بأن نقف بصلابة الى جانب هذه الجمهوريات ندعم التطور الاجتماعي والاقتصادي والتقدم فيها ونعمل على ازدهارها الحضاري والثقافي .

ان اشقاءنا في جنوب افريقيا وناميبيا وزيمبابوى ما زالوا يخوضون غمار نضال شرس ومجيد ضد الانظمة العنصرية الفاشية التي نراها وصمة عار في جبين القارة الافريقية . نحن معكم ايها الاخوة بكل ما نملك ، جنوداً في نضالكم التحرري الذي يقوده حزب المؤتمر الوطني الافريقي لجنوب افريقيا وسوابو في ناميبيا والمجلس الوطني الافريقي لزيمبابوى .

ان رسالتنا ان نناضل بلا هوادة ضد سياسة التمييز العنصري وان ندعو الى حملة عالمية للقضاء على جريمة العنصرية .

اننا لنضع كل ما نملك من جهد وعمل في خدمة النضال العظيم الذي تشنه القوى الوطنية في لبنان ضد المؤامرات الامبريالية والصهيونية والرجعية الضاربة التي تستهدف طمس حضارة شعب لبنان وتدمير ثقافته

والتي تقترف جرائم مروعة وتنتهج اساليب فاشية وتهدف الى تمزيق وحدة شعب لبنان وضرب المقاومة الفلسطينية . نحن معكم ايها الاخوة في لبنان من اجل تعزيز نضالكم والحفاظ على وحدة شعبكم وضمان سلامة المقاومة الفلسطينية واستمرارها وفعاليتها وتعاونها مع القوى الوطنية اللبنانية في ارض لبنان .

نحن كتاب آسيا وافريقيا نعلن تأييدنا المطلق لحركة المقاومة الفلسطينية الباسلة ونؤيد الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل حقوقه الوطنية ، واولها حقه في العودة الى وطنه وتقرير مصيره على ارضه . ونرى بحق ان هذا التأييد من واجباتنا الاساسية كما ان انتصار المقاومة الفلسطينية يشكل نصراً كبيراً لحركة التحرر العربي وقوى التقدم العالمية . اننا نشيد بنضال الشعب الفلسطيني الباسل ونحتفظ في قلوبنا دائماً بشعلة الوفاء والتكريم لشهدائه الذين هم في الوقت ذاته شهداؤنا ، وندين المؤامرات التي تحاك لتعويق نضاله وندعو الى تكثيف حملة عالمية في آسيا وافريقيا والعالم كله لتأييد نضال الشعب الفلسطيني والتضامن معه .

اننا ، كتاباً ومناضلين ، نتخذ مكاننا جنباً الى جنب مع شعوب البلاد العربية التي ما تزال تخوض نضالاً عنيداً من اجل تحرير كل اراضيها المحتلة .

اننا ندعو حركة التحرر الوطني العربية بكل فصائلها وانظمتها التقدمية الى صيانة وتوطيد العلاقات فيما بينها في هذه المرحلة الهامة من تطور نضالها السياسي ضد الهجمات الامبريالية والصهيونية .

نحن كتاب آسيا وافريقيا نضم صوتنا الى صوت العالم المتحضر كله وقد ادان الصهيونية باعتبارها نظرية وحركة عنصرية ونرى في هذه الادانة تأكيداً لما نادينا به طويلاً وانتصاراً دولياً لا لشعب فلسطين الذي اغتصبت الصهيونية ارضه وحقوقه فقط بل انتصاراً للسلام في العالم كله ولقيم الحق والتسامح والعدالة التي ندين بها .

اننا ايضاً نؤيد كفاح شعب ارتيريا من اجل التحرر الوطني والديمقراطية وندعو الاطراف المعنية الى الحوار من اجل تأمين مصلحة القوى المناهضة للامبريالية في هذا الجزء العزيز من ارض افريقيا .

كما نقف الى جانب شعب ساحل الصومال في نضاله من اجل حريته واستقلاله .

اننا ندين تمزيق ارض قبرص واستمرار احتلالها ونهيب بكل القوى المحبة للسلام العمل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة والوصول الى حل يضمن وجود قبرص المستقلة المتحدة منزوعة السلاح غير المنحازة محتفظة بوحدة اراضيها وسلامتها ، وقد تطهرت ارضها من وجود كل قاعدة عسكرية امبريالية عليها .

اننا لنحيي تعزز مواقع السلم وعدم الانحياز وسياسة الامن الجماعي وعلاقات حسن الجوار والتعاون في آسيا ونؤيد الحملة الجماهيرية في اليابان ضد القواعد العسكرية وضد بعث العسكرية اليابانية . ونؤيد نضال الشعوب الآسيوية في بلادها ضد الحكومات الديكتاتورية التي تؤيدها الامبريالية الامريكية وشريكها الاصفر الامبريالية اليابانية ونعمل مع كل القوى المحبة للسلام على ان يصبح المحيط الهندي منطقة يرفرف عليها السلام وتخلو من القواعد العسكرية العدوانية .

اننا نؤيد الحملة التي تنهض بها القوى الوطنية والديمقراطية في الهند ضد المؤامرات الفاشية الجديدة ,الرجعية التي تحاول استرجاع مواقعها وتقويض انتصارات الكفاح الوطني والديمقراطي في الهند .

اننا نحن كتاب آسيا وافريقيا نلتزم من جديد بتقديم كل عون وكل تضامن الى شعب شيلي الباسل في نضاله المجيد ضد الطغمة الفاشية المجرمة ومن اجل استرداد ناصية سيطرته على مقدراته واعادة الحكم الشعبي الديمقراطي في وطنه . كما نقف الى جانب كفاح شعوب امريكا

اللاتينية في نضالها ضد الامبريالية الامريكية والقوى الفاشية والاستعمارية الجديدة في بلادهـا .

واننا نحن كتاب آسيا وافريقيا نحيى الدور البـارز الذي تنهض به البلاد الاشتراكية وفي طليعتهـا الاتحاد السوفيتي في دعم حركة التحرر الوطني في افريقيا وآسيا ونؤكد ضرورة توثيق الحلف الاستراتيجي بين القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني العـالمي والقوى الديمقراطية في العالم الرأسمالي استهدافاً لاعادة تشكيل وجه العـالم لصالح التحرر والاستقلال والديمقراطية والتقدم الاجتماعي .

نحن كتاب آسيا وافريقيـا نلتزم من جديد بأن نناضل مع شعوبنـا لكي نقضي على الاستغلال الامبريالي ونقر سيادتها على مواردها الطبيعية ونعمل على التنمية وايجاد علاقات اقتصادية متكافئة في ذات الوقت الذي نعمل فيه على الحفاظ على كنوزنا الثقافية والحضارية وتطويرها وتجديدها انطلاقاً من تراثنا الأصيل نحو آفاق المستقبل المضيء للانسانية جمعاء .

ذلك ان عمل الكاتب لمصلحة شعبه ومشاركته المباشرة والنشطة في حياة مجتمعه انما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية الخلق والابداع الفني .

واننا لنؤمن بأن تبادل الخبرات بين اتحاداتنا بعضها البعض من المهام الاساسية لحركتنـا ومن العوامل الدافعة لنمو آدابنا وثقافاتنا كمـا نؤمن بضرورة توثيق التضامن بين كتابنا ومثقفينا ومنظماتهم ، ذلك أن الفنان لا يمكن ان يحيا وحيداً ولا منعزلاً عن رفاته في العمل والنضـال وعن هموم شعبه وآماله ونضاله .

ان علينا ايضاً أن نمد يد العون الاخوي والتأييد والمحبة الى ادبـاء الاجيال الجديدة وان نزودهم بخبراتنا وأن نفتح امامهم طرق الخلق والابداع .

نحن كتاب آسيا وافريقيا نلتزم بتوثيق التعاون بيننا وبين الكتاب الوطنيين والديمقراطيين والتقدميين والاشتراكيين ومنظماتهم في العالم عامة ومنظمات الكتاب في البلاد الاشتراكية خاصة اذ نرى في هذا التعاون رصيداً غنياً يثري حركتنا ويدعمها .

اننا كتاب آسيا وافريقيا المجتمعين في بغداد نتجه بأعمق آيات الشكر والتقدير لاتحاد الادباء في العراق الذي اتاح لنا فرصة عقد هذا الاجتماع في بغداد ، واتاح لنا في هذا اللقاء الاخوي ، فرصة توثيق العلاقات بيننا ومع ادباء العراق . ونحيي شعب العراق في نضاله من اجل تحرير ثرواته وتحقيق التقدم الاقتصادي ، ونشيد بسياسة التعاون والتحالف بين القوى الوطنية والتقدمية ، ونشكر الرئيس احمد حسن البكر على رعايته لاجتماعنا .

نحن كتاب آسيا وافريقيا نؤكد العمل على تأكيد قيم الحرية والعدالة والتسامح والايمان والسلام التي يتميز بها تاريخ الحضارة الافريقية الآسيوية والتي استلهمتها كل ثقافات العالم المعاصر ، من خلال العمل الابداعي الذي يتمثل كل منجزات التقدم التكنولوجي والعلمي دون ان يكون خاضعاً لها ، ويستوعب كل التحديات المعاصرة ويتجاوزها الى آفاق جديدة .

اننا ورثة تراث روحي غني لشعوبنا وحضاراتها المتميزة ونحن في الوقت نفسه جزء لا ينفصل من الحضارة الانسانية التقدمية المناهضة للانحلال واليأس والتخاذل ، والقائمة على الأمل والثقة بالانسان .

ونحن نلتزم من جديد أن نواصل رسالتنا التاريخية تحقيقاً لاهداف الحرية والعدالة ، والكرامة والسلام ، والتقدم والتنمية ، ورفع قيم الصدق والجمال والمحبة والاخاء الانساني .

قرارات وتوصيات اللجنة التنظيمية

ان اللجنة التنفيذية في دورتها الرابعة المنعقدة في بغداد عاصمة العراق خلال الفترة من ١٣ ـــ ١٥ مارس ١٩٧٦ تتخذ القرارات والتوصيات التنظيمية التالية :

اولاً : بشأن الانشطة في المرحلة القادمة حتى انعقاد المؤتمر السادس

توافق اللجنة على ما يلي :

١ ـــ عقد ندوة للادباء الشبان في مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية في شهر سبتمبر من هذا العام . ويفوض السكرتير العام بالاتفاق مع اللجنة السوفيتية للكتاب الأفريقيين الآسيويين في التحضير والاعداد لعقد هذه الندوة .

٢ ـــ عقد الدورة السابعة عشرة للمكتب الدائم في طشقند قبل عقد ندوة الادباء الشبان .

٣ ـــ عقد ندوة « ادب المسرح في افريقيا وآسيا » في مدينة دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية في شهر ديسمبر ١٩٧٦ او يناير ١٩٧٧ على أن يبدأ التحضير لهذه الندوة في اقرب فرصة .

٤ ـــ عقد الدورة الثامنة عشرة للمكتب الدائم في دمشق قبل عقد ندوة ادب المسرح الافريقي الآسيوي في دمشق .

٥ ـــ شكر اللجنة الهندية للكتاب الافريقيين الآسيويين على اقتراحها بعقد ندوة في الهند تناقش :

أ ـــ مشاكل الجمال في الكتابات المعاصرة

ب ـــ الاتجاه المعادي للامبريالية والفاشية في الكتابات الافرو آسيوية مع قبول هذه الدعوة وتفويض السكرتير العام في الاتصال باللجنة الهندية بشأن الاجراءات اللازمة لتحقيق عقد هذه الندوة فى الموعد المناسب .

ثانياً ــ بشأن تدعيم انشاء لجان قومية للاتصال بالكتاب الافريقيين الآسيويين في كل البلدان التي شاركت في اجتماعات الدورة الرابعة للجنة التنفيذية

توصي اللجنة بما يلي :

١ ـــ يضع المكتب الدائم برنامجاً زمنياً محدداً لتبادل الزيارات بين اعضاء المكتب الدائم وبين اتحادات ومنظمات الكتاب في الدول اعضاء اللجنة التنفيذية .

٢ ـــ يحدد في كل بلد اسم محدد ترسل اليه مراسلات المكتب الدائم ومطبوعاته . ومرفق بهذه القرارات اسماء المراسلين في كل بلد .

٣ ـــ وضع برنامج زمني محدد لتنظيم زيارات كتاب من افريقيا وآسيا الى بلاد اوربا الاشتراكية والى مقر المكتب الدائم بالقاهرة . ويفوض السكرتير العام في اجراء اتصالات محددة لتنفيذ هذا البرنامج .

ثالثاً ــ بشأن تدعيم التعاون بين المكتب الدائم وبين المنظمات الدولية والاقليمية التي تتمشى اهدافها مع حركة الكتاب الافريقيين الآسيويين .

توصي اللجنة بما يلي :

١ ـــ يتخذ السكرتير العام ما يلزم من اجراءات لتحديد موعد مع منظمة اليونسكو لزيارة وفد من المكتب الدائم الى مقر المنظمة ولقاء المسؤولين فيها بشأن وضع برنامج محدد للتعاون المشترك بين المنظمة والمكتب الدائم .

٢ ــ تتخذ الخطوات اللازمة لتدعيم التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ويقترح ــ في هذا المجال ــ ان يشارك ممثل للمنظمة في اعمال المكتب الدائم بصفة منتظمة .

٣ ــ مواصلة واضطراد التعاون بين الكتاب الافريقيين الآسيويين وبين منظمة التضامن مع الشعوب الافريقية الآسيوية . ومجلس السلام العالمي ، كذلك المنظمات الديمقراطية الاخرى مثل :

الشباب ــ المرأة ــ الحقوقيين ــ الصحفيين ــ النقابيين ــ الطلبة

رابعاً : بشأن الاعداد لعقد المؤتمر السادس للكتاب الافريقيين الآسيويين :

تقر اللجنة ما يلي :

١ ــ تشكيل لجنة عمل للاعداد والتحضير لعقد المؤتمر السادس من :

أ ــ السكرتير العام

ب ــ نواب ومساعد السكرتير العام

جـ ــ البلد الذي يستضيف المؤتمر

د ــ الاتحاد السوفيتي

هـ ــ العراق

و ــ غانا

٢ ــ تفويض لجنة العمل المذكورة في الاتصال بالاتحادات ومنظمات الكتاب ووزارات الثقافة في مختلف بلاد افريقيا وآسيا بشأن استضافة المؤتمر مع الاسهام المالي والمادي والأدبي . وبشأن تحديد موعد انعقاده .

٣ ــ تفويض السكرتير العام في الاتصال بالحكومات ووزارات الثقافة والاعلام في بلاد افريقيا وآسيا لدعوتها للاسهام في تمويل المؤتمر بقدر ما يمكن .

٤ — نظراً لأن الوقت ما زال متسعاً قبل موعد انعقاد المؤتمر في العام القادم ، ترى اللجنة ارجاء مناقشة الافكار والموضوعات المقترحة لمشروع جدول اعمال المؤتمر السادس ، الى اجتماع المكتب الدائم بدورته السابعة عشرة في طشقند في شهر سبتمبر القادم .

وخلال هذه الفترة يطلب من اتحادات ومنظمات الكتاب الاعضاء ان يقدموا اقتراحاتهم بشأن مشروع جدول الاعمال .

خامساً : بشأن تقنين ميثاق الكتاب الافريقيين الآسيويين

تقرر اللجنة ما يلي :

١ — تشكيل لجنة فرعية للميثاق على النحو التالي :

أ — نواب ومساعد السكرتير العام

ب — الاتحاد السوفيتي

ج — العراق

د — سيراليون

٢ — توجه الدعوة الى كل اتحادات ومنظمات الكتاب الاعضاء لموافاة اللجنة بما تراه من تعديلات وآراء بشأن تقنين الميثاق

٣ — تقدم اللجنة مشروع الميثاق المعدل والمقنن الى المكتب الدائم في موعد مناسب قبل اجتماع المكتب الدائم بدورته السابعة عشرة . ويقترح الا يتأخر هذا الموعد عن نهاية شهر يونيو ١٩٧٦ .

قرارات وتوصيات اللجنة السياسية

ان اللجنة التنفيذية للكتاب الافريقيين الأسيويين المنعقدة في بغداد ١٣ — ١٥ مارس ١٩٧٦ في هذه المرحلة الهامة من تطور حركات النضال الوطني التحرري في قارتي آسيا وافريقيا تقرر ما يلي :

١ — حول التضامن مع شعوب وبلدان افريقيا :

نتيجة النضال البطولي المديد الذي خاضته شعوب وبلدان افريقيا ، سقط النير الاستعماري عن كواهل العديد من شعوب هذه القارة وقد رأينا كيف استطاعت الحركة الوطنية الثورية في انغولا ، حديثاً ، ان تحرز اكبر انتصار على القوى الرجعية والامبريالية التي كانت تعمل جاهدة لابقاء الشعب الانغولي ضمن مناطق النفوذ والاستغلال الامبرياليين .

اننا إذ نحيي انتصار الشعب الانغولي ، نعرب عن تضامننا معه في مسيرته الثورية ، ونطالب بدعمه وتأييده على الصعيدين المادي والسياسي . كما اننا ندعو جميع القوى المحبة للسلام في العالم ان تقف بجانب هذا البلد الافريقي الحديث الاستقلال ، والذي يشكل ظاهرة تحررية جديدة في القارة الافريقية .

وتحيي اللجنة التنفيذية أيضاً نضال شعوب افريقيا الجنوبية ، وموزمبيق ، وغينيا بيساو ، ضد سياسة التمييز العنصري التي ما برحت تمارسها القوى الامبريالية والعميلة في هذه البلدان ، ويرفع الكتاب المجتمعون الصوت احتجاجاً ضد الديكتاتوريات العنصرية البغيضة التي ما برحت تسوم شعوب هذه البلدان صنوفاً من القمع والسجن والتعذيب ، واللجنة التنفيذية إذ تنظر باهتمام بالغ الى الموقف في زمبابوي (روديسيا) تدعو جميع الكتاب

التقدميين والمنظمات والحكومات الوطنية في سائر انحاء العالم لدعم الكفاح الذي يخوضه شعب هذا البلد، مادياً ومعنوياً وفضح كل اساليب العنف التي ارتكبتها حكومة سمث ضد جماهير شعب زمبابوي والبلدان المجاورة .

ويدعو المجتمعون كل الكتاب في آسيا وافريقيا وفي العالم الى مساندة شعوب هذه البلدان في نضالها الوطني التحرري ومن اجل قضايا العادلة .

اننا إذ ندين الاساليب القمعية والتصفوية التي يكابدها شعب اريتريا في نضاله من اجل حريته وسيادته ، نطالب بوقف عمليات القصف البربري الذي تتعرض له قواه وتجمعاته البشرية ونعرض عن رغبتنا في رؤية مندوبين لهم في المؤتمرات والندوات التي ستعقد في المستقبل بدعوة واشراف حركة الكتاب الافريقيين الآسيويين .

٢ — وحدة القوى التقدمية في المنطقة العربية وبلدان آسيا وافريقيا :

تتعرض حركة التحرير الوطني العربية وانظمتها التقدمية بهذه الفترة الهامة من تاريخ تطورها السياسي ، الى هجمات امبريالية وصهيونية ورجعية شرسة ، تستهدف تفتيت تضامنها وعرقلة تقدمها الاجتماعي ولاشك ان التأكيد على وحدة القوى المعادية للامبريالية والصهيونية ، وعلى تعاونها ، وصيانة وتوطيد العلاقات القائمة بين الجبهات الوطنية يرتدي في هذه المرحلة اهمية خاصة ، ينبغي على كافة التقدميين في المنطقة والعالم ، وفي مقدمتهم الكتاب والادباء ، الذود عنها ، والتعبير عن تطلعاتها والنهوض باعبائها .

ان اللجنة التنفيذية لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا إذ تحيي حركة التحرر الوطني العربية وانظمتها التقدمية ، تطالب هذه الحركة بجميع فصائلها . ان توثق علاقاتها ، لتصبح اكثر قدرة على مواجهة المخططات الاستعمارية التي ترمي الى تجزئتها وعرقلة تقدمها السياسي والأجتماعي والثقافي .

كما ان اللجنة التنفيذية لكتاب آسيا وافريقيا المجتمعة في بغـــداد تحيي مجدداً نضال الشعب الفلسطيني في سبيل تحرير ارضه وهي إذ تدين ما يحاك من مؤامرات لضـرب ارادته ومنعه من الحصول على حق تقرير مصيره على ارضه ، وعودة مشرديه الى بيوتهم ترى من الضروري تكثيف الحملات في آسيا وافريقيا لتأييد الشعب الفلسطيني والتضامن معه في نضاله ، وتكثيف الحملات ضد العنصرية الصهيونية التي ادانتها هيئة الامم المتحدة وتعميق الوعي بخطورتها على السلام لا في الشرق الاوسط فحسب بل في العـالم اجمع وتوجيه التحية الى الكتـاب والصحفيين الفلسطينيين الذين يناضلون ضد الاحتلال في الداخل وضد المؤامرات خارج الارض المحتلة ، واعلان التضامن معهم ومساندتهم في نضالهم الباسل ، وتوجيه التحية للشهداء اللذين سقطوا من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، خلال مراحل النضال المختلفة ، واعتبارهم شهداء النضـــال في آسيا وافريقيا والتعريف بهم ونشر كتاباتهم في بلدان آسيا وافريقيا المختلفة .

والندوة إذ تشجب محاولات القوى العميلة لاثارة الاقتتال الطائفي في لبنان الذي يهدد كيان هذا البلد ، ويعرض شعبه لاوخم العواقب ، تدعو الى مساندة الحركة الوطنية اللبنانية في كفاحها ضد قوى التخلف والرجعية ، وتوجه التحية لابطالها الذين يناضلون من اجل بناء وطن حر ديمقراطي متطور وملتزم بالقضايا المصيرية التي تواجهها الامة العربية جمعاء .

واننا إذ ننظر بعين القلق لما يعانيه الشعب العربي في منطقة الخليج العربي في نضاله الثوري البطولي ، ندعو الى مساندة شعب ظفار في ثورته ضد الرجعية والغزو الاجنبي وندعو الى التضامن مع شعب جمهورية اليمن الديمقراطية ومسـاندته ضد الضغوط الامبريالية والرجعية التي ترمي الى عرقلة برامجه في عمليـات التحول الاجتماعي والاقتصادي وتوطيد تحرره السياسي .

وتشجب اللجنة التنفيذية تمزيق قبرص واستمرار احتلالها وتطالب جميع القوى المحبة للسلام في العالم للعمل على عودة جميع المهجرين الى مساكنهم ووطنهم .

اننا ندعو القوى التقدمية في الهند وسريلانكا وملاجاش وبلدان القارتين الاخرى الى توثيق عرى التحالف والتعاون بينها لان التجربة اثبتت له حينما كان تعاون ووحدة كان هناك انتصار .

كما تحيي اللجنة مواقف العراق التقدمية ودعمه لقضايا التحرر الوطني في العالم .

وتؤكد اللجنة على مبدأ تقرير المصير لدى الشعوب المناضلة من اجل تقرير مصيرها وتساند الحركات التحررية في افريقيا وآسيا .

وتتقدم بالتحية الى جميع القوى التقدمية في العالم وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي الذي يدعم نضالات شعوب آسيا وافريقيا من اجل الحرية والتقدم والسلام وبناء مجتمعات متطورة ومتقدمة على جميع الاصعدة الاجتماعية .

قرارات وتوصيات اللجنة الثقافية

ان اللجنة التنفيذية ، في دورتها الرابعة ، المنعقدة في بغداد عاصمة العراق . خلال الفترة من ١٣ الى ١٥ مارس ١٩٧٦ ، تتخذ القرارات والتوصيات الثقافية التالية :

اولاً : بشأن توثيق الروابط والعلاقات بين اتحادات ومنظمات الكتاب في افريقيا وآسيا ، وبينها وبين المكتب الدائم .

توصي اللجنة بما يلي :

١ ــ تعزيز وتدعيم العلاقات من خلال توثيق الاتصالات وتبادل الزيارات

٢ ــ تبادل نشر الاعمــال الأدبية الافريقية الآسيوية باللغات الوطنية وتشجيع حركة الترجمة بما يجعل الكتاب الافريقيين الآسيويين في متناول اكبر عدد ممكن من القراء .

٣ ــ بحث انشاء مركز ابحاث للكتابات الافريقية والآسيوية ، على أن يضم المركز مكتبة واحصائيات عن الفلكلور . والأدب الشعبي . وأدب الاطفال ومختلف فروع الآداب .

٤ ــ بحث تعديل ميثاق الكتاب الافريقيين الآسيويين بما يسمح بتوسيع عضوية المنظمات الأدبية ــ خاصة التقدمية منها ــ في اتحاد كتاب افريقية وآسيا ، والتمليل بقدر الامكان من عضوية الافراد .

٥ ــ بحث اعداد دليل لكتاب افريقيا وآسيا يضم معلومات وافية عنهم وعن اعمالهم وعناوينهم وصورهم للاسهام في توثيق العلاقات الشخصية بين الكتاب بعضهم ببعض وبين الكتاب والاتحادات والمنظمات الادبية .

٦ ــ بذل محاولات مع اتحادات ومنظمات الكتاب الاعضاء التي تصدر مجلات أدبية أو ثقافية ، أن تخصص بعض اعدادها لتوسيع قاعدة

أدب افريقيا وآسيا تحت عنوان . « افريقيا وآسيا ضد التمييز العنصري ، والاستعمار ، والامبريالية » وان تقوم الاتحادات والمنظمات الاعضاء بهذه المهمة بالتنسيق مع جهاز المكتب الدائم .

٧ — اصدار نشرة اخبارية ، شهرية أو فصلية ، تتناول النشاطات التي تقوم بها اتحادات ومنظمات الكتاب الاعضاء .

ثانياً : توثيق العلاقات بين الكتاب في بلدان افريقية وآسيا وبينهم وبين الكتاب في بلدان اوربا الاشتراكية ، وبينهم وبين الكتاب التقدميين في كل مكان من بلدان العالم .

توصي اللجنة بما يلي :

١ — يضع المكتب الدائم برنامجاً لتبادل الزيارات بين اعضاء المكتب الدائم واعضاء اللجنة التنفيذية وبين اتحادات ومنظمات الكتاب في بلدان اوربا الاشتراكية ، واذا امكن تبادل الزيارات مع اتحادات كتاب امريكا اللاتينية والكتاب التقدميين في كل مكان من العالم .

٢ — تبادل الكتب والمطبوعات وتبادل النشر والترجمة بين اتحادات الكتاب في افريقية وآسيا واتحادات الكتاب في دول اوربا الاشتراكية .

ثالثاً — بشأن وضع القرارات والتوصيات التي اصدرها المؤتمر الخامس والندوات المتخصصة في المجال الثقافي ، موضع التنفيذ .

توصي اللجنة بما يلي :

١ — يكلف المكتب الدائم باعداد دراسة وافية حول مشروع انشاء دار نشر افريقية آسيوية تضم مركزاً للترجمة ووسائل للطباعة وجهاز للتوزيع ، وبحث الميزانية اللازمة لتنفيذ هذا المشروع ، ووسائل التمويل لهذه الميزانية . على أن يقدم المشروع الى اجتماع المكتب الدائم في دورته القادمة في طشقند .

٢ — تنفيذ توصيات المؤتمر الخامس بشأن الدفاع عن حرية الفكر وبحث انشاء مكتب قانوني لتقديم الاستشارة القانونية يرتبط بالمكتب

الدائم يتولى الدفاع عن الكتاب الافريقيين والآسيويين الذين يتعرضون للاضطهاد . ويدرس المكتب الدائم اعداد ميثاق افريقي آسيوي حول حرية الفكر يسعى الى أن تلتزم به الحكومات في افريقيا وآسيا .

٣ — ادانة اجراءات القمع التي تمارسها سلطات الاحتلال في فلسطين ضد الكتاب والصحفيين ، وضد الثقافة الوطنية . وشجب خطف الصحفي نصري نصر المختفي منذ اكثر من عام وادانة ابعاد الكتاب والصحفيين والتضامن مع الكتاب المبعدين : توفيق فياض ، وعمود شقير ، وعلي الخطيب ، وشجب ما تجريه سلطات الاحتلال الاسرائيلي من تبديلات في الكتب المدرسية تخدم الاحتلال العنصري .

٤ — ضرورة اهتمام الكتاب الافريقيين الآسيويين بالانتكاسات الثقافية التي تعاني منها شعوب زمبابوى على يد الأقلية العنصرية في روديسيا وما تعاني منه شعوب جنوب افريقيا وناميبيا على يد دكتاتورية فورستر العنصرية .

٥ — بحث عقد ندوة لمناقشة وسائل حماية التراث الثقافي للدول النامية التي تتعرض ثقافيتها للنهب . ومثال ذلك ما تتعرض له المعالم الثقافية والفلكلورية في فلسطين المحتلة على يد الاحتلال الصهيوني . الذي ينهبها ويدعيها لنفسه .

٦ — تدعيم الصلات بين المكتب الدائم وبين منظمة اليونسكو لكي يمارس الكتاب الافريقيون الآسيويون دورهم فيها بشكل واضح .

٧ — الاهتمام بأدب الأطفال ويقترح في هذا المجال :

أ — انشاء جائزة خاصة لمسابقة عن ادب الأطفال في افريقيا وآسيا .

ب — بحث اصدار سلسلة لأدب الأطفال في افريقيا وآسيا .

ج — دراسة عقد ندوة تخصص لأدب الأطفال .

٨ — تنفيذ توصيات ندوة المجلات الادبية الافريقية الآسيوية التي عقدت في بيروت ، خاصة فيما يتعلق بتبادل نشر المواد بين مجلة لوتس وبين المجلات الأدبية والثقافية التي شاركت في الندوة وفيما يتعلق بمعالجة موضوع الرقابة على المجلات والدفاع عن حرية الفكر .

٩ — يعد جهاز المكتب الدائم تقريراً عما امكن تنفيذه من قرارات وتوصيات المؤتمر الخامس وعما لم يتمكن من تنفيذه ، والاسباب التي حالت دون ذلك ، والاقتراحات التي يمكن ان تؤدى الى التنفيذ على ان يقدم هذا التقرير الى الاجتماع القادم للمكتب في طشقند.

رابعاً : بشأن مجلة لوتس وسلسلة الأدب الافريقي الآسيوي .

توصي اللجنة بما يلي :

١ — ضرورة تنظيم اصدار وتوزيع مجلة (لوتس) باللغات الثلاث في اوسع نطاق ، بحيث تصل الى القارىء في كل مكان

٢ — شكر لجنة التضامن مع شعوب افريقيا وآسيا بجمهورية المانيا الديمقراطية على التزامها بطباعة مجلة (لوتس) والتزامها بعمل حملة اعلامية عنها وتوزيعها على الاتحادات والمنظمات الاعضاء وفق القائمة المقدمة من المكتب الدائم .

٣ — ضرورة اهتمام الاتحادات والمنظمات الاعضاء بتزويد المجلة بالمواد التي تعبر عن آمال الشعوب الافريقية الآسيوية ومصالحها الوطنية .

٤ — العمل بكل الوسائل المتاحة ، لاستمرار اصدار « سلسلة الأدب الافريقي الاسيوي » باللغات الثلاث ، على أن يقدم تقرير بذلك الى اجتماع المكتب الدائم في طشقند .

٥ — شكر اتحاد الادباء في العراق على التزامه بطبع ثلاثة كتب باللغة العربية في هذه السلسلة سنوياً .

٦ — بذل محاولات مع بقية الاتحادات الكتاب القادرة في افريقيا وآسيا على أن تسهم ايضاً في هـــذا المجال بقدر طاقتها ، اما بالالتزام بالطباعة أو بالاسهام المالي .

صـــدر حديثاً
عن وزارة الأعلام

حشد طاقات الامة على طريق التحرير

نص الخطاب التأريخي الذي القاه الرئيس المناضل احمد حسن البكر
في الذكرى السابعة لثورة السابع عشر من تموز المجيـــدة

صـــدر حديثاً

عن وزارة الاعـــلام

احكام الربط بين التحـرر السياسي ونحرير الأقتصاد

نص الخطاب الهام الذي القاه السيد صدام حسين

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة

لدى افتتاحه للخط الستراتيجي بين حديثة والفاو

في ٢٧ كانون الأول ١٩٧٥

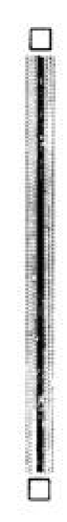
صـــدر حديثاً

عن وزارة الاعلام

ديوان الرصافي

« الجزء الثالث »

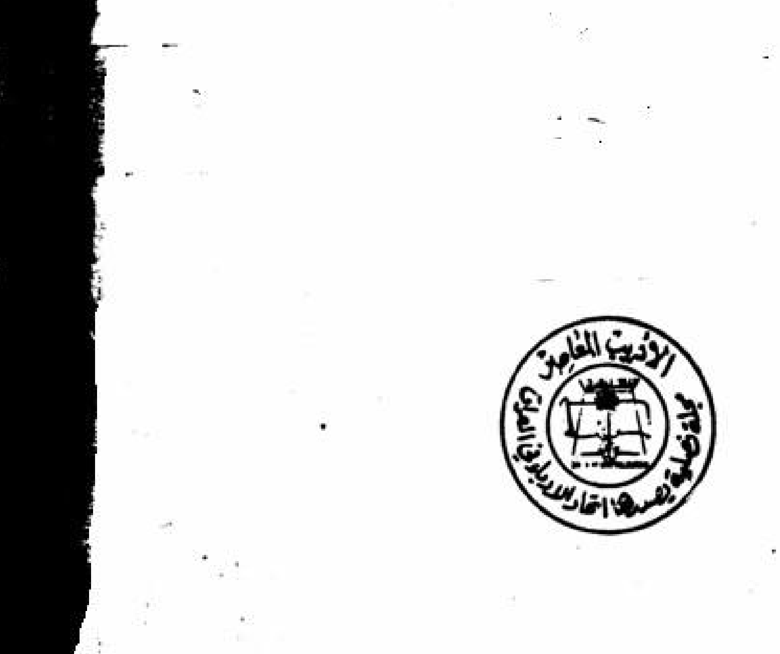
مصطفى علي



مما يميز هذا الجزء عن سواه احتوائه على الشروحات والتعليقات الفنية والوافرة عن شعر الرصافي

اسعار المجلة في الاقطار العربية

مصر	٢٠٠	مليم
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢/٠٠٠	دينار
المغرب	٢/٢٠٠	درهم
الكويت	٢٠٠	فلس
اليمن الديمقراطية	٠/٣٠	دينار
لبنان / بيروت	١٠٠	قرش
السودان	ربع باون	
البحرين	ربع دينار	
ليبيا	٢٠ قرش	



AL-ADIB AL-MU'ASIR

Bimonthly Magazine

Issued by Union of Writers in Iraq

Andalus Sq. Baghdad - Iraq

No. 17, Vol. 4, May 1976

P.O. Box 217

ثمن النسخة ٢٠٠ فلس

طبع الغلاف في مطبعة دار الساعة هاتف ٨٣٠٢٨